الجمهورية الجزائرية الدّيمقراطية الشّعبية
وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبو بكر بلقايد
UNIVERSITÉ DE TLEMCEN

كلية الآداب و اللّغات

قسم اللّغة والأدب العربي

تخصّص: الصّوتيات العربيّة ومستويات الدّرس اللغوي

أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الدكتوراه

دلالة العلامات الإعرابيّة في إلياذة الجزائر

إعداد الطّالبة: رشيدة بلهادي

إشراف الأستاذ: أ.د. عبد الحكيم والي دادة

أعضاء لجنة المناقشة:

عبد الجليل مرتاض	أستاذ	جامعة تلمسان	رئيسا
عبد الحكيم والي دادة	أستاذ	جامعة تلمسان	مشرفا و مقررا
عبد الناصر بوعلي	أستاذ	جامعة تلمسان	عضوا مناقشا
فتيحة بن يحي	أستاذة محاضر (أ)	جامعة تلمسان	عضوا مناقشا
حمزة دحمان	أستاذ محاضر (أ)	المركز الجامعي مغنية	عضوا مناقشا
حبيب بوسغادي	أستاذ	جامعة عين تموشنت	عضوا مناقشا

العام الجامعي : 1441ه-1442ه / 2020-2021

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى والديّ العزيزين

أهدي ثمرة جهدي

رشيدة

شكر وعرفان

الحمد لله أن وفّقنا لإنجاز هذا البحث.

والحمد لله أن أرسل لي الأستاذ "عبد النّاصر بوعلي" رسولا من عنده ينير دربي بعلمه وبصيرته ونصائحه، وامتنانا له، ووفاء لما قدّمه لي من توجيهات أتقدّم إليه بأسمى عبارات الشّكر والتّقدير.

كما أتوجّه بالشّكر إلى كلّ من ساندني ودعمني طيلة فترة البحث.

رشيدة

مقدّمة

الحمد لله رب العالمين، والصّلاة والسّلام على أشرف المرسلين، اللهم صلِّ على سيدنا محمد صلاة تخرجني بها من ظلمات الوهم، وتكرمني بنور الفهم، وتوضح لي ما أشكل حتي يفهم، إنّك تعلم ولا أعلم، وأنت علاَّم الغيوب، وعلى آله وصحبه وسلم، أمّا بعد:

تدرس العلامات الإعرابيّة عادة في علم النّحو بصفتها علامات دالّة على وظيفة الكلمة في التّركيب، غير أنّنا ستحاول هذه الدّراسة تسليط الضّوء على هذه العلامات انطلاقا من طبيعتها الصّوتيّة وما تحمله من دلالات صوتيّة مضافة إلى وظائف النّحويّة التي تدلّ عليها.

وتحرّيا للأمانة العلميّة وجب التّنويه بأنّ فكرة الرّسالة تعود لأستاذنا الأستاذ الدّكتور "عبد النّاصر بوعلي" الذي اقترح موضوع الرّسالة بعد استشارة حضرته في موضوع يجمع الصّوتيات العربيّة والنّحو.

وفي سؤال للأستاذ "عبد النّاصر بوعلي" عن أسباب اختيار موضوع "دلالة العلامات الإعرابيّة في إلياذة الجزائر" لبحثنا؛ ذكر سببين:

- الأوّل: موضوعيّ؛ يتمثّل في أنّه جدير بإضافة معرفة.
- والثّاني: ذاتيّ؛ إذ وجد في شخصي قدرات علميّة وطاقة فكريّة تؤهّلني لخوض غمار البحث الأكاديمي في هذا الموضوع.

ولاقى الموضوع قبولنا لسببين:

- الأوّل: موضوعيّ يتمثّل في علاقة موضوع الحركات العربية بالدرس الصوتي؛ مجال تخصّصنا.
- والثّاني: ذاتيّ؛ يتمثّل في تلبيته لرغبتنا المقترحة.

وتكمن أهمّية هذا الموضوع في كونه ينظر إلى العلامات الإعرابيّة انطلاقا من طبيعتها الصّوتيّة وما تحمله من دلالات مضافة إلى وظيفتها النّحويّة، ناهيك عن أنّه محاولة لإثراء دراسة الأدب الجزائري بالتّطبيق على أحد أهمّ الأعمال الأدبيّة الجزائريّة الحديثة والمتمثّل في "إلياذة الجزائر" لشاعر الثّورة: "مفدي زكريا"، فجاءت الرّسالة بعنوان: "دلالة العلامات الإعرابيّة في إلياذة الجزائر".

ويعالج البحث إشكالية دلالة للعلامة الإعرابيّة على معان، إضافة إلى وظيفتها النّحويّة. وهذا يدفعنا للرّجوع إلى الطّبيعة الصّوتيّة لهذه العلامات للإجابة عن ثلاث تساؤلات تثيرها الإشكالية المطروحة وتتعلّق بـ:

- أوّلا: الخصائص الصّوتيّة للعلامات الإعرابيّة.
- ثانيا: وظائف العلامات الإعرابيّة داخل التّركيب، وهل للجانب الصّوتي تأثير في باقي الوظائف؟
- ثالثا: الأثر الدّلالي للعلامات الإعرابيّة صوتيّا.

اقتضى الموضوع تقسيمه إلى ثلاث فصول يتصدّرها مدخل للتّعريف بالإعراب والتّأصيل له ولعلاماته.

- الفصل الأوّل: الدّراسة الفونيتيكية للعلامات الإعرابيّة. يتناول هذا الفصل العلامات الإعرابيّة؛ الأصليّة منها والفرعيّة، بصفتها أصواتا خارج التّركيب؛ فيدرس مخارجها وآلية إنتاجها، ثمّ صفاتها الصّوتيّة، ويشبر إلى الفروق بين ما جاء في كتب القدماء وما توصّل إليه المحدثونمن جهة وبين الدّراسات العربيّة والغربيّة ممثّلة في جهود دانيال جونز من جهة ثانية. ناهيك عن تقديم لمحة حول رسم العلامات الإعرابيّة وتطوّره مع الزّمن.
- الفصل الثّاني: الدّراسة الفونولوجيّة للعلامات الإعرابيّة. وفيه محاولة لرصد مختلف التّغيّرات والتّلوّنات الصّوتيّة التي تحدث للعلامات الإعرابيّة داخل التّركيب وفقا لقانوني المماثلة والمخالفة؛ فيعالج الصّور النّطقيّة للعلامات الإعرابيّة من منظور القدماء فالمحدثين، ثمّ ظاهرة الإبدال بمختلف أشكالها. وفي الفصل إشارة إلى مختلف الوظائف الصّوتيّة والصّوفيّة والنّحويّة والإيقاعيّة للعلامات الإعرابيّة في مختلف التّراكيب التي تقع فيها.
- الفصل الثّالث:الدّراسة الأسلوبيّة للعلامات الإعرابيّة في إلياذة الجزائر. ويمثّل هذا الفصل الجانب التّطبيقي للبحث؛ حيث درست العلامات الإعرابيّة في إلياذة الجزائر لشاعر الثّورة مفدي زكريا، وكان العنوان بوابة الولوج إلى عالم النّصّ بغية دراسة العلامات الإعرابيّة أسلوبيّا بصفتها أصواتا، من خلال تحليل دورها في تشكيل الإيقاع الخارجي والإيقاع الدّاخلي للإلياذة.

وأخيرا انتهينا إلى خاتمة أجملنا فيها نتائج البحث المجيبة عن إشكالية البحث المدروسة.

واقتضى منّا البحث الاستعانة بأكثر من منهج؛ فكان المنهج التّاريخي في التأصيل لظاهرة الإعراب، وكان المنهج الاستقصائي في تتبّع آراء العلماء وجهودهم عبر السّنين، وفي مختلف مؤلّفاتهم وتصانيفهم، ثمّ المنهج المقارن في مقارنتنا بين ما قدّمه القدماء وما جاء به المحدثون من جهة، وبين الدّرس العربيّ والغربيّ من جهة ثانية، كما استدعى الفصل الثّالث استعمال المنهج المنهج الإحصائي الذي يضفي صفة العلمية على الدراسة الأسلوبية للأعمال الأدبيّة ممثّلة في إلياذة الجزائر لشاعر الثّورة مفدي زكريا.

ويجدر التنبيه إلى أنّ الوصف التّحليل كانا مصاحبين لنا في كلّ جزئية من الرّسالة بغضّ النّظر عن الاختلاف حولهما إن كانا منهجين أو أداتين إجرائيتين.

وقد سبقنا إلى البحث في دلالة العلامات الإعرابيّة عيسى العزري في مقال نشره بعنوان: "دلالة العلامات الإعرابيّة"، وسبقنا إلى سبر أغوار إلياذة الجزائر كثير من الدّارسين نذكر منهم: الأستاذ بوعلي عبد النّاصر في كتابه "العلاقات الدّلالية في شعر مفدي زكريا" ودقيش سميرة وكبوسي هند في بحثهما "الحقول الدّلالية في إلياذة الجزائر" وعبد القادر شارف في بحثه "الظّواهر الإيقاعية في إلياذة الجزائر".

وقد اعتمدنا في بحثنا عديد المصادر، منها القديمة نحو: كتاب سيبويه، وخصائص ابن جنّي، ومنها الحديثة نحو: إلياذة الجزائر لمفدي زكريا، والأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس، وخصائص الأسلوب في الشّوقيات للطّرابلسي.

غير أنّ آراء الباحثين والدّارسين كثيرا ما جاءت مختلفة حول نقاط يفترض تحرّي الدّقّة فيها ما شكّل صعوبة لنا في مسارنا البحثيّ، خاصّة في الثّرات اللغوي الذي جاءت آراء العلماء ممبثوثة في مختلف الأبواب اللغوية ما شكّل صعوبة في الوصول إليها.

ولا يفوتني في هذا المقام أن أشكر أستاذي المشرف الأستاذ الدّكتور "عبد الحكيم والي دادة" الذي شجّعني للمضيّ قدما وساعدني في تذليل الصّعوبات التي واجهتها، ناهيك عن أنّه أرشد وصحّح وسهر على إنجازي للعمل.

تلمسان في: 25-02-2021

الطّالبة: رشيدة بلهادي

المدخل

انكبّ العرب يدرسون لغتهم منذ القرن الأوّل للهجرة، قصد نشرها بين الشّعوب الدّاخلة في الإسلام، وحمايتها والحفاظ عليها من اللحن، وإن كانت بوادر الدّرس اللغويّ الأولى ترجع إلى عصر النّبيّ -صلى الله عليه وسلّم-؛ لأنّها كانت مقترنة بنزول القرآن منجّما، فكان العربيّ وهو عربيّ لم يتجاوز بعد بلاده توّاقا إلى معرفة كتاب الله وما جاء فيه من حلال وحرام وأحكام[1].

ونتيجة لتلك الجهود ظهر "علم العربيّة" الذي تطوّر لاحقا ليتفرّع إلى مختلف العلوم اللغويّة، ومن ضمنها "علم النّحو"؛ الذي نشأ في ظروف خاصّة برعاية علماء كبار شمّروا على سواعدهم، ودخلوا هذا الميدان من أجل وضع قواعد وقوانين تصون اللغة العربيّة من الانحراف والزّلل والضّياع، فجاءوا بعلم سمّي "النّحو".

صبّت المصنّفات المختلفة في علم العربيّة كلّ اهتمامها على الجانب الوصفي للغة مصحوبا بتحليل دقيق لمختلف الظّواهر اللغويّة، ولكنّها لم تبيّن تاريخ اللغة ومراحل نموّها التي أوصلتها إلى حدّ وصفها بالكمال، كما جاء على لسان المستشرق الألماني "أرنست رينان" (Ernest Renan): «لقد كانت من الكمال منذ بدايتها بدرجة تدفعنا إلى القول بإيجاز إنّها منذ ذلك الوقت حتّى العصر الحديث لم تتعرّض لأيّ تعديل ذي بال»[2]. أمّا نشأة اللغة فاختلفوا فيها؛ أتوقيف هي أم اصطلاح؟، أم تُراها نشأت محاكاةً لأصوات الطبيعة؟ أسئلة لم يجَب عنها إلا بافتراضات لا أدلّة علميّة عنها.

واختلفوا في أوّل ناطق بالعربيّة؛ فأورد "السّيوطي" في المزهر كلاما لـ ـ"عبد الملك بن حبيب" يقول فيه: «كان اللسان الأوّل الذي نزل به آدم من الجنّة عربيّا»[3]، وذهب "أبو سلام الجمحي" إلى أنّ أوّل من تكلّم العربيّة ونسي لسان أبيه: "إسماعيل بن إبراهيم"[4]، فيما نقل "ابن منظور" رأيا يقول: «أوّل من أنطق الله لسانه بلغة العرب

---

[1]- ينظر: الفسيح في ميلاد اللسانيات العربيّة: عبد الجليل مرتاض، دار هومة، الجزائر، ط: 02، 2009م، ص: 45.

[2]- السّاميون ولغاتهم: حسن ظاظا، دار القلم، دمشق، الدّار الشّاميّة، بيروت، ط: 02، 1410ه/1990م، ص: 135.

[3]- المزهر في علوم اللغة وأنواعها: جلال الدين السّيوطي، شرحه وضبطه وعلّق عليه: محمد أحمد جاد المولى بك ومحمد أبو الفضل إبراهيم ومحمد علي البجاوي، منشورات الكتب العصريّة، صيدا، بيروت، دط، دت، ج: 01،ص: 31.

[4]- ينظر: طبقات الشّعراء: محمد بن سلام الجمحي، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1422ه/2001م، ص: 28.

يعرب بن قحطان، وهو أبو اليمن كلّهم، وهم العرب العاربة، ونشأ إسماعيل بن إبراهيم عليهما السّلام معهم فتكلّم بلسانهم، فهو وأولاده العرب المستعربة»[1].

و يبقى السؤال حول نشأة اللغة العربيّة وتطوّرها قائما، حتّى إنّ "محمود عكاشة" جعله مجال بحث لا طائلة منه فقال: «...البحث عمّا يسمّى بطفولة اللغة العربيّة لا طائل منه؛ لأنّ اللغة العربيّة انشقّت من غيرها أو تفرّعت عنها وأثناء انشقاقها كانت اللغة فيها منطوقة غير مدوّنة، فليس لدينا نصوص من هذه المرحلة»[2]، ثمّ جعل تجربة "محمد خضر" في البحث عن طفولة اللغة العربيّة مثالا يؤكّد مذهبه؛ حيث نقل عنه قوله: «فإنّنا نريد أن نعرف شيئا ولو قليلا عن طفولة اللغة العربيّة، وشيئا ولو قليلا كذلك عن نشأتها ونموّها وتطوّرها إلى أن صارت لغة نموذجيّة أدبيّة نزل بها القرآن الكريم على النّبيّ العربيّ محمد-صلّى الله عليه وسلّم-»[3]؛ وهذا الكلام يوحي بحماسة صاحبه للبحث.

ولكنّ النتيجة اعترافه بالعجز؛ حيث قال: «وفي الحقّ أنّنا في بحثنا عن طفولة اللغة العربيّة نجد أنفسنا في ظلام حالك، فليس بين أيدينا نصوص لنا ترجع إلى عهودها الأولى، وأقدم ما عندنا منها لا يتجاوز القرن الثّالث الميلادي»[4]، ولعلّه الأمر نفسه الذي دفع "أرنست رينان" (Ernest Renan) للقول: «في القرن السّادس بعد الميلاد يتراءى هناك عالم زاخر بالحياة وبالشّعر وبالرّقيّ الفكريّ، في بلاد لم تعط حتّى هذا التّاريخ أيّة علامة على وجودها. فبدون سابقة ولا تمهيد نلتقي فجأة بفترة المعلّقات وغيرها من الشّعر الذي احتواه كتاب "الأغاني" ...ولغته منذ البداية تفوق في لطائفها أشدّ أنواع الكلام إمعانا في الثّقافة...ومن بين الظواهر التي اقترن بها هذا الانبثاق غير المنتظر لوعي جديد في الجنس البشريّ، ربّما كانت اللغة العربيّة نفسها هي الظّاهرة الأشدّ غرابة والأكثر استعصاء على الشّرح والتّعليل. فهذه اللغة، المجهولة قبل هذا التّاريخ، تبدو لنا فجأة بكلّ كمالها ومرونتها وثروتها التي لا تنتهي. لقد كانت من الكمال منذ بدايتها بدرجة تدفعنا إلى القول بإيجاز إنّها منذ ذلك الوقت حتّى العصر الحديث لم

---

[1]- لسان العرب: أبو الفضل جمال الدّين بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري ، دار صادر، بيروت، دط، دت، مج:01، ص: 587.

[2]- علم اللغة: مدخل نظري في اللغة العربيّة: محمود عكاشة، دار النّشر للجامعات، القاهرة، ط:01، 2006م، ص: 61.

[3]- المرجع نفسه، ص: 62.

[4]- المرجع نفسه.

تتعرّض لأيّ تعديل ذي بال. اللغة العربيّة لا طفولة لها، وليست لها شيخوخة أيضا...من غير مرحلة بدائيّة ولا فترات انتقاليّة ولا تجارب تتلمّس فيها معالم الطّريق»[1].

أجاب "أرنست رينان" (Ernest Renan) في قوله هذا عمّا أراد "محمد خضر" البحث عنه؛ فالعربيّة لا طفولة ولا شيخوخة لها لنبحث عن مراحل نموّها، وبيّنَ أنّ أقدم ما وصل إلينا يرجع إلى القرن السّادس للميلاد، وهو عبارة عن قصائد سمّيت بالمعلّقات، وأقدمها حسب "أبي سلام الجمحي": معلّقة "امرئ القيس" [من الطّويل]:

قِفَا نَبكِ مِن ذِكرَى حَبِيبٍ، ومَنزِلِ *** بِسِقطِ الّلوَى بينَ الدَّخولِ فَحَومَلِ

من جهة أخرى ووسط كلّ هذا الاختلاف حول تاريخ اللغة العربيّة، تنسب اللغة العربيّة إلى مجموعة لغويّة تسمّى اللغات السّامية. فما اللغات السّامية؟ وهل أخذت اللغة العربيّة الإعراب من اللغة السّامية الأمّ؟

✓تعريف اللغات السّامية:

وردت في مصنّفات العرب منذ القرن الأوّل للهجرة إشارات إلى وجود تشابه بين اللغة العربيّة ولغات أخرى ومنها ما ذهب إليه "الخليل بن أحمد" في قوله: «كنعان بن حام بن نوح إليه ينسب الكنعانيّون وكانوا يتكلّمون بلغة تضارع العربيّة»[2]؛ وإذا كان "الخليل بن أحمد" قد ضارع بين اللغتين العربيّة والكنعانيّة، فإنّ "ابن حزم الأندلسي" ذهب أبعد من ذلك فجعل اللغات السّريانية والعربيّة والعبريّة لغات تنبع من أصل واحد؛ فقال: «الذي وقفنا عليه وعلمناه يقينا أنّ السّريانيّة والعبرانيّة والعربيّة التي هي لغة مضر وربيعة لا لغة حمير لغة واحدة تبدّلت بتبدّل مساكن أهلها فحدث فيها جرش»[3].

وفي القرن السّابع عشر بدأ المستشرقون دراسة العلاقة التي تربط اللغات السّامية، فتكوّنت لديهم فكرة عن صلة القرابة بينها؛ يقول "رمضان عبد التّوّاب": «أمّا المستشرقون، فبدأت دراستهم الأولى، في أحضان كلّيات اللاهوت، فأدركوا العلاقة بين

---

[1]- السّاميون ولغاتهم: حسن ظاظا، ص: 135.

[2]- العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السّامرّائي، سلسلة المعاجم والفهارس، دط، دت، ج: 01، ص: 205.

[3]- الإحكام في أصول الأحكام: أبو محمد عليّ بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، تقديم: إحسان عبّاس، دار الآفاق الجديدة، بيروت، دط، دت، مج: 01، ص: 31.

العبريّة والعربيّة والسّريانيّة»[1] و«لم ينتصف القرن السّابع عشر حتّى تكوّنت لدى المستشرقين فكرة واضحة عن صلة القرابة بين معظم أفراد الفصيلة السّامية»[2].

إنّ مصطلح اللغة السّامية نفسه كان من وضع المستشرق الألماني "شلوتزر"(August Ludwig Schloetze)؛ استنتجه مما جاء في الإصحاح العاشر من سفر التّكوين[3]، ممّ نصّه: «وهذه مواليد بني نوح سام وحام ويافث وولد لهم بنون بعد الطّوفان...وسام أبو كل بني عابر أخو يافث الكبير ولد له أيضا بنون، بنو سام: عيلام وآشور وارفكشاد ولود وآرام...وولد لعابر ابنان اسم أحدهما: فالج لأنّ في أيّامه قسمت الأرض واسم أخيه يقطان، ويقطان ولد له المودد وشالف وحضر موت ويارح وهدورام وأوزال ودقلة وعوبال وأبيمائيل وسبأ وأوفير وحوبلة وبوباب وكان هؤلاء بني يقطان وكان مسكنهم من ميشا إلى ناحية سيفار جبل المشرق. هؤلاء بنو سام حسب قبائلهم وألسنتهم...»[4].

لكنّ الملاحظ أنّ الإصحاح العاشر من سفر التّكوين لم يُذكر فيه الكنعانيون، وهذا ما دفع "إسرائيل ولفنسن" إلى التّعليق قائلا: «لقد تسرّب إلى نفوس بعض الباحثين شيء من الشّكّ في صحّة ما جاء في هذا الجدول بسبب عدم ذكره الكنعانيين بين أبناء سام في حين أنّ هناك روابط عنصريّة ودمويّة ولغويّة وثيقة تربط الإسرائيليين بالكنعانيين وقد عدّ أبناء يعقوب من بني سام فكان حتما أن يعدّ الكنعانيين منهم»[5]؛ وبذلك أمكن القول إنّ السّاميين هم مجموعة الشّعوب المنسوبة إلى أبناء سام المذكورين في الآية من سفر التكوين آنفة الذّكر إضافة إلى الكنعانيين الذين أرجع "كارل بروكلمان" (Carl Brockelmann) سبب حذفهم في الآيات إلى أسباب سياسية محضة[6].

انتشر السّاميون في مناطق واسعة من آسيا وإفريقيا؛ وأهمّ فروعهم: «البابليون، والآشوريون، والكلدانيون وكلّ أولئك من المشرق من بلاد الجزيرة العربيّة حيث العراق وما بين النّهرين والكنعانيون، الفينيقيون، والآراميون، والعبرانيون، والسّريانيون وهو في المغرب منها حيث الشّام وبادية سماوة. والمؤابيون، والعربيون،

[1]- فقه اللغات السّامية: كارل بروكلمان، ترجمة: رمضان عبد التّواب، دط، دت، ص: 04.
[2]- فقه اللغة: عبد الواحد وافي، نهضة مصر، ط: 03، 2004م، ص: 07.
[3]- تاريخ اللغات السّامية: إسرائيل ولفنسن، مطبعة الاعتماد، مصر، 1348ه/1929م، ص: 02.
[4]- سفر التكوين، الإصحاح العاشر، الآية:21-31.
[5]- تاريخ اللغات السّامية: إسرائيل ولفنسن، ص: 02.
[6]- ينظر: فقه اللغات السّامية: كارل بروكلمان، ص: 16-18.

والأحباش في جنوبها وقد كانت لغاتهم جميعا متقاربة ومتناسبة»[1]؛ وفيما يلي تخطيط لشجرة اللغات السّامية[2]:

[1]- تاريخ اللغات السّامية: جودة محمود الطحلاوي، مطبعة الطلبة، مصر، 1350ه/1932م، ص: 21-22.

[2]- ينظر: فصول في فقه العربيّة: رمضان عبد التّواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: 06، 1420ه، 1999م، ص: 36.

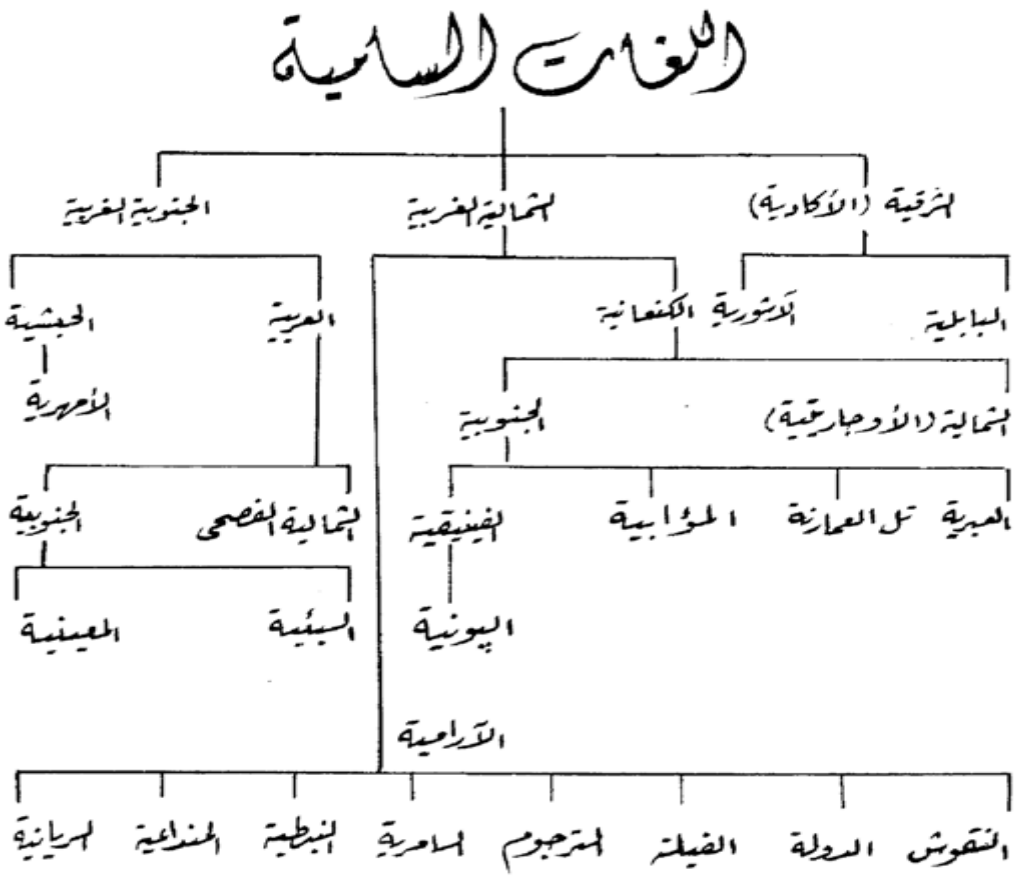

الشّكل رقم (01): رسم تخطيطي لشجرة اللغات السّامية.

وعلى أساس هذا التّفرّع العرقي وما تبعه من تنوّع لغويّ، عرّف "إسرائيل ولفنسن" اللغات السّامية فقال: «تطلق كلمة لغات سامية على جملة من اللغات التي كانت شائعة منذ أزمان بعيدة في بلاد آسيا وإفريقية سواء منها ما عفت آثاره وما لا يزال باقيا إلى الآن»[1] ؛ أي أنّ اللغات السّامية تفرّعت عن أصل واحد اصطلح عليه: ـ"اللغة السّامية الأمّ"، ونظرا لذلك وُجدت محاولات لرصد ملامح هذه اللغة الأم عن طريق تتبّع ما تشترك فيه اللغات السّامية من خصائص لغوّية؛ وإن وصفت بالوهم، قال "كارل بروكلمان" (Carl Brockelmann): «نحن لا ندافع مطلقا عن الوهم القائل، بأنّه من الممكن، عن طريق مقارنة اللغات، أن يعاد تكوين أصلها الأوّل المشترك، حتّى ولو كان ذلك عن طريق الاحتمال القريب»[2].

[1]- تاريخ اللغات السّامية: إسرائيل ولفنسن، ص: 02.
[2]- فقه اللغات السّامية: كارل بروكلمان، ص: 14.

ومع ذلك قدّم الباحثون حتّى الآن خصائص مشتركة بين اللغات السّامية أفضت إلى إعطاء لمحة عمّا قد تكون عليه اللغة السّامية الأم؛ وأهمّها: الاهتمام بالصّوامت أكثر من الحركات، الأصل الثّلاثي للكلمات، الاشتقاق من الفعل، تصريف الأفعال، الإعراب، التّشابه الكبير بين المفردات ودلالاتها خاصّة المفردات التي تدلّ على أعضاء الجسم، والضّمائر، وصلة القرابة، والعدد وبعض الأفعال ومرافق الحياة الشّائعة في الأمم السّامية.[1]

ومن بين كلّ هذه الخصائص يهمّ بحثنا "ظاهرة الإعراب" فكيف توصّل الباحثون إلى أنّ اللغة السّامية الأمّ لغة معربة؟ وما هي العلامات الإعرابية لهذه اللغات السّامية؟

✓ الإعراب في اللغات السّامية:

نُسب الإعراب إلى اللغات السّامية؛ فقال "بريجستراسر"(Bergstrasser) : «الإعراب ساميّ الأصل، تشترك فيه اللغة الأكدية، وفي بعضه الحبشيّة، ونجد آثارا منه في غيرها أيضا»[2]؛ وعلّل "إسرائيل ولفنسن" إعراب اللغات السّامية فقال: «ليس في اللغات السّامية أثر لإدغام كلمة في أخرى حتّى تصير الاثنتان كلمة واحدة تدلّ على معنى مركّب من معنى كلمتين مستقلّتين كما هي الحال في غير اللغات السّامية وهذا هو سبب ظهور الإعراب في اللغة العربيّة وهناك شيء من بقايا الإعراب في أغلب اللغات السّامية»[3] فأمّا الأثر الذي تحدّث عنه "برجستراسر" فهو الحركات الإعرابيّة وأمّا البقايا في كلام "إسرائيل ولفنسن" فما يظهر منها في النّقوش التي عثر عليها لمختلف اللغات السّامية، والتي اتخذت أشكالا متعدّدة في رسمها حتّى استقرّت على ما هي عليه الآن في مراحلها المتأخّرة؛ إذ كانت أغلب اللغات السّامية في أطوارها الأولى تهمل الحركات كلّ الإهمال في الكتابة ثمّ أخذت في أطوارها الثّانية تضع علامات قليلة وسهلة فوق الحرف أو تحته لترشد القارئ إلى نوع الحركة ولم تكن ترافق الكلمات دائما ثمّ أصبحت في الطّور الثّالث كثيرة ومنظّمة ورافقت الكلمات في كلّ الأحوال

---

[1]- ينظر: تاريخ اللغات السّامية: إسرائيل ولفنسن، ص: 14-17. وتاريخ اللغات السّامية: جودة محمود الطحلاوي، ص: 31-35. والسّاميون ولغاتهم: حسن ظاظا، ص: 18-23. وفقه اللغة: عبد الواحد وافي، ص: 14-16.

[2]- التّطوّر النّحوي للغة العربيّة: محاضرات ألقاها في الجامعة المصريّة بالقاهرة: برجستراسر، أخرجها وعلّق عليها: رمضان عبد التّوّاب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: 02، 1414ه/1994م، ص: 116.

[3]- تاريخ اللغات السّامية: إسرائيل ولفنسن، ص: 15.

لتساعد القارئ على ضبط القراءة[1]. وسنفصّل فيما يلي القول في إعراب أهمّ فروع اللغات السّامية:

❖ الإعراب في اللغة الأكادية:

هاجر الأكاديون السّاميون منتصف الألفيّة الثّالثة قبل الميلاد إلى بلاد ما بين النّهرين في العراق أين احتكّوا بالسّومريين وأخذوا عنهم الخطّ المسماري[2]، لكنّ الأكاديين واجهوا مشكلة في الكتابة بهذا الخطّ ما اضطرّهم إلى تطويره «فأوجدوا رموزا أخرى أضافوها إلى الرّموز المقطعيّة السّومرية....وكثيرا ما كان الأكاديون يعمدون أيضا إلى الاستغناء عن الرّموز الدّالّة على الكلمات الكاملة فيقطّعون لفظها ويكتبونها على شكل مقاطع صوتيّة*، أو يتركون الرّمز نفسه ويضيفون إليه مقطعا صوتيّا للدّلالة على الإعراب الذي تميّزت به اللغة الأكادية ولاسيما البابلية والآشورية القديمتان»[3].

انقسمت اللغة الأكادية لاحقا إلى لهجتين هما : البابلية والآشورية، يقول "عبد الواحد وافي" واصفا لهما: «الآثار التي وصلت إلينا مدوّنة بهذا الرّسم* لا تظهر فيها وجوه خلاف بين اللهجات الأكادية. فالآثار البابلية مثلا (المنطقة الجنوبية) لا تكاد لغتها تختلف في شيء عن الآثار الآشورية (المنطقة الشّمالية)»[4].

حافظت اللغة البابلية الأشورية حتّى مراحلها الأخيرة على ظاهرة الإعراب حتّى إذا أرادوا كتابة كلمة: "ملك" على سبيل المثال «كانوا يكتبون الرّمز الدّال على كلمة "ملك"، وهو يلفظ في الأكادية "شرّ" ... ويضيفون إليه المقطع الصّوتي (رُمْ) للدّلالة على الرّفع، أو يضيفون المقطع (رَمْ) للدّلالة على حالة النّصب، وإذا أضافوا المقطع الصّوتي (رِمْ) دلّوا على حالة الجرّ... بحسب المعنى المقصود»[5]، وهذا يعني أنّ اللغة

---

[1]- ينظر: المصدر السّابق، ص: 255.

[2]- ينظر: الأبجديّة: نشأة الكتابة وأشكالها عند الشّعوب: أحمد هبّو، دار الحوار، سوريا، ط: 01، 1984م، ص: 41.

*- وصف أحمد هبّو في كتابه المقاطع الصّوتية المستخدمة في اللغة البابلية الأشورية فقال: «كانت المقاطع المستخدمة تتكوّن من: صوت صامت + صوت صائت (= بُ، رِ، شَ..إلخ)، أو من: صوت صائت+ صوت صامت (=أب، أُم، إن..إلخ)، أو من: صوت صامت + صوت صائت+ صوت صامت (=مَتْ، بِرْ، لُمْ..إلخ)، وكانوا يفكّون النّوع الأخير في المقاطع فتصبح على الوجه التّالي: مَ-أتْ، بِ-إر، لُ-أُمْ... لغاية منه إظهار المدّ الصّوتي في اللفظ»

[3]- المصدر نفسه: ص: 41-42.

*- يقصد الرّسم المسماري.

[4]- فقه اللغة: عبد الواحد وافي، ص: 26.

[5]- الأبجديّة: نشأة الكتابة وأشكالها عند الشّعوب: أحمد هبّو، ص: 43.

الأكادية بلهجتيها البابلية والأشورية اعتمدت الحركات الإعرابيّة العربيّة نفسها، وجعلت لكلّ علامة إعرابية معنى وكذلك الأمر في اللغة العربيّة كما سيأتي.

❖ **الإعراب في اللغة الكنعانية:**

نزح الكنعانيون من الموطن الأصلي للشّعب السّامي إلى بلاد فلسطين وسوريا وبعض جزر البحر الأبيض المتوسّط، وأقامت بها حضارات مزدهرة قبل قدوم الآراميين إليها بنحو ألف سنة، وامتدّ نفوذهم ليشمل شمال إفريقيا وجنوب أوربا، وأعظم الشعوب الكنعانية: الفينيقيون والعبرانيون[1].

نسب إلى الكنعانيين ابتكار الكتابة الأبجدية السّامية؛ وهي كتابة وضعت على مبدأ أكروفونيّ*، لكنّ الشّكل الواحد -بخلاف اللغات الأكادية- يعكس صوتا واحدا صامتا، لهذا وصفت بكونها «كتابة غير كاملة لأنّها لا تعرف الأصوات الصّائتة (الحركات) ولا تكتبها نتيجة طبيعية لبناء لغتها وتركيب موادها اللغوية (ثلاثية الأصول)»[2]، وهذا يعني أنّ النّقوش الكنعانيّة عموما لم تصوّر أي إعراب لغياب الحركات فيها.

كتب اليهود لغتهم بالأبجديّة السّامية وكانوا «...-كجميع الأمم السّامية- لا يكتبون الحركات المعروفة الآن بل كانت لديهم حروف مجرّدة عن الحركات ثمّ أخذوا يستعملون بعض الحروف كعلامات للحركات تساعدهم على ضبط النّطق وحفظ الكلمات من التّحريف وكانت الألف والهاء والواو والياء هي التي تقوم بهذه الوظيفة فجرّ ذلك إلى حدوث تغيير في هجاء الكلمات وزيادة في حروفها باعدت بينها وبين أصل اشتقاقها ولكن بعد أن تشتت اليهود في أقطار العالم صارت هذه الحروف لا تكفي لضبط النّطق في كلّ الكلمات وخشي اليهود أن تنقرض لغتهم بسبب ذلك فاخترعوا نظام الحركات»[3].

وهذا يعني أنّ اللغة العبريّة عرفت الحركات في مرحلة متأخّرة جدا من حياتها، ولا شكّ أنّها عاشت على مرّ القرون صراعات لغوية أفقدتها الكثير من خصائصها، وهذا واضح في الجانب الإعرابي الذي لم يبق منه إلا بقايا حاول "كارل بروكلمان" (Carl Brockelmann) جمعها فالعبريّة لم تبق بها إلا حالة النّصب؛ غير أنّها لا تدلّ على

---

[1]- ينظر: فقه اللغة: عبد الواحد وافي، ص: 30.

*- ويشار بهذه الكلمة إلى مبدأ اتّخاذ الصّورة رمزا للهجاء الأوّل في الكتابة، أي: مرحلة الكتابة الصّوتيّة. موسوعة علوم اللغة العربيّة: إيميل بديع يعقوب، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط: 01، 1427ه/2006م، ج: 02، ص: 385.

[2]- الأبجديّة: نشأة الكتابة وأشكالها عند الشّعوب: أحمد هبّو، ص: 75.

[3]- تاريخ اللغات السّامية: إسرائيل ولفنسن، ص: 103.

حالة المفعول المباشر، بل على الاتّجاه المكاني نحو شيء ما، لا غير، وقد بقيت متجمّدة في كلمة "ليلا" ثمّ أصبحت تعني ليل مطلقا، كما بقيت حالة النّصب بدون معناها الأصلي، قبل الضّمير المتّصل للمفرد الغائب المذكّر والمؤنّث، وبقيت حالة الجرّ في صورة الحركة الطويلة، في كلمات القرابة الثّلاث، في حالة الإضافة وقبل الضّمير المتّصل... وغير ذلك. وانتقل ذلك قياسا من الأعلام إلى غيرها التي لا يوجد فيها إحدى كلمات القرابة، وكذلك بعض التّراكيب المسمّاة (المنادى المضاف إلى ياء المتكلّم)، كما بقيت نهاية الجر قبل الضّمير المتّصل للمخاطبة المفردة. ولا توجد حالة الرّفع إلا في البقايا المتجمّدة من الأعلام[1].

يتّضح ممّا سبق أنّ اللغة الكنعانية لم تعرف رموزا تدلّ على الحركات، بينما تشير الدّراسات إلى أنّ العبريّة المتفرّعة عنها طوّرت لنفسها رموزا تدلّ على حركاتها عبر مراحل.

[1]- ينظر: فقه اللغات السّامية: كارل بروكلمان، ص: 101.

❖ الإعراب في اللغة الآرامية:

يرجع الباحثون الهجرة الآرامية إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد؛ أي بعد مرور ألف وخمس مائة عام على استقرار الكنعانيين بأرض العمران[1]، «ومن عجيب الأمور أنّ انتشار الآراميين بلغ على عهد السّلوقيين مبلغا عظيما، فأصبحت اللغة السّائدة في كلّ آسيا السّامية، أعني في سوريا وما بين النّهرين وبلاد الكلدان والعراق وجزيرة العرب... وقد بلغ امتداد هذه اللغة إلى أقاصي الشّرق في الصّين شمالا وفي الأقطار الهنديّة جنوبا، كما أنّها بلغت جنادل النّيل»[2]، هذا الانتشار الواسع الذي عرفته اللغة الآرامية جعل تفرّعها إلى لهجات أمرا حتميّا، وأشهر لهجاتها: "السّريانية"؛ وهو الاسم الذي عرف به الآراميون بعد اعتناق المسيحية؛ يقول "رمضان عبد التّوّاب" في هذا :«سمّى الآراميون أنفسهم بالسّريان، بعد اعتناقهم الدّين المسيحي؛ لأنّ الاسم الشّعبيّ القديم، صار عيبا يدلّ على الكفر»[3].

ابتكر السّريان رموزا تدلّ على الحركات ودافعهم إلى ذلك أنّهم «لمّا ترجموا الكتب المقدّسة إلى لغتهم بعد أن اعتنقوا الدّيانة المسيحية خافوا أن يخطئوا في تلاوة الأناجيل فيؤدّي ذلك إلى تحريف الكلم عن مواضعه فاخترعوا النّقط للدّلالة على الحركات فمثلا: النّقطة فوق الحرف تدلّ على الفتحة، وتحته تدلّ على الكسرة، ووسطه تدلّ على الضّمّة»[4]؛ وهي الرّموز ذاتها التي وضعها "أبو الأسود الدّؤلي" في نقط المصحف، ما يطرح تساؤلات حول معرفة هذا الأخير باللغة السّريانية وتأثّره بها.

لكنّ الكتابة السّريانية لم تقصر الحركات على هذه الثّلاث بل « يلاحظ أنّ الكتابة السّريانية تعبّر عن أكثر من ثلاث حركات تعرفها العربيّة فقط (هي الفتح والضمّ والكسر)، فتزيدها بحركتي الإمالة (الرباص) والضّمّة المفتوحة (الزقاف)»[5].

دوّن الآراميون الصّوائت في كتاباتهم وحرصوا على النّطق الصّحيح لها، ومع ذلك ما احتفظت لغتهم بالإعراب؛ إذ لم يبق - فيما عدا حالة النّصب، في آرامية العهد القديم- إلا بعض حالات الإعراب المتجمّدة، قبل الضّمائر المتّصلة؛ فقد بقيت نهاية الرّفع في كلمات القرابة الثّلاث، ونهاية الجرّ في ضمير المخاطبة وضمير الغائب؛

---

[1]- ينظر: تاريخ اللغات السّامية: إسرائيل ولفنسن، ص: 115.
[2]- فقه اللغة المقارن: إبراهيم السّامرّائي، دار العلم للملايين، بيروت، ط: 03، 1983م، ص: 247-248.
[3]- فصول في فقه اللغة: رمضان عبد التّواب، ص: 33.
[4]- تاريخ اللغات السّامية: جودة محمود الطّحلاوي، ص: 100.
[5]- الأبجديّة: نشأة الكتابة وأشكالها عند الشّعوب: أحمد هبّو، ص:75.

ونهاية النّصب في ضمير المخاطب وضمير الغائبة، وكذلك في ضمير المتكلّمين التي قصرت الحركة فيها، قياسا على الفعل[1].

واضح أنّ تجمّد الإعراب في اللهجات الآرامية المتأخّرة لم يكن إلا بتأثّر الآراميين بعد انتشارهم الواسع بشعوب من غير السّاميين، وآثار الإعراب –على قلّتها- توحي بوجود لغة آرامية معربة.

❖ **الإعراب في اللغة الحبشية:**

لا يعرف متى انتقل السّاميون إلى الحبشة ولكنّ الشبه الكبير بين اللغة الحبشيّة وبقيّة اللغات السّامية دفع الباحثين إلى اعتبار اللغة الحبشية لغة سامية؛ ولقرون طويلة سادت فيها اللغات السّامية، لم يعرف شيء عن الحبشية، يقول "إسرائيل ولفنسن": «تاريخ الحبشة قبل انتشار النّصرانية فيها مجهول تماما وقد دخلت المسيحيّة بلاد الحبشة لأوّل مرّة في القرن الرّابع ب. م.»[2].

مرّ الخطّ الحبشي بالمراحل نفسها التي مرّت بها جميع الكتابات السّامية؛ إذ لم يكن به رموز للصّوائت، ثمّ طوّر نظاما كتابيا اهتمّ فيه بالحركات، غير أنّ الأحباش وعلى خلاف الأقوام السّامية الأخرى انتهت إلى «تغيير يلحق صورة الحروف السّاكنة نفسها، فشكل الحرف السّاكن نفسه يتغيّر تبعا لصوت المدّ الذي يلحقه. وبذلك أصبح لكلّ حرف ساكن سبعة أشكال متميّزة يرمز كلّ منها إلى نوع خاص من أنواع الحركة التي تليه»[3].

نقل السّاميون الخطّ إلى الحبشة بعد الميلاد، فطوّروه واهتموا بتدوين لغتهم، ولكن وقتها كان الأحباش قد تأثّروا بغيرهم من اللغات الحامية تأثيرا مسّ الإعراب على الأقل؛ حيث بقيت حالة الرّفع في الأعداد لا غير، أمّا حالة النّصب فبقيت حيّة كلّية، غير أنّ دائرة استعمالها اتّسعت؛ إذ تدخل في حالة الإضافة، للدّلالة على حالة الرّفع. وبقيت نهايتا الرّفع والجرّ، ولكن بدون معناهما الأصلي، قبل الضّمير المتّصل، وذلك في صورة حركة مجهولة، وفي كلمات القرابة أب، أخ، حم، بقيت الحركة الطّويلة لحالة الرّفع، والحركة الطّويلة لحركة النّصب قبل الضّمائر المتّصلة[4].

الظّاهر أنّ اللغة الحبشية وإن مسّها بعض التّغيير، بقيت من أكثر اللغات السّامية حفاظا على الإعراب، حتّى إذا أرادت التّخفيف نزعت إلى الفتح لا التّخلّي الكلّي عن الإعراب.

---

[1]- ينظر: فقه اللغات السّامية: كارل بروكلمان، ص: 101.

[2]- تاريخ اللغات السّامية: إسرائيل ولفنسن، ص: 254.

[3]- فقه اللغة: عبد الواحد وافي، ص: 71.

[4]- ينظر: فقه اللغات السّامية: كارل بروكلمان، ص: 101.

كانت هذه اللّمحة عن إعراب شقيقات اللغة العربيّة من اللغات السّامية مثبتة أنّهن جميعهنّ ورثن هذه الخصيصة من لغة سامية أمّ، ويؤكّد ذلك اتّفاق الصّوائت ومدلولاتها، وإعراب أسماء القرابة (أب، أخ، حم) بحركات طوال، ونهاية الجر في ضمير المخاطبة؛ كلّها أدلّة على أنّ الإعراب وعلاماته وجدوا في اللغة السّامية الأمّ كما تعرفهم اللغات السّامية اليوم بما فيهن اللغة العربيّة.

❖ **الإعراب في اللغة العربيّة:**

سبق القول إنّ اللغة العربيّة لا يعرف لها تاريخ قبل المعلّقات التي ظهرت بلغة عربيّة معربة، وبخلاف الأمم السّامية الأخرى اهتمّ العرب بهذه الظّاهرة اهتماما كبيرا أفضى إلى قيام علم لدراسة أواخر الكلم التي تعرف في اللغة العربية حالتين اثنتين هما الإعراب والبناء.

أوّلا: التعريف اللغويّ للإعراب:

للعين والرّاء والباء أصول ثلاث عند "ابن فارس" جمعها في قوله:«العين والرّاء والباء أصول ثلاثة أحدها الإبانة والإفصاح، والآخر النّشاط وطيب النّفس، والثّالث فساد في جسم أو عضو»[1]، فيما جمع "السّيوطي" للمادّة نفسها عشرة معان فقال: «الإعراب...وهو مصدر أعرب مشتركا لمعان:

- الإبانة: يقال أعرب الرّجل عن حاجته: أبان عنها، ومنه الحديث: «وَالثَّيْبُ تُعْرِبُ عَنْ نَفْسِهَا»*.
- والإجالة: عربت الدّابّة: جالت في مرعاها، وأعربها صاحبها: أجالها.
- والتّحسين: أعربت الشّيء: حسّنته.
- والتّغيير: عربت المعدة، وأعربها الله غيّرها.
- وإزالة الفساد: أعربت الشّيء: أزلت عربه، أي: فساده.

ويتعدّى الأوّل بـ (عن)، والباقي بالهمزة.

ويأتي (أعرب) لازما بمعنى تكلّم العربيّة، أو صار له خيل عراب، أو ولد له ولد عربيّ اللّون، أو تكلّم بالفحش، أو أعطى العربون، فهذه عشرة معان»[1].

---

[1]- مقاييس اللغة: أحمد ابن فارس، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دمشق، دط، دت، ج: 4، ص: 299.

*- رواه الإمام أحمد في مسنده قال: حدّثنا إسحاق بن عيسى قال حدّثني ليث يعني ابن سعد قال حدّثني عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين عن عدي بن عدي الكنديّ عن أبيه عن رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم- «قال الثّيب تعرب عن نفسها والبكر رضاها صمتها». المسند: الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، شرحه وصنع فهارسه: حمزة أحمد الزّين، دار الحديث، القاهرة، ط: 01، 1416ه/ 1995م، ج: 13، ص: 473-474، رقم الحديث: 17652.

والظّاهر أنّ المعاني العشرة التي ذكرها "السّيوطي" لا تخلو من أن تكون منضوية تحت الأصول الثّلاث التي ذكرها "ابن فارس"، إن هي إلا اشتقاقات وتوسعات لها.

أوّلا: الإبانة والإفصاح:

يقول "الأزهريّ" في هذا الباب: «الإعراب والتّعريب معناهما واحد، وهو الإبانة. يقال: أعرب عنه لسانه أي أبان وأفصح. ويقال أعرب عمّا في ضميرك أي: أبن»[2]، ومنه: «أعرب الرّجل عن نفسه، إذا بيّن وأوضح»[3].

واستُشهد لهذا المعنى ببيت للكمّيت [من الطّويل]:

وَجَدْنَا لَكُمْ فِي آلِ حَامِيمَ آيَةً تَأَوَّلَهَا مِنَّا تَقِيٌّ وَمُعْرِبُ

قال "الجوهريّ": «يعني المفصح بالتّفصيل، والسّاكت عنه للتّقية»[4].

كما استشهدت المعاجم لهذا المعنى بحديث: «الثَّيِّبُ تُعْرِبُ عَنْ نَفْسِهَا» الذي ذهب فيه "الفرّاء" إلى أنّها "تعرّب" بالتّشديد على الصّواب[5]، وذهب "ابن قتيبة" إلى التّخفيف فيها على الأصح[6]؛ في حين تقدّم عن "الأزهريّ" أنّ الإعراب والتّعريب لغتان متساويتان بمعنى الإبانة والإيضاح.

وأمّا قولك عرب لسانه: أي صار عربيّا، وعربانيّ اللسان: الفصيح[7]، وقد تكون تسمية العرب على هذا القياس؛ أي: لفصاحتهم وبيانهم، يقول "الزّبيدي": «وقد مال إليه * جماعة ورجّحوه من وجوه»[8]؛ إذ وضع اللغويّون تخريجات عديدة في محاولة لتأصيل تسمية العرب رأى كثيرون أنّ فصاحتهم وبيان لسانهم أرجحها، يقول "ابن فارس": «فأمّا الأمّة التي تسمّى العرب فليس ببعيد أن يكون سمّيت عربا من هذا القياس لأنّ

---

[1]- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدّين السّيوطيّ، تح: أحمد شمس الدّين، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط: 01، 1418ه/1998م، ج:01، ص: 53.

[2]- تهذيب اللغة: أبو منصور الأزهريّ، تح: محمد عليّ النّجّار، الدّار المصريّة للتّأليف والتّرجمة، مصر، دط، دت، ج: 02، ص: 362.

[3]- مقاييس اللغة: ابن فارس،ج: 4، ص: 299.

[4]- الصّحاح: إسماعيل بن حمّاد الجوهريّ، تح: أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، بيروت، ط:02، 1399ه/1979م، ص: 179.

[5]- ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس: مرتضى الزّبيدي، تح: عبد السّتّار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ط: 1385ه/1965م، ج: 03، ص: 335.

[6]- ينظر: المصدر نفسه، ج: 03، ص: 339.

[7]- ينظر: تهذيب اللغة: الأزهريّ، ج: 02، ص: 360.

*- يقصد أصل تسمية العرب.

[8]- تاج العروس من جواهر القاموس: مرتضى الزّبيدي، ج: 03، ص: 344.

لسانها أعرب الألسنة، وبيانها أجود البيان»[1]؛ وفي قوله تفضيل للسان العربيّ عن باقي الألسنة وتمييز له بالبيان والإعراب وهما علمان عربيان.

أمّا "الزّبيدي" الذي ذكر التّخريجات المختلفة لتسمية العرب فيقول: «واختُلف في سبب تسمية العرب، فقيل لإعراب لسانهم أي إيضاحه وبيانه؛ لأنّه أشرف الألسن وأوضحها وأعربها عن المراد بوجوه من الاختصار والإيجاز والإطناب والمساواة وغير ذلك»[2]؛ وهي أبواب علم المعاني التي جعل منها هذا الرّأي وسائل بلاغيّة تستعمل للإعراب والإفصاح عن المعنى المراد.

ثانيا: النّشاط وطيب النّفس:

الأصل الثّاني لمادّة "ع ر ب" عند "ابن فارس" النّشاط وطيب النّفس؛ يقول شارحا: «والأصل الآخر: المرأة العروب: الضّحّاكة الطّيّبة النّفس، وهنّ العُرُب. قال الله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا﴿٣٧﴾﴾، قال أهل التّفسير: «هنّ المحبّبات إلى أزواجهنّ»[3]، وجاء في "تاج العروس": «في حديث عائشة: "فاقدروا له قدر الجارية العربة" قال ابن الأثير: هي الحريصة على اللهو، فأمّا العُرُب فجمع عروب وهي المرأة الحسناء المتحبّبة إلى زوجها»[4]، ثمّ استدرك فقال: «وفي الأساس: تعرّبت لزوجها: تغزّلت وتحبّبت»[5] .وذهب "الزبيدي" إلى أنّ «العَرَب محرّكة والعربة: النّهر الشّديد الجري، والعربة أيضا: النّفس، واستشهد ببيت لابن ميادة يمدح الوليد بن يزيد يقول:

لَمَّا أَتَيْتُكَ أَرْجُو فَضْلَ نَائِلِكُمْ نَفَحْتَ لِي نَفْحَةً طَابَتْ لَهَا العَرَبَ »[6]

ثالثا: فساد في جسم أو عضو:

يقول "ابن فارس": «والأصل الثّالث قولهم: [عربت] معدته، إذا فسدت، تَعْرَب عَرَبا، ويقال من ذلك: امرأة عروب أي فاسدة»[7].وقال "الزّبيدي": «عَرِب السّنام عربا إذا ورم وتقيّح وعرب الجرح عربا وحبط حبطا:(بقي أثره) فيه (بعد البراء) ونُكْس وعُفْر. وعرب الجرح أيضا إذا فسد قيل ومنه الإعراب بمعنى الفحش والتّقبيح. ومنه

---

[1]- مقاييس اللغة: ابن فارس، ج: 4، ص: 300.
[2]- تاج العروس من جواهر القاموس: مرتضى الزّبيدي، ج: 03، ص: 344.
[3]- مقاييس اللغة: ابن فارس، ج: 4، ص: 300.
[4]- تاج العروس من جواهر القاموس: مرتضى الزّبيدي، ج: 03، ص: 338.
[5]- المصدر نفسه، ج: 03، ص: 354.
[6]- المصدر نفسه، ج: 03، ص: 343.
[7]- مقاييس اللغة: ابن فارس، ج: 4، ص: 301.

الحديث «أَنَّ رَجُلاً أَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّ ابنَ أَخِي عَرُبَ بَطْنُهُ، أَيْ فَسُدَ. فَقَالَ: اِسْقِهِ عَسَلاً»[1]، وفي "الصّحاح": «أعرب الرّجل: تكلّم بالفحش...وعرّب عليه فعله، أي قبّح. وفي الحديث: «عَرِّبُوا عَلَيْه» أي ردّوا عليه بالإنكار»[2]، ويقول "الأزهري": «قال سمّر: التّعريب أن يتكلّم الرّجل بالكلمة فيفحش فيها أو يخطئ فيقول له الآخر: ليس كذا ولكنّه كذا للذي هو أصوب، أراد معنى حديث عمر ألا تعرّبوا عليه. قلت: ويحتمل أن يكون التّعريب على من يقول بلسانه المنكر من هذا لأنّه يفسد عليه كلامه كما فسدت معدته»[3].

ثانيا: التعريف الاصطلاحي للإعراب:

اهتمّ النّحاة بالإعراب وقدّموا له تعاريف كثيرة ومتنوّعة ذهبوا فيها مذهبين :

- يقول "السّيوطي": «اختلف هل الإعراب لفظيّ أو معنوي؟»[4]، وهذا الاختلاف واحد من الاختلافات النّحويّة التي لم تكن بين مدرستي البصرة والكوفة إنّما ظهرت مع المتأخّرين من أصحاب المدرسة المغربيّة والأندلسية؛ وعالجه مجموعة من اللغويّين، فقال صاحب "التّبيين عن مذاهب النّحويين": «ذهب أكثر النّحويين إلى أنّ الإعراب معنى يدلّ اللفظ عليه، وقال آخرون هو لفظ دالّ على الفاعل والمفعول مثلا»[5]؛ يؤكّد هذا القول ذهاب النّحويين في تعريف الإعراب مذهبين: مذهب لفظي، ومذهب معنوي، وينسب المذهب المعنويّ إلى أكثر النّحويين، وهو ما خالفه "السّيوطي" في "همع الهوامع" حين نسب المذهب اللفظي إلى جمهور النّحاة فقال: «قال الجمهور: لفظيّ: فهو أثر يجلبه العامل، ظاهرا أو مقدّرا قيل: أو معنويّ وخصّ المقدّر بما ألفه منقلبة، والمعنويّ بغيره.
- وقيل: معنوي، فهو التّغيير لعامل لفظا، أو تقديرا، قيل: أو محلا في المبني»[6]، وقال "ابن فلاح": «اختلف في حقيقة الإعراب، فذهب قوم إلى أنّ الإعراب معنى وهو عبارة عن الاختلاف ... وذهب قوم إلى أنّ

---

[1]- تاج العروس من جواهر القاموس: مرتضى الزّبيدي، ج: 03، ص: 343.
[2]- الصّحاح: إسماعيل بن حمّاد الجوهريّ، ص: 179.
[3]- تهذيب اللغة: الأزهريّ، ج: 02، ص: 364.
[4]- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: جلال الدين السّيوطيّ، ج: 1، ص: 53.
[5]- التّبيين عن مذاهب النّحويين البصريين والكوفيين: أبو البقاء العكبري، تح: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:1، 1406ه/1986م، ص: 167.
[6]- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: جلال الدّين السّيوطي، ج: 1، ص: 53.

الإعراب عبارة عن الحركات...»[1]؛ وفي هذا الكلام شرح للمذهبين، إذ بيّن أنّ المذهب المعنويّ في تعريف الإعراب هو القائم على تعريفه بالاختلاف، فيما وضّح أنّ الألفاظ الدّالة على الفاعل والمفعول في كلام "أبي البقاء" ما هي إلا الحركات التي تلحق آخره، أمّا "أبو حيّان" فأضاف شيئا من التّحليل للمسألة حين قال إنّ: «طائفة من النّحاة، ذهبوا إلى أنّ الحركات اللاحقة أواخر المعربات من الأسماء والأفعال هي الإعراب بنفسه لأنّه لا شيء يتبيّن به إعراب المعرب غيرها، وعلى هذا فيكون الإعراب عند هؤلاء لفظيا. وذهب متأخروا أصحابنا إلى أنّ الإعراب معنويّ، وهو تغيّر آخر الكلمة لعامل دخل عليها في الكلام الذي هي فيه، فتكون الحركات هي دلائل الإعراب وعلامات له»[2].

وكأنّما الخلاف وقع في مسألة الحركات الإعرابية أهي الإعراب نفسه، أم علامة ودليل عليه؟ ولن تتسنّى لنا الإجابة عليه إلا إذا تأمّلنا كلّ رأي على حدة.

1- المذهب اللفظيّ في تعريف الإعراب:

للنّحاة في هذا المذهب تعريفات متنوّعة للإعراب فهذا "ابن خروف" يعرّفه على أنّه: «صوت يحدثه العامل في آخر الكلمة»[3]؛ جعل الإعراب صوتا يحدث بعمل عامل في آخر الكلمة، وشرح المقصود بالصّوت في تعريف آخر له في شرح كتاب "سيبويه" –حسب ما نقله "الآبذي"- فقال: «الإعراب وضعك العلامة في آخر المعرفة دالّة على عمل العامل كما تقع علامة التّعريف دليلا على إيضاح المعرّف، لا يكون أحدهما إلا بالآخر»[4].

وبهذا يكون الإعراب عند "ابن خروف" عبارة عن علامات إعرابية تلحق الكلمة دلالة على عمل عامل، وقد رُدّ هذا التعريف لأنّ الإعراب قد يكون بحذف لا بصوت

---

[1]- ابن فلاح النّحوي: حياته وآراءه ومذهبه مع تحقيق الجزء الأوّل من كتابه الموسوم بـ "المغني"، رسالة مقدّمة لنيل درجة "الدكتوراه" في النّحو والصّرف، من الطّالب: عبد الرزّاق عبد الرّحمن أسعد السّعدي، كلّية اللغة العربيّة، سنة: 1403ه/1404ه، 1993م/1994م، جامعة أمّ القرى، المملكة العربيّة السّعوديّة، القسم: 2، ص: 193.

[2]- التّذييل والتّكميل في شرح كتاب التّسهيل: أبو حيّان الأندلسي، تح: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، دط، دت، ج:1، ص: 115-116.

[3]- الأبّذيُّ ومنهجه في النّحو مع تحقيق السّفر الأوّل من شرحه على الجزولية، أطروحة جامعيّة لنيل شهادة الدّكتوراه، في علوم اللغة، إعداد: سعد حمدان محمد الغامدي، كلّية اللغة العربيّة، سنة: 1405ه/ 1406ه، 1985م/1986م، جامعة أم القرى، المملكة العربيّة السّعوديّة، ص:57-58 .

[4]- المصدر نفسه، ص: 58.

نحو لم يفعلا ولم يفعلوا[1]، الأمر الذي تداركه "أبو عليّ الشّلوبين" في تعريفه الإعراب بقوله: «الإعراب: حكم في آخر الكلمة يوجّهه العامل، نحو قام زيد، وضربت زيدا، ومررت بزيد»[2]؛ لكنّ هذا الحدّ منقود من "أبي حيان" «من جهة أنّه لا يفهم ما أراد؛ إذ قد يمكن أن يحدّ الإعراب به من مذهبه أنّ الإعراب تغيّر؛ لأنّ التّغيّر حكم يحدثه العامل في آخر الكلمة»[3]؛ لكنّك إذا رجعت إلى كتاب "التوطئة" تجد "أبا علي" يردف تعريفه الإعراب مفاضلة بينه وبين من عرّفه على أنّه تغيير؛ ليعلم بذلك أنّ مذهبه في تعريف الإعراب لفظيّ.

أمّا "ابن مالك" فعرّف الإعراب بقوله: «الإعراب ما جيء به لبيان مقتضى العامل؛ من حركة، أو حرف أو سكون أو حذف»[4]، وشرح تعريفه بقوله: «وهو عند المحققين من النّحويين عبارة عن المجعول آخر الكلمة مبيّنا للمعنى الحادث فيها بالتّركيب من حركة أو سكون أو ما يقوم مقامهما»[5]؛ وهو في تعريفه الأوّل يفصّل العلامات الإعرابية من حركة وحرف وسكون وحذف، فيما بيّن في تعريفه الثّاني أنّ هذه العلامات ليست أصلا في الكلمات المعربات إنّما جيء بها في آخر الكلمات لتؤدّي وظيفة نحويّة وهي بيان مقتضى العامل، ووظيفة دلالية وهي تبيين المعنى الحادث.

فيما ذهب أكثر نحاة هذا المذهب إلى أنّ الإعراب «أثر ظاهر أو مقدّر يجلبه العامل في آخر الاسم المتمكّن والفعل المضارع»[6]، وأضيف إلى هذا الحد عبارة «حقيقة أو مجازا»[7] فأمّا الأثر فما جيء به في آخر الكلمة من حركة أو سكون أو حرف أو حذف؛ ويكون هذا الأثر إمّا ظاهرا «كحركات آخر (زيد) في نحو: جاء زيد، ورأيت زيدا، ومررت بزيد. وكحركتي آخر (يضرب) في نحو: زيد يضرب، ولن يضرب. وكسكون آخره في نحو: لم يضرب»[8]؛ أي يكون الإعراب ظاهرا في آخر الأسماء

---

[1]- ينظر: المصدر نفسه، والتّذييل والتّكميل في شرح كتاب التّسهيل: أبو حيّان الأندلسي، ص: 116.

[2]- التّوطئة: أبو عليّ الشّلوبين، تح: يوسف أحمد المطوع، مطابع سجل العرب، القاهرة، 1401ه/ 1981م، ص116.

[3]- التّذييل والتّكميل في شرح كتاب التّسهيل: أبو حيّان الأندلسي، ج: 1، ص: 116

[4]- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ابن مالك، حقّقه وقدّم له: محمد كامل بركات، دار الكاتب العربي للطّباعة والنّشر، مصر، 1387ه/1967م، ص: 7.

[5]- شرح التّسهيل –تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد-: جمال الدين محمد بن عبد الله ابن مالك الطّائي الأندلسي، تح: محمد عبد القادر عطا وطارق فتحي السّيّد، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط: 01، 1422ه/2001، ص: 38.

[6]- متن شذور الذّهب: ابن هشام الأنصاريّ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الأخيرة، دت، ص: 2.

[7]- شرح كتاب الحدود في النّحو: عبد الله بن أحمد الفاكهيّ النّحويّ المكّي، تح: المتولّي رمضان أحمد الدّميري، 1408ه/1988م، ص: 158.

[8]- المصدر نفسه، ص: 159.

المتمكّنة سليمة الآخر والأفعال غير المنتهية بحرف علّة. وإمّا مقدّرا «كالحركات المنويّة في آخر المقصور أو المضاف للياء في نحو: جاء الفتى أو غلامي، ورأيت الفتى أو غلامي، ومررت بالفتى أو غلامي. وكالحركتين المنويتين آخر الفعل المعتلّ بالألف في نحو: زيد يخشى، ولن يخش. وكالسّكون المنويّ في آخر (يكن) في نحو: ﴿أَلَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾»[1]؛ أي أنّ الإعراب يقدّر وينوى في آخر الأسماء المنقوصة والمقصورة والمضافة إلى ياء المتكلم والأفعال المنتهية بحرف علّة. في حالتي الرفع والنّصب. كما ينوى السّكون الأوّل حال التقاء الساكنين.

وأمّا قوله: «يجلبه العامل»[2] فمردّه بناء الإعراب على أساس نظريّة العامل؛ يقول "إبراهيم مصطفى": «أساس كلّ بحثهم فيه أنّ "الإعراب أثر يجلبه العامل"، فكلّ حركة من حركاته، وكلّ علامة من علاماته، إنّما تجيء تبعا لعامل في الجملة –إن لم يكن مذكورا ملفوظا، فهو مقدّر ملحوظ- ويطيلون في شرح العامل وشرطه ووجه عمله، حتى تكاد تكون نظريّة العامل عندهم هي النّحو كلّه»[3].

2- المذهب المعنوي في تعريف الإعراب:

من النّحاة من ذهب إلى أنّ الإعراب معنى يدلّ اللفظ عليه؛ وهو مذهب المتأخّرين من أصحاب المدرسة المغربية حسب "أبي حيّان الأندلسي"[4]. وعُرِّف الإعراب وفق هذا المذهب على أنّه اختلاف أو تغيّر؛ يقول "ابن إياز": «تفسيرهم له بالتّغيير أو بالاختلاف، وكلّ واحد منهما معنى»[5]، وينسب هذا المذهب حسب "ابن إياز" إلى أكثر أهل العربيّة، ونقل عنه "السّيوطيّ" ذلك في "الأشباه والنّظائر"[6].

وحدّ الإعراب عند هؤلاء: «اختلاف آخر الكلمة باختلاف العوامل لفظا أو تقديرا»[7]، أو «تغيّر آخر الكلمة لاختلاف العوامل الدّاخلة عليها لفظا أو تقديرا»[1]؛ قال

---

[1]- المصدر نفسه، ص: 159-160.

[2]- متن شذور الذّهب: ابن هشام، ص: 2.

[3]- إحياء النّحو: إبراهيم مصطفى، مؤسّسة هنداوي للتّعليم والثّقافة، مصر، دط، دت، ص: 29.

[4]- ينظر : التّذييل والتّكميل في شرح كتاب التّسهيل: أبو حيّان الأندلسي، ج:1، ص: 116 .

[5]- المحصول: ابن إياز، دط، دت، ص: 55.

[6]- ينظر: الأشباه والنّظائر: جلال الدّين السّيوطي، تح: عبد العال سالم مكرم، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط: 01، 1406ه/1985م، ج: 1، ص: 173.

[7]- الأنموذج في النّحو: محمود بن عمر الزّمخشري، اعتنى به: سامي بن محمد المنصور، مكتبة لسان العرب، ط: 01، 1420ه/1999م، ص: 16. والإيضاح العضدي، أبو عليّ الفارسي، تح: حسن شادلي فرهود، مطبعة دار التأليف، القاهرة، ط: 1، 1389ه/1969م، ج: 1، ص: 11. وشرح المفصّل: ابن يعيش، إدارة الطّباعة المنيرية، القاهرة، دط، دت، ج:1، ص: 49. شرح المفصّل في صنعة الإعراب الموسوم بالتّخمير: القاسم بن الحسين الخوارزمي، تح: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 1، 1990م، ج: 1، ص: 204. المفصّل في العربيّة: أبو القاسم محمود بن عمر الزّمخشري، تح: فخر صالح قدارة، دار عمّار،

"ابن عصفور" يشرح تعريفه: «قلت: "تغيير أواخر الكلم" لأتحرّز بذلك عن تغيّر ما ليس بآخر، كالتّغيير الذي يكون لسبب التّصغير، والتكسير....، وقلت: "لاختلاف العوامل" لأتحرّز بذلك ممّا تغيّر آخره لغير اختلاف عوامل العوامل، كتغيير آخر أفعى في الوقف، فإنّه يجوز أن يوقف عليها بالياء والواو والألف. وقلت: "الدّاخلة عليها" لأتحرّز بذلك ممّا يغيّر آخره لاختلاف العوامل الدّاخلة في كلام آخر، وذلك في الاسم المحكيّ بـ"من"، نحو قولك: من زيدٌ؟ لمن قال: "جاءني زيدٌ"، و"من زيداً""؟ لمن قال: "رأيت زيداً"، ومن زيدٍ"؟ لمن قال: "مررت بزيد"، فالآخر من "زيد" قد تغيّر لتغيّر العوامل في كلام المستثبت»[2]، وأمّا ما يختلف ويتغيّر به الآخر فعلامات الإعراب كما سبق وسيأتي تفصيل ذلك في موضعه.

من تعريفات النّحاة يظهر أنّ الإعراب يمكن أن يكون منقولا من أي أصل من الأصول التي ذكرها "ابن فارس"، وهو ما ذهب إليه "ابن عصفور" في قوله: «يمكن أن يكون النّحويون سمّوا هذا النّوع من التّغيير إعرابا إمّا لمجرّد كونه تغيّرا أو لما يقع به من تبيّن المعاني ....أو لما يقع به من التّحسين: لأنّ زوال اللبس عن الكلم تحسين لها»[3]؛ جعل الإعراب منقولا عن: "عرب" بمعنى فسد وتغيّر، والهمزة للسّلب، أو عن "أعرب وعرّب" أي أبان وأفصح، مثلما يدلّ الإعراب على المعاني؛ يقول "ابن جنّي" في تعريفه الإعراب: «هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ»[4]، أو عن " تعرّبت المرأة أي:

عمان، ط: 1، 1425ه/ 2004م، ص: 41. حواشي المفصّل من كلام أبي عليّ الشّلوبين –تحقيق ودراسة- رسالة مقدّمة لنيل شهادة الماجيستير في اللغة العربيّة، إعداد حماد بن محمد الثمالي، قسم الدّراسات العليا، فرع اللغة كلّية اللغة العربيّة، 1401ه/1402ه، 1981م/1982م، جامعة أمّ القرى،، المملكة العربيّة السّعوديّة، ص: 85.

[1]- المقدّمة الجزولية في النّحو: أبو موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولي، تح: شعبان عبد الوهاب محمد، راجعه: حامد أحمد نيل وفتحي محمد أحمد جمعة، مطبعة أم القرى، مصر، دط، دت، ج:02، ص: 07.والبسيط في شرح جمل الزّجّاجي: ابن أبي الرّبيع عبيد الله بن أحمد بن عبيد الله القرشيّ الإشبيلي السّبتي، تح: عيّاد بن عيد الشبيتي، دار الغرب الإسلامي، بيروت،ط: 01، 1407ه/1986م، السّفر الأوّل، ص: 171. سلم اللسان في النّحو والصّرف والبيان: جرجي شاهين عطيّة، دار ريحاني، بيروت، ط:04، دت، ص: 139. شرح جمل الزّجّاجي: أبو الحسن عليّ بن مؤمن بن محمد بن عليّ بن عصفور الإشبيلي، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه: فوّاز الشعّار، إشراف: إيميل يعقوب، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط: 01، 1419ه/1998م، ج: 01، ص: 31. المفصّل في علم العربيّة: أبو القاسم محمود بن عمر الزّمخشريّ، ص: 41.

[2]- شرح جمل الزّجّاجي: أبو الحسن ابن عصفور الإشبيلي، ج: 01، ص: 31.

[3]- المصدر السّابق، ج: 01، ص: 32.

[4]- الخصائص : أبو الفتح عثمان بن جنّي، تح: محمد علي النّجّار، المكتبة العلميّة، القاهرة، دط، دت، ج:01، ص: 35.

تحبّبت وتغزّلت" فالإعراب يحبّب الكلام إلى المستمع[1]، ويؤكّد "ابن قتيبة" على ذلك فيقول في وصف العربيّة: «الإعراب الذي جعله الله وشيا لكلامها، وحلية لنظامها»[2].

وأضاف "العكبري" احتمال نقله من: "أعرب الرّجل" إذا تكلّم العربيّة فقال: «(أعرب الرّجل) إذا تكلّم بالعربيّة كقولهم: (أعرب الرّجل) إذا كان له خيل عراب، فالمتكلّم بالرّفع والنّصب والجرّ متكلّم كلام العرب وليس البناء كذلك؛ لأنّه لا يخصّ العرب دون غيرهم»[3]، وبعودتنا للمعنى اللغويّ للإعراب نلمس صحّة المذهبين المعنويّ واللفظيّ في تعريف الإعراب؛ والظّاهر أنّ هذا الاختلاف مردّه اختلاف زاوية النظر في هذه الظّاهرة؛ أمن حيث المعنى تدرس، أم من حيث اللفظ.

[1]- ينظر: اللباب في علل البناء والإعراب: أبو البقاء العكبري محبّ الدّين عبد الله بن الحسين البغدادي، تح: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدّينيّة، القاهرة، ط: 01، 1430ه/ 2009م، ص: 54.

[2]- تأويل مشكل القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم أبو قتيبة، شرحه ونشره: السّيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط: 02، 1393ه/1973م، ص: 14.

[3]- اللباب في علل البناء والإعراب: أبو البقاء العكبري، ص: 54.

البناء في اللغة العربيّة:

أوّلا: التّعريف اللغويّ للبناء:

(ب ن ي) أصل واحد في اللغة عند "ابن فارس": «بناء الشّيء بضمّ بعضه إلى بعض»[1]، أو هو «وضع شيء على شيء يراد به الثّبوت»[2].

ثانيا: التعريف الاصطلاحي للبناء:

والبناء في اصطلاح النّحاة: «لزوم آخر الكلمة على حالة واحدة في كلّ حالات الإعراب»[3]، أو بعبارة أخرى: «لزوم الآخر على حال واحدة، بعامل يدخل، وبغير عامل»[4].

والرّابط بين المعنى اللغويّ والاصطلاحيّ: الثّبوت؛ فمصطلح البناء الثّابت مأخوذ مجازا من معجم العمارة[5] ، يقول "ابن منظور": «والبناء لزوم آخر الكلمة ضربا واحدا من السّكون أو الحركة لا لشيء أحدث ذلك من العوامل، وكأنّهم إنّما سمّوه بناء لأنّه لمّا لزم ضربا واحدا فلم يتغيّر تغيّر الإعراب، سمّي بناء من حيث كان البناء لازما موضعا لا يزول من مكان إلى غيره»[6].

ميّز النّحاة العرب بين حالتي الإعراب والبناء وأحصوا المبني من الكلمات ثّم أفاضوا في دراسة الإعراب حتّى اتسع استعماله فأصبح يدلّ على مفاهيم ثلاثة متباينة أوّلها: العلامة الإعرابيّة وهو ما جاء في التّعاريف السّابقة للإعراب؛ إن اللفظي أو المعنوي، فالأثر اللفظيّ هو العلامة الإعرابيّة، والمتغيّر المختلف العلامة الإعرابيّة أيضا؛ وذلك أنّ «النّحويين لمّا رأوا في أواخر الأسماء والأفعال حركات تدلّ على المعاني، وتبيّن عنها، سمّوها إعرابا»[7] و«يدخل في هذا إعراب الاسم الصّحيح

---

[1]- مقاييس اللغة: ابن فارس، ج: 01، ص: 302.
[2]- شرح كتاب الحدود في النّحو: عبد الله بن أحمد الفاكهيّ النّحويّ المكّي، ص: 161.
[3]- المعجم المفصّل في النّحو العربي: عزيزة فوّال بابتي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط: 01، 1413ه/1992م، ص: 311.
[4]- شرح جمل الزّجّاجي: أبو الحسن عليّ بن محمد بن عليّ بن خروف الإشبيلي، تح: سلوى محمد عمر عرب، جامعة أمّ القرى، جدّة، 1419ه، ج: 01، ص: 260.
[5]- ينظر: المصطلح النّحويّ وأصل الدّلالة (دراسة ابستمولوجية تأصيلية لتسمية المصطلحات النّحويّة من خلال الزّمخشري): رياض عثمان، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط: 01، 2010م، ص: 36.
[6]- لسان العرب: ابن منظور ، مج: 14، ص: 94.
[7]- الإيضاح في علل النّحو، أبو القاسم الزّجّاجي، تح: مازن المبارك، دار النّفائس، بيروت، ط: 03، 1399ه/1979م، ص: 91.

والمعتلّ، فالمقصور يقدّر على ألفه الإعراب كاللفظ»[1]، لكن «ليس كلّ حركة إعرابا، كما أنّه ليس كلّ الكلام معربا»[2].

وأمّا المفهوم الثّاني فهو ما عبّر عنه "محمد الأنطاكي" بالإعراب النّحويّ وحدَّه على أنّه «ما تنصرف إليه كلمة "الإعراب" إذا أطلقت. وهو يهتمّ بكلّ ما تشتمل عليه العبارة اللغويّة من عناصر. يستوي في ذلك الأفعال والأسماء والحروف. بل إنّه يهتمّ أحيانا بما لا علاقة له باللغة مطلقا، ونعني بذلك بعض الحروف التي تكتب ولا تلفظ، كالألف التي نرسمها بعد واو الجماعة»[3].

والإعراب بهذا المفهوم لم يكن غائبا عن قدماء النّحاة واللغويين؛ فقد لمّح إليه "ابن جنيّ" في "باب القول على الإعراب" مبيّنا أنّ الإعراب (بالمفهوم الأوّل) قد لا يفصل في المعنى في مثل قولنا "ضرب يحيى بشرى" فنلجأ إلى ما يقوم مقام الإعراب من قرائن لبيان المعنى[4].

أمّا "ابن فارس" فكان أوضح في الإشارة إلى هذا المفهوم في تعريفه للإعراب، إذ يقول: «الإعراب هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ، وبه يعرف الخبر الذي هو أصل الكلام، ولولاه ما ميّز فاعل من مفعول، ولا مضاف من منعوت، ولا تعجّب من استفهام، ولا صدر من مصدر، ولا نعت من توكيد»[5]؛ جاعلا «مدلول الإعراب ...أوسع من دلالة العلامات الإعرابيّة، لأنّ العلامة الإعرابيّة وحدها لا تعين على معرفة النّعت من التّأكيد مثلا»[6].

الإعراب بهذا المفهوم يعني تحليل عناصر الجملة نحويا بالاستناد إلى مختلف القرائن بغية الوصول إلى المعنى النّحوي لعناصرها من فاعلية ومفعولية وإضافة، ويمثّل له "ابن جنّي" في قوله: «ومن ذلك قولهم أنت ظالم إن فعلت، ألا تراهم يقولون في معناه: إن فعلت فأنت ظالم، فهذا ربّما أوهم أنّ (أنت ظالم) جواب مقدّم، ومعاذ الله

---

[1]- اللباب في علل البناء والإعراب: أبو البقاء العكبري، ص: 53.
[2]- الإيضاح في علل النّحو، أبو القاسم الزّجّاجي، ص: 91.
[3]- المحيط في أصوات العربيّة ونحوها وصرفها: محمد الأنطاكي، دار الشّرق العربي، بيروت، دط، دت، ج: 03، ص: 274
[4]- ينظر: الخصائص: ابن جني، ج: 01، ص: 35.
[5]- الصّاحبي في فقه اللغة العربيّة ومسائلها وسنن العرب في كلامها: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، علق عليه، أحمد حسن بسج، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط: 01، 1418ه/ 1997م، ص: 43.
[6]- العلامة الإعرابيّة في الجملة بين القديم والحديث : محمد حماسة عبد اللطيف، دار الغريب، القاهرة، 2001م، ص: 216.

أن يتقدّم جواب الشّرط عليه، وإنّما قوله، (أنت ظالم) دال على الجواب وسادّ مسدّه، فأمّا أن يكون هو الجواب فلا»[1].

أمّا المفهوم الثّالث للإعراب فهو النّحو؛ يقول "الزّجّاجي": «يسمّى النّحو إعرابا، والإعراب نحوا سماعا، لأنّ الغرض طلب علم واحد»[2]، ويربط "سعود بن عبد العزيز خنين" الإعراب بهذا المفهوم بكتب القدامى فيقول: «مع كثرة ما ألّف في موضوع الإعراب من كتب: فالقديمة إنّما تعني به ما نريده اليوم بعلم النّحو، بل بالعربيّة كلّها، كمثل: سرّ صناعة الإعراب لابن جنّي، والمفصّل في صنعة الإعراب للزّمخشري، والهادي في الإعراب إلى طريف الصّواب لابن القبيصي، والإرشاد إلى علم الإعراب للكبشي وغيرها كثير.....وأستثني من كتب المتقدّمين فصولا من (المغني) لابن هشام، ومباحث في قواعد الإعراب له أيضا»[3].

ولو رجعنا إلى مقدّمة كتاب " المفصّل في صنعة الإعراب للزّمخشري" وجدناه يشرح مضمون كتابه قائلا: «إنشاء كتاب في الإعراب، محيط بكافّة الأبواب، مرتّب ترتيبا يبلغ بهم الأمد البعيد بأقرب السَّعْ، ويملأ سجالهم بأهون السّقي. فأنشأت هذا الكتاب المترجم بكتاب: المفصّل في صنعة الإعراب، مقسوما أربعة أقسام. القسم الأوّل: في الأسماء. القسم الثّاني: في الأفعال. القسم الثّالث في الحروف. القسم الرّابع في المشترك من أحوالها»[4]؛ والمعلوم أنّ دراسة أنواع الكلم وأحوالها من اختصاص علم الصّرف، وإنّما سمّى "الزّمخشري" كتابة مفصلا في الإعراب وأراد تفصيلا في الصّرف.

يبدوا ممّا سبق أنّ الإعراب ظاهرة سامية الأصل ورثتها العربيّة من اللغة السّامية الأمّ وحافظت عليه، ودليل ذلك ما وُجد من آثار له في ما بقي من كتابات اللغات السّامية، ثمّ اهتمّ العرب لأسباب دينية وسياسية بوصف هذه الظّاهرة وعنوا بها أيّما عناية حتّى أصبح الإعراب علما قائما بذاته، ولأهمّيته نال حصّة الأسد من الدّرس اللغويّ، بل وأصبح الإعراب مصطلحا يطلق على علم العربيّة بكلّ فروعه، لكنّ ما

[1]- الخصائص: ابن جني، ج: 01، ص: 283.
[2]- الإيضاح في علل النّحو، أبو القاسم الزّجّاجي، ص: 91.
[3]- طريقة الإعراب: دراسة منهجية تأصيلية تيسيرية: سعود بن عبد العزيز الخنين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة، المملكة العربيّة السّعوديّة، ط: 01، 1427ه/ 2006م، ص: 11.
[4]- المفصّل في علم العربيّة: الزّمخشري، ص: 31-32.

يهمّنا في هذا البحث هو الإعراب بصفته قرينة صوتية دالة على معنى أو «صوت يحدثه العامل في آخر الكلمة»[1].

فائدة: يمكن ملاحظة اشتراك جميع اللغات السّامية في العلامات الإعرابيّة الأساسية من خلال العرض السّابق للإعراب في اللغات السّامية، فالفاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمّة، والمفعول منصوب وعلامة نصبه الفتحة، والمضاف مجرور وعلامة جرّه الكسرة والأسماء السّتّة تعرب بحركات طوال، غير أنّ اللغة العربيّة وفيما يبدو طوّرت علاماتها الإعرابيّة مع الوقت لتصير إلى ما هي عليه اليوم.

تعريف العلامة الإعرابيّة:

العلامة الإعرابية مصطلح نحويّ يتألّف من كلمتين:

1- العلامة:

ومعناها في اللغة حسب "ابن فارس": «أثر بالشّيء يتميّز به عن غيره»[2]، والعلامة: السّمة[3]، وتقول: علّم له علامة: جعله له أمارة يعرفها[4]. أمّا في اصطلاح النّحويّين فالعلامة: «هي الآية والدّلالة وعلامة الشّيء آيته التي تعلن عنه ودلالته التي تشير إليه ولابدّ للعلامة في دلالتها على المعلوم من أن تكون ظاهرة ملفوظة أو ملموسة ومن أمثلتها الظّاهرة: علامة الضّمّ على الرّفع والفتح على النّصب والكسر على الجرّ. ومن أمثلتها الملموسة علامة حذف الألف والواو والياء على الجزم في الأفعال يسعى ويدعو ويجري من قولنا: لم يسع ولم يدع ولم يجر»[5].

2- الإعرابيّة:

نسبة للإعراب؛ وهو -كما أشرنا سابقا- أثر ظاهر أو مقدّر يجلبه العامل في آخر الاسم المتمكّن والفعل المضارع، أو هو تغيّر أواخر الكلم لتغيّر العوامل الدّاخلة عليها.

وهكذا يكون المقصود من العلامة الإعرابيّة: السّمة أو الأمارة التي تلحق الاسم المتمكّن والفعل المضارع لتدلّ على الحالة الإعرابيّة للكلمة. أمّا تعريف "ابن خروف"

---

[1]- شرح الجزولية للآبذي، ص:57-58 .

[2]- مقاييس اللغة: ابن فارس، ج:4، ص: 109.

[3]- ينظر: لسان العرب: ابن منظور، ج: 12، ص: 419.

[4]- ينظر: معجم الوسيط: مجموعة من الأساتذة، مكتبة الشّروق الدّوليّة، مصر، ط: 4، 1425ه/2004م، ص: 624.

[5]- معجم المصطلحات النّحويّة والصّرفيّة: محمّد سمير نجيب اللبدي، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، دار الفرقان، عمان، الأردن، ط: 01، 1405ه/1985م، ص: 159.

الإعراب بقوله: «صوت يحدثه العامل في آخر الكلمة»[1]؛ فإشارة منه إلى الطّبيعة الصّوتيّة لتلك الأمارات والعلامات.

أنواع العلامات الإعرابيّة:

تعرب الأسماء المتمكّنة والفعل المضارع بالحركات الأربعة: الضّمّة حال الرّفع، والفتحة حال النّصب، والكسرة حال الجرّ، والسّكون حال الجزم. والحركات هي العلامات الأصليّة للإعراب؛ وقد تنوب عنها علامات فرعيّة في سبعة أبواب هي: الأسماء السّتّة، المثنّى، جمع المذكّر السّالم، الجمع بألف وتاء، الممنوع من الصّرف، الأفعال الخمسة، المضارع المعتلّ الآخر؛ فتعرب بحركات مقدّرة أو حروف إعراب.

أ- الحركات:

الحركة في اللغة من (ح ر ك)، وهي «أصل واحد، فالحركة ضدّ السّكون»[2]، ومعناها: «انتقال الجسم من مكان إلى مكان آخر، أو انتقال أجزائه كما في حركة الرّحى»[3]، وهو تعريف يشابه ما ذهب إليه "السّهيلي" في تعريف الحركة اصطلاحا؛ إذ يقول: «الحركة عبارة عن تحريك العضو الذي هو الشّفتان عند النّطق بالصّوت الذي هو الحرف، والحرف عبارة عن جزء من الصّوت»[4]؛ والمستفاد من هذا التّعريف أمور ثلاثة هي:

- الشّفتان عضو يتدخّل في إنتاج الحركة؛ وهو أمر سنعود إليه في آلية إصدار لحركات.
- لا يمكن النّطق بالحرف السّاكن خالصا، ولهذا عرّفت الحركة على أنّها: « عرض تحلّه لإمكان اللفظ والتّركيب»[5]، وهذا يذكّرنا بتعريف "سيبويه" للحركات نقلا عن "الخليل" حيث قال: «زعم الخليل أنّ الفتحة والكسرة والضّمّة زوائد، وهنّ يلحقن الحرف ليوصل إلى التّكلّم به»[6].

---

[1]- شرح الجزولية للآبذي، ص:57-58

[2]- معجم مقاييس اللغة: ابن فارس، ج: 02، ص: 45.

[3]- معجم الوسيط: مجموعة من الأساتذة، ص: 168.

[4]- نتائج الفكر في النّحو: أبو القاسم عبد الرّحمن بن عبد الله السّهيلي، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوّض، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط: 01، 1412ه/1992م، ص: 66.

[5]- نهاية القول المفيد في علم تجويد القرآن المجيد، محمّد مكّي نصر الجريسي، ضبط وتصحيح: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط: 01، 1424ه/2003م، ص: 47.

[6]- الكتاب: كتاب سيبويه: أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر، تح: عبد السّلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: 03، 1408ه/1988م، ج: 4، ص: 241-240.

- يتكوّن الصّوت من الحرف والحركة المصاحبة له.

وعموما فالحركة «مصطلحا إنّما يطلق في القديم على الفتحة والكسرة والضّمّة (ـــَـــــــــــِـــــــــــُـــ)، أو ما يعرف في الدّرس الحديث بالحركات القصار»[1] .

وعلّل "ابن جنّي" تسمية الحركات بقوله: «وإنّما سُمّيت هذه الأصوات النّاقصة حركات لأنّها تقلق الحرف الذي تقترن به وتجذبه نحو الحروف التي هي أبعاضها، فالفتحة تجذب الحرف نحو الألف، والكسرة تجذبه نحو الياء، والضّمّة تجذبه نحو الواو، ولا يبلغ النّاطق بها مدى الحروف التي هي أبعاضها، فإن بلغ بها مداها تكلّمت الحركات حروفا، أعني ألفا وياء وواوا»[2].

أمّا المحدثون فاعتمدوا تعريف "دانيال جونز" (*Daniel Jones*) للصّوائت، وأجمعوا على أنّ: «الصّوت الصّائت هو: "الصّوت المجهور الذي يحدث في أثناء النّطق به أن يمرّ الهواء حرّا ا طليقا خلال الحلق والفم دون أن يقف في طريقه أيّ عائق أو حائل، ودون أن يضيق مجرى الهواء ضيقا من شأنه أن يحدث احتكاكا مسموعا»[3]؛ ومن هذا التّعريف يمكننا أن نميّز الحركات من غيرها من الأصوات بالخواصّ الآتية:

- سعة مجرى الصّوت.
- الوضوح السّمعي.
- الصّوائت غير احتكاكيّة.
- الجهر
- الاستمراريّة.[4]

وللحركات علامات وضعت للدّلالة عليها كانت أولاها محاولة "أبي الأسود الدّؤلي" والمتمثّلة في نقط المصحف حيث «أحضر من يمسك المصحف، وأحضر

---

[1]- علم الأصوات: كمال بشر، دار غريب، القاهرة، ط: 2000م، ص: 445.

[2]- سرّ صناعة الإعراب: أبو الفتح عثمان ابن جنّي، تح: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط: 02، 1413ه/1993م، ج: 01، ص: 26-27.

[3]- الأصوات العربيّة المتحوّلة وعلاقتها بالمعنى: عبد المعطي نمر موسى، دار مكتبة الكندي للنّشر والتّوزيع، الأردن، ط: 01، 1435ه/2014م، ص: 143. وينظر:علم الأصوات العربيّة: محمد جواد النّوري، منشورات جامعة القدس المفتوحة، الأردن، ط: 01، 1996م، ص: 184. وأصوات اللغة: عبد الرّحمن أيوب، مطبعة الكيلاني، مصر، ط:02، 1968م، ص: 156-157. ينظر: دراسة في علم الأصوات : حازم علي كمال الدّين، مكتبة الآداب، القاهرة، ط: 01، 1420ه/1999م، ص: 52. ينظر: علم اللغة: مقدّمة للقارئ العربي: محمود السّعران، دار النهضة العربيّة، بيروت، دط، دت، ص: 148.

[4]- ينظر: الأصوات العربيّة المتحوّلة وعلاقتها بالمعنى: عبد المعطي نمر موسى، ص: 147.

صبغا يخالف لون المداد. وقال للذي يمسك المصحف عليه: إذا فتحت فاي فاجعل نقطة فوق الحرف، وإذا كسرت فاي فاجعل نقطة تحت الحرف، وإذا ضممت فاي فاجعل نقطة أمام الحرف، فإن أتبعت شيئا من هذه الحركات غنّة (يعني تنوينا) فاجعل نقطتين. ففعل ذلك حتّى أتى على آخر المصحف»[1].

ثمّ جاء "الخليل بن أحمد الفراهيدي" الذي طوّر نظام الحركات ووضع الحركات المعمول بها الآن. و«الأخفش مثلا عند حديثه عن العلامات يقول: وللحروف علامات وضعت ليستدلّ بها، فالسّاكن خا يجعل فوقها، وللتّثقيل (للتّشديد) سين فوقه وللمضموم غير المنوّن واو، وللمكسور خطّ من تحته، وللمفتوح خطّ من فوقه، فإن كان شيء من ذلك منوّنا جعلت له نقطتين»[2].

ب- حروف الإعراب:

➢ **الصّوائت الطّوال:**

استوفيت الحركات[3]، وهي الأصل في الإعراب فاختيرت الصّوائت الطّوال فروعا لها[4]، والظّاهر أنّها كانت أوفر حظّا من الحركات دراسةً في التّراث العربي؛ حيث درست مختلف الزّوايا الخاصّة بها؛ وعرَفها اللغويّون العرب تبعا لذلك بمسمّيات مختلفة تبعا للزّاوية المدروسة؛ فكانت:

➢ **الأصوات الجوفيّة**:

وهو اسم مشتقّ من الجوف، المخرج الذي نسبت إليه، وهذا واضح من كلام "الخليل بن أحمد" القائل: «في العربيّة تسعة وعشرون حرفا صحاحا لها أحياز ومدارج، وأربعة أحرف جوف، وهي: الواو والياء والألف اللّيّنة والهمزة، وسمّيت جوفا لأنّها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان، ولا من مدارج الحلق، ولا من مدرج اللهاة، إنّما هي هاوية في الهواء فلم يكن إليها حيّز تنسب إليه إلّا الجوف»[5].

---

[1]- صبح الأعشى في كتابة الإنشا: أبو العبّاس أحمد القلقشندي، المطبعة الأميريّة، القاهرة، 1333ه/1914م، ص: 160.

[2]- علم الأصوات: كمال بشر، ص: 422.

[3]- ينظر: شرح كافية ابن الحاجب: رضيّ الدين محمّد بن الحسن الأسترآبادي، تقديم: إيميل بديع يعقوب، دار الكتب العلميّة، بيروت، دط، دت، ج:01، ص: 67.

[4]- ينظر: الإيضاح في علل النّحو: أبو القاسم الزّجّاجي، ص: 72.

[5]- العين: الخليل بن أحمد، ج: 01، ص: 57.

➢ **أصوات اللين:**

علّل "مكّي بن أبي طالب" هذه التّسمية بقوله: «وإنّما سمّين بحروف اللين؛ لأنّهنّ يخرجن من اللفظ في لين من غير كلفة على اللسان واللهوات، بخلاف سائر الحروف، وإنّما ينسللن بين الحروف عند النّطق بهنّ انسلالا بغير تكلّف...وهما: الواو السّاكنة التي قبلها فتحة، والياء السّاكنة التي قبلها فتحة»[1].

➢ **أصوات المد:**

وسبب هذه التسمية «أنّ مدّ الصّوت لا يكون في شيء من الكلام إلا فيهنّ، مع ملاصقتهنّ لساكن قبلهنّ، أو لهمز قبلهنّ أو بعدهنّ ولأنّهنّ في أنفسهنّ مدّات»[2]، مع الإشارة إلى أنّ المقصود بالسّاكن هنا الصّوت الصّامت؛ إدراكا منه أنّ أصوات المدّ هي الحركات مع فارق الزّمن أو المدّة، ويستعين "سيبويه" بالأمثلة في شرحه فيقول: «فالياء التي كالألف ياء قنديل، والواو واو زنبور، كياء يبيع وواو يقول، لأنّهما ساكنتان وحركة ما قبلهما منهما»[3]؛ والمستفاد من أمثلة "سيبويه" أنّ المدّ يكون في الأسماء (قنديل وزنبور) سواء كانت أصلية كقنديل، أو زائدة كزنبور، والأفعال (يقول ويبيع) واويا كيقول أو يائيا كيبيع.

[1]- الرّعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التّلاوة: أبو محمّد مكّي بن أبي طالب القيسي، تح: مكتبة قرطبة، مؤسّسة قرطبة، الجزائر، ط:01، 2005م، ص: 65.

[2]- المصدر نفسه.

[3]- الكتاب: سيبويه، ج: 4، ص: 290.

➢ **الأصوات الهوائيّة:**

وهو مصطلح نسبه "المبرّد" إلى النّحاة في قوله: «الألف لا تكون أصلا، ولا تكون إلا بدلا أو زائدة. وإنّما هي هواء في الحلق يسمّيها النّحويون الحرف الهاوي»[1]، وعلّل "مكّي بن أبي طالب" هذه التّسمية فقال: «وإنّما سمّيت بالهوائيّة؛ لأنّهنّ نسبن إلى الهواء؛ لأنّ كلّ واحدة منهنّ تهوي عند اللفظ بها في الفم، فعمدة خروجها في هواء الفم»[2].

➢ **المصوّتات:**

قال "المبرّد": «فمن حروف البدل حروف المد واللين المصوتة وهي الألف والواو والياء»[3].

وهذا الاسم لغويا عند "ابن جنّي" مشتقّ من الصّوت و«الصوت مصدر صات الشّيء يصوت صوتا فهو صائت وصوّت تصويتا فهو مصوت»[4]، أمّا في الاصطلاح فجعله مرادفا للحروف الممطولة، يقول: «والحروف الممطولة هي الحروف الثّلاثة اللينة المصوّتة. وهي الألف والياء والواو»[5]، واختار "ابن سينا" هذا الاسم للواو والياء المصوتتين في مقابل الصامتتين[6]، كما سُمّي ما كان محرك الرّويّ من القوافي قافية مطلقة[7] تمييزا بينها وبين السّاكنة.

---

[1]- المقتضب: أبو العبّاس محمد بن يزيد المبرّد، تح: محمّد عبد الخالق عضيمة، لجنة إحياء التّراث الإسلامي، القاهرة، 1415ه/1994م، ج: 01، ص: 292.

[2]- الرّعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التّلاوة: مكّي بن أبي طالب، ص: 66.

[3]- المقتضب: المبرّد، ج: 01، ص: 199.

[4]- سر الصناعة: ابن جني: ج: 01، ص: 9-10.

[5]- الخصائص: ابن جني، ج: 03، ص: 124.

[6]- ينظر: رسالة أسباب حدوث الحروف: أبو عليّ الحسين بن عبد الله بن سينا، تح: محمّد حسّان الطيّان ويحيى مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربيّة، دمشق، دط، دت، ص: 84-85.

[7]- ينظر: ميزان الذهب في صناعة شعر العرب: السّيّد أحمد الهاشمي، تح: حسني عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب، القاهرة، ط: 01، 1418ه/1997م، ص 117.

➢ **أصوات الإطلاق:**

وهو مصطلح يرجع إلى «إطلاق الهواء سلسا»[1] عند النّطق بالألف والواو والياء، ويقصد بالإطلاق «التّرك والإرسال»[2] في إشارة إلى حرية مرور الهواء الصّادر من الرّئتين أثناء النّطق بها.

➢ **أصوات الإشباع:**

وتعود هذه التّسمية إلى سبب تكوين أصوات المدّ في نظر "ابن جنّي" الذي قال: «هذه الحروف اللائي يحدثن لإشباع الحركات لا يكنّ إلا سواكن؛ لأنّهنّ مدّات، والمدّات لا يتحرّكن أبدا»[3].

➢ **حروف العلّة:**

وهو مصطلح صرفيّ بالدّرجة الأولى، «وإنّما سمّيت بحروف العلّة؛ لأنّ التّغيير والعلّة والانقلاب لا يكون في جميع كلام العرب إلا في أحدها، تعتلّ الياء والواو؛ فتنقلبان ألفا مرّة وهمزة مرّة، نحو: كال، وقال، وسقاء، ودعاء»[4].

➢ **حروف الزيادة:**

وحروف الزّيادة كاملة تجمع في قولنا: سألتمونيها؛ ولكنّ الصّوائت الطّوال أمّهات الزّوائد كما يوضّح "ابن جنّي" في قوله: «أبدلوا هذه الحروف التي منها الحركات لأنّها أخوات وهي أمّهات البدل والزّوائد، وليس حرف يخلو منها أو من بعضها، وبعضها حركاتها. وليس حرف أقرب إلى الهمزة من الألف وهي إحدى الثّلاث، والواو والياء شبيهة بها أيضا مع شركتهما أقرب الحروف منها»[5]؛ جعل الألف أصلا والياء والواو فرعا لها لعلة المشابهة؛ وتفسير ذلك أنّ «الألف لا تكون أصلا، ولا تكون إلا بدلا أو زائدة»[6].

والتّعاريف السّابقة لأصوات العلّة تنمّ عن إدراك تام لدى النّحاة واللغويّين القدامى للفرق بين أصوات العلّة حينما تكون مدّة خالصة، وحينما تكون ساكنة أو ليّنة، حيث

---

[1]- رسالة أسباب حدوث الحروف: ابن سينا، ص: 84.
[2]- لسان العرب: ابن منظور، ج: 10، ص: 229.
[3]- سرّ صناعة الإعراب: ابن جنّي، ج: 01، ص: 28.
[4]- الرّعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التّلاوة: أبو محمّد مكّي بن أبي طالب القيسي، ص: 67.
[5]- الكتاب: سيبويه، ج: 3، ص: 544-545.
[6]- المقتضب: المبرّد، ج: 1، ص: 292.

«الواو السّاكنة المضموم ما قبلها والياء السّاكنة المكسور ما قبلها والألف السّاكنة المفتوح ما قبلها وهي لا تكون دائما إلا حرف مدّ ولين لأنّها لا تتغيّر عن سكونها ولا يتغيّر ما قبلها عن الحركة المجانسة لها بخلاف الواو والياء فإنّهما تارة يكونان حرفيّ مدّ إذا سكنا وناسبهما حركة ما قبلهما، وتارة يكونان حرفي لين إذا انفتح ما قبلهما كالخوف والبيت»[1]، وعرفوا مواضع قبول الياء والواو اللّيّنتين المد، وهو واضح في تعريف أصوات المدّ، وفي كلام "محمّد مكّي نصر الجريسي" مؤكّدا: «الواو والياء إذا انفتح ما قبلهما كانا حرفي لين لا مدّ فيهما ولكنّهما قابلان للمدّ عند ملاقاة سببه وهو الهمز أو السّكون»[2].

فالأمر إذن يتعلّق بحال هذه الحروف «فمن نظر إليها، وهي محرّكة، اعتبرها حروف علّة، ومن نظر إليها وهي ساكنة، اعتبرها حروف علّة ولين. أمّا من نظر إليها على أنّها حركات طويلة للصّوامت السّابقة عليها، فقد اعتبرها حروف مد»[3]؛ على أنّ صفة اللين تصاحب المدّ وليس العكس صحيحا.

أمّا المحدثون فأطلقوا على هذا الأصوات مصطلح **الصّوائت الطّوال** أو **الحركات الطّوال** وهو «مصطلح حديث نسبيا، نطلقه الآن على ما يعرف في القديم بحروف المدّ. وهي الألف في نحو قال والياء في قيل والواو في يقول. وعلى الرّغم من أنّهم لم ينعتوها بالحركات، فإنّهم، في جملة الكلام حولها يلقون إلينا بمجمل تلك الخواصّ والسّمات التي تميّزها من غيرها من الأصوات، والتي من شأنها أن تصنّفها "حركات"، وفقا للمعايير المقرّرة في الدّرس الصّوتي لهذا الصّنف من الأصوات. ذلك أنّهم أشاروا إلى كيفيّة إصدارها، من اتّساع مخرج الهواء عند أدائها ومروره دون عائق، كما أشاروا إلى كونها مجهورة، وأكّدوا ربطها ربطا وثيقا بالفتحة والكسرة والضّمّة التي صنّفت في القديم وتصنّف الآن حركات قصيرة، وفقا لمعايير هذا التّصنيف بلا خلاف»[4].

العلل قيمتان صوتيتان مختلفتان:

فرّق اللّغويّون العرب بين الألف والواو والياء في حالتي الصّحّة والاعتلال، يقول "ابن جنّي": «جميع الحروف صحيح إلا الألف والياء والواو اللواتي هنّ حروف المدّ

[1]- نهاية القول المفيد في علم تّجويد القرآن المجيد: محمّد مكّي نصر الجريسي، ص: 173.
[2]- المصدر نفسه، ص: 37.
[3]- حروف العلّة دراسة لغوية: عبد الحميد عليوة مسعد، مجلّة علوم اللغة، المجلّد الخامس، العدد الرّابع، دار غريب للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، 2002م، ص:127.
[4]- علم الأصوات: كمال بشر، ص: 430

والاستطالة، وقد ذكرناهنّ قبل، إلا أنّ الألف أشدّ امتدادا وأوسع مخرجا، وهو الحرف الهاوي»[1]؛ يلاحظ من كلام "ابن جنّي" تمييزه الصّوائت من العلل بل حتى بين العلل نفسها فتراه يميّز اللواتي هنّ حروف المدّ والاستطالة مدخلا غير المدّية في فئة الأصوات الصّحاح.

وبيّن قدماء اللغويّين العرب أنّ العلل تصحّ في الحالات الآتية:

1. إذا تحرّكت: يقول "ابن جنّي": «الياء والواو لمّا تحرّكتا قويتا بالحركة، فلحقتا بالحروف الصّحاح»[2]، أمّا الألف فمقابلها الصّحيح الهمزة كما يتّضح من كلام "المبرّد": «الألف إذا حرّكت صارت همزة»[3].
2. للسّكون: يقول "سيبويه": «وإذا كان قبل الياء والواو حرف ساكن جرتا مجرى غير المعتلّ، وذلك نحو: ظبي ودلو، لأنّه لم يجتمع ياء وكسرة، ولا واو وضمّة، ولم يكن ما قبلهما مفتوحا فتجري مجرى ما قبله الكسرة أو ما قبله الضّمّة في الاعتلال. ومن ثمّ قالوا: مغزوٌّ كما ترى وعتوٌّ فاعلم»[4]، وأكّد على العلل متى كانت لاما للإعراب فقال: «كلّ ياء أو واو كانت لاما وكان قبلها حرف ساكن جرى مجرى غير المعتلّ»[5]، أمّا "المبرّد" فأفرد له بابا أسماه: «هذا باب ما يصحّ من ذوات الياء والواو لسكون ما قبله وما بعده»[6].
3. لحرف العلّة بعدها: تصحيحها في هذه الحالة تجنّبا لاجتماع علّتين كما يوضّح "المبرّد" في قوله: «واعلم أنّ اللام إذا كانت من حروف اللين، والعين من حروف اللين فإنّ العين تصحّح، ولا تعتلّ، وتعلّ اللام، فتكون العين بمنزلة غير هذه الحروف؛ لئلا تجتمع على الحرف علّتان»[7]، وأمّا ما ذهب إليه "السّيوطي" في قوله: «حرفي العلّة الياء والواو قد صحّا في بعض المواضع للحركة بعدهما كما يصحّان لوقوع حرف اللين ساكنا بعدهما. وذلك نحو: القَوَد والحَوَكة، والخونة، والغَيَب، والصّيد...»[8] فأغلب

[1]- سرّ صناعة الإعراب: ابن جنّي، ج: 01، ص: 62.
[2]- المصدر نفسه، ص: 20.
[3]- المقتضب: المبرّد، ج: 1، ص: 237.
[4]- الكتاب: سيبويه، ج: 4، ص: 384.
[5]- المصدر نفسه، ج: 3، ص: 471.
[6]- المقتضب: المبرّد، ج: 1، ص: 271.
[7]- المصدر نفسه، ج: 1، ص: 290.
[8]- الأشباه والنّظائر: جلال الدّين السّيوطيّ، ج: 02، ص: 36.

الظّنّ أنّه قصد بحرف اللين السّاكن بعدهما صائتا طويلا، كما يفهم من كلامه.

4. إذا كان معتلّ العين على "فَعْل" لسكونها: «فإن كان شيء من هذا* على (فَعْل) صحّت واوه وياءه، لسكونهما»[1]، وهو الأصل.

أمّا المحدثون فأطلقوا على الواو والياء مصطلح "أنصاف الصّوائت" نظرا لخصائصها الصّوتيّة والوظيفيّة، واستنادا لما يتوفّر من معطيات حول هذين الصّوتين ذهب "كمال بشر" للقول إنّ «الواو والياء قيمتان صوتيتان مختلفتان الأولى تكمن في كونهما حركات، كما في القاضي وأدعو، وذلك لأنّ الياء في المثال الأوّل والواو في المثال الثّاني ينطبق عليهما تعريف الحركات السّابقة انطباقا تامّا، وهذه الياء ليست إلا رمزا لحركة عربيّة طويلة هي الكسرة، والواو هي الأخرى رمز لحركة طويلة هي الضّمّة. أمّا القيمة الثّانية فتتمثّل في كونهما وحدتين ضمن نظام الأصوات الصّامتة consonants والحكم عليهما بأنّهما أفراد في هذا النّظام يرجع إلى أسباب صوتيّة نطقيّة وإلى أسباب وظيفية»[2]، فأمّا الأسباب الصّوتيّة فموازنة بينها وبين الحركات صوتيّا*؛ يظهر أنّها تنماز بـ:

1. قلّة وضوحهما في السّمع إذا قيسا بالحركات.
2. الفراغ بين مقدّم اللسان وبين الحنك الأعلى في نطق الياء يكون أضيق منه حال النّطق بالكسرة الطّويلة (= الياء الأخرى). ويترتّب على ذلك أنّنا نسمع نوعا من الحفيف الخفيف في نطق هذه الياء. وكذلك الحال مع الواو حيث يكون الفراغ بين أقصى اللسان وأقصى الحنك حال النّطق بها أضيق منه حال النّطق بالضّمّة (وهي الواو الأخرى). ومن ثمّ نسمع حفيفا خفيفا مع النّطق بهذه الواو.
3. الواو والياء في نحو المثالين السّابقين أقصر من الحركتين المناظرتين لهما[3].

ولكنّ "كمال بشر" فضّل الاعتماد على الخصائص الوظيفية لهذه الأصوات للحكم عليها؛ يقول: «نرى أنّه من الأوفق الالتجاء إلى الخواص الوظيفية لهذين الصّوتين لنتأكّد من حقيقة وضعهما. وبالرّجوع إلى هذه الوظيفة تأكّد لنا أنّ الواو والياء في

---

*- أي معتلّ العين.

[1]- المقتضب: المبرّد، ج: 1، ص: 250.

[2]- علم الأصوات: كمال بشر ، ص: 164.

*- سبق لنا الحديث عن خصائص الصّوائت أثناء التّعريف بالحركات.

[3]- ينظر: المصدر نفسه، ص: 165.

المثالين السّابقين (ولد، يترك) تقومان بدور الأصوات الصّامتة وتقعان موقعهما تماما في التّركيب الصّوتي للغة العربيّة»[1]؛ وذلك أنّهما وظيفيّا «-كالأصوات الصّامتة تماما- متبوعتان بحركات [wa , ya]، وأنّهما وقعتا في أوّل الكلمة وهما (الإتباع بحركة والوقوع في أوّل الكلمة) خاصّتان تنفرد بهما الأصوات الصّامتة دون الحركات؛ إذ من المستحيل في العربيّة اجتماع حركتين في كلمة واحدة، كما يستحيل وقوعهما في أوّل الكلمة»[2]؛ وذلك «لامتناع بدء الكلمة العربيّة بالحركات»[3].

وحصرا للسّياقات التي تصحّ فيها الواو والياء قال "كمال بشر": «الواو والياء في اللغة العربيّة من الأصوات الصّامتة وظيفيا في السّياقات الآتية:

1. إذا وقعت الواو والياء في أوّل الكلمة.
2. إذا أُتبعتا بحركة من أيّ نوع .
3. إذا وقعتا ساكنين وقبلهما فتحة.

وقد نبّهنا ابن جنّي إلى سياق آخر للواو والياء الصّامتتين، وذلك إذا جاءتا مضعّفتين، كما في نحو " اجلوّذ" وشيّد. ويقول حينئذ إنّهما " قويتا بالتّضعيف فأشبهتا الحروف الصّحاح"»[4].

والملاحظ أنّ "كمال بشر" استعمل أوصافا تقرّب هذه الأصوات من الصّوامت ولكنّه لم يجزم بصمتها؛ إذ وصفها بوحدة ضمن نظام الأصوات الصّامتة، والصّامتة وظيفيّا، وكالأصوات الصّامتة تماما، فإمّا أنّه قيّد صمتها أو شبّهها بها وحتّى دخولها نظامهم لا يجعلها واحدة منهم، ثمّ نراه يطمئنّ لمصطلح أنصاف الصّوامت، الذي علّله قائلا: «مع هذا ينبغي ألا ننسى أنّهما في هذه الحالات لهما شَبَه نطقيّ بالحركات، كما أنّ لهما شبها وظيفيّا بالأصوات الصّامتة من جهة أخرى. ولهذا يطلق عليهما العلماء في هتين الحالتين " أنصاف الحركات" semi vowels»[5].

➢ **النّون:**

---

[1]- المصدر نفسه، ص: 165-166.
[2]- المصدر نفسه، ص : 166.
[3]- دراسات في علم اللغة: كمال بشر، دار غريب للطّباعة والنّشر والتّوزيع، مصر، 1998م، ص: 97.
[4]- علم الأصوات: كمال بشر، ص: 168.
[5]- المصدر نفسه.

النّون علامة إعراب الأفعال الخمسة، وجعل "ابن جنّي" الإعراب بالنّون من باب تدريج اللغة فقال: «لمّا أعربوا بالواو والياء والألف في الزّيدون والزّيدين والزّيدان تجاوزوا ذلك إلى أن أعربوا بما ليس من حروف اللين. وهو النّون في يقومان وتقعدين وتذهبون. فهذا جنس من تدريج اللغة»[1].

وجعلت النّون فرعا للصّوائت في الإعراب لعلّة المشابهة؛ إذ «الأصل في الدّلالة على المعاني الطّارئة على الأسماء أن تكون بحروف المدّ واللين وأبعاضها، وهي الحركات الثّلاث، فمتى قدر عليها؛ فهي الأصل، فإن تعذّرت فأقرب شبها بها، وآخر الأسماء المعربة قد لحقتها حركات الإعراب، فلم يبق لدخول حركة أخرى عليها سبيل، ولا لحروف المدّ واللين؛ لأنّها مشبعة من تلك الحركات، ولأنّها عرضة الاعتلال والتّغيير. فأشبه شيء بها: النّون السّاكنة؛ لخفائها وسكونها، وأنّها من حروف الزّيادة، وأنّها من علامات الإعراب»[2]؛ ناهيك أنّها من الأصوات الرّنّانة التي تمتاز بالوضوح السّمعي sonority إضافة إلى اللام والميم والواو والياء[3].

وبمقارنة اللام والميم والنّون بالحركات صوتيّا يتبيّن أنّ «هذه الأصوات الأربعة مازالت من الصّوامت Consonants بحكم المعايير الأساسية للتّصنيف، ولكنّها في الوقت نفسه ذات شبه كبير ونسب كبير بالحركات من النّاحيتين النّطقيّة والسّمعيّة. يتبيّن لنا ذلك من جملة الخواص الآتية:

1. اللام والميم والنّون تشترك مع الحركات في أهمّ خاصّة من خواصّها النّطقيّة، وهي حرّية مرور الهواء، دون أيّ عائق أو مانع. والفرق هو أنّ هواء الحركات يخرج من الفم، في حين يخرج هواء اللام مع جانبي الفم وهواء الميم والنّون من الأنف. أمّا هواء الرّاء -وإن كان يخرج من الفم متقطّعا- فمازال يشبه هواء الحركات في حرّية الخروج، كلّما انفصل اللسان عن نقطة النّطق.
2. اللام والميم والنّون والرّاء كلّها مجهورة، شأنها في ذلك شأن الحركات.

هذه الأصوات الأربعة تشبه الحركات في خاصّة سمعيّة مهمّة تتمثّل فيما يعرف بالوضوح السّمعي sonority، وذلك نتيجة طبيعية لحرّية مرور الهواء عند نطق هذه

---

[1]- الخصائص: ابن جنّي، ج: 01، ص: 295-296.

[2]- بدائع الفوائد: أبو عبد الله محمّد بن أبي بكر بن أيّوب بن قيّم الجوزيّة، تح: علي بن محمّد العمران، إشراف بكر بن عبد الله بوزيد، دار عالم الفوائد، مكّة، دط، دت، ص: 63.

[3]- ينظر: علم الأصوات: كمال بشر: ص: 150.

الأصوات جميعا. لهذا نرى نعت هذه الأصوات الأربعة بنعت ينبئ عن هذه الأصوات الصّامتة. هذا النّعت هو "أشباه الحركات"»[1]، وأضاف إليها تسمية الأصوات البينية وعللها بقوله: «الأصوات البينيّة أصوات صامتة وظيفيا، أي: من حيث موقعها ودورها في بنية الكلمة، شأنها في ذلك شأن الأصوات الصّامتة . ولكنّها -في الوقت نفسه- تفصح عن شبه ما بالحركات أو الأصوات الصّائتة vowels من حيث النّطق والأداء الفعلي»[2].

تعرّفنا في الصّفحات السّابقة على الإعراب وعلاماته الأصليّة منها والفرعيّة، وعرفنا أنّه ظاهرة موروثة عن اللغة السّامية الأمّ. حافظت عليه اللغة العربيّة وطوّرت مع الوقت للحركات رموزا تساعد على صيانة اللغة من اللحن واللسان من الزّلل.

ولأنّنا نهتمّ في بحثنا بالعلامات الإعرابية بوصفها أثرا صوتيّا، سنتعرّض في فصول بحثنا إلى محلّ العلامات الإعرابية من الأبواب الصّوتيّة فونيتيكيّا ففونولوجيّا حتّى الوصول إلى دراستها أسلوبيّا عبر نموذج تمثّل في إلياذة الجزائر للشّاعر "مفدي زكريا".

[1]- المصدر نفسه: ص: 358-359.
[2]- المصدر السّابق: ص: 345.

الفصل الأوّل: الدّراسة الفونيتيكية للعلامات الإعرابيّة

- المبحث الأوّل: مخارج العلامات الإعرابيّة وآلية إنتاجها
- المبحث الثّاني: الصّفات الصّوتيّة للعلامات الإعرابيّة (الخصائص الصّوتية)
- المبحث الثّالث: تشكيلها ورسمها.

لدراسة الصّوائت العربيّة استعان اللغويون العرب في العصر الحديث بالدّراسات الغربيّة مضافة إلى التّراث اللغوي، وأشهر عمل غربيّ في القرن العشرين ما قدّمه "دانيال جونز" (Daniel Jones) [1] الذي توصّل إلى ما يسمّى "النّظام المعياري" للحركات، أو الحركات المعياريّة؛ و«هي حركات ليست مأخوذة من لغة معيّنة ولا يفترض وجودها في لغة معيّنة كذلك. فربّما توجد في بعض اللغات وربّما لا توجد في بعض آخر، فهي إذن حركات لا تنسب إلى أيّ لغة، وإنّما هي "معايير" أو "مقاييس" عامّة، تنسب إليها وتقاس عليها أيّة لغة يراد دراستها أو تعلّمها»[2].

الهدف إذن من ابتكار "دانيال جونز" (Daniel Jones) الحركات المعياريّة وضعُ معايير عامّة لدراسة الحركات ومعرفة قيمها عن طريق مقارنتها بهذه الصّوائت المعياريّة، الأمر الذي يؤكّده "عبد الرّحمن أيوّب" في قوله: «ليست الأصوات المعياريّة سوى محاولة قام بها عالم الأصوات الإنجليزي الأستاذ دانيال جونز لابتكار مقاييس يعيّن بواسطتها قيمة الأصوات التي تصادف الباحث اللغويّ، والمعروف عن المقاييس أنّها كمّيات اعتباطيّة يضعها شخص من الأشخاص ويحتفظ بها لمقارنة أمور أخرى»[3]، وهو ما قام به المحدثون العرب كما سيأتي.

إنتاج الصّوائت المعياريّة:

يتّضح من التّعريف الذي قدّمه "دانيال جونز"(Daniel Jones) للصّوائت وتبنّاه اللغويّون المحدثون أنّ إنتاج الصّوائت يعتمد على حرّية مرور الهواء خلال الحلق والفم دون أن يعترضه عائق «فيتّخذ شكلَ ممرّ الهواء المفتوح فيما فوق الحنجرة؛ فهذا الممرّ يكوّن صندوقا رنّانا يغيّر من طبيعة الصّوت النّاتج عن ذبذبة الوترين الصّوتيين. فالأشكال المختلفة التي يتّخذها هذا الممرّ تغيّر طبيعة الصّوت على أشكال مختلفة، ومن ثمّ فهي تسبّب ظهور صوائت متمايزة»[4].

درس "دانيال جونز" (Daniel Jones) الأشكال التي يتّخذها ممرّ الهواء عند النّطق بالصّوائت فخلص إلى الحركات المعياريّة، «وقد وصل هذا اللغويّ إلى تصوّره لهذه الحركات بالنّظر إلى عضوين هامّين كلّ الأهمّية في إنتاج الحركات وتكوينها، وهذان

[1]- ينظر: دراسة الصّوت اللغويّ: أحمد مختار عمر،عالم الكتب، القاهرة، 1418ه/1997م، ص: 148.
[2]- علم الأصوات: كمال بشر، ص: 225.
[3]- أصوات اللغة : عبد الرحمن أيّوب، ص: 160-161.
[4]- علم اللغة مقدّمة للقارئ العربي: محمود السّعران، ص: 183.

العضوان هما: اللسان والشّفتان، باعتبارهما العضوين الرّئيسيين المسؤولين عن تعديل شكل تيّار الهواء المتدفّق من الرّئتين خلال الفم والمنتج للحركات»[1]؛ وبالتّالي فإنّ «تحديد صوت المدّ يعتمد على وضع اللسان داخل تجويف الفم وشكل الشّفتين عند إنتاج كلّ صوت مدّ، وقد تبيّن من تصوير أشعّة إكس أنّ اللسان يتّخذ وضعا معيّنا عند النطق بكلّ صوت مدّ من حيث ارتفاع سطحه المحدّب»[2].

واعتمادا على هذين العضوين وضع دانيال جونز (Daniel Jones) تسع صوائت هي [i e ɛ a ɑ ɔ o u] مضافة إلى الحركة المركزية ə. وفقا للشّكل الآتي:

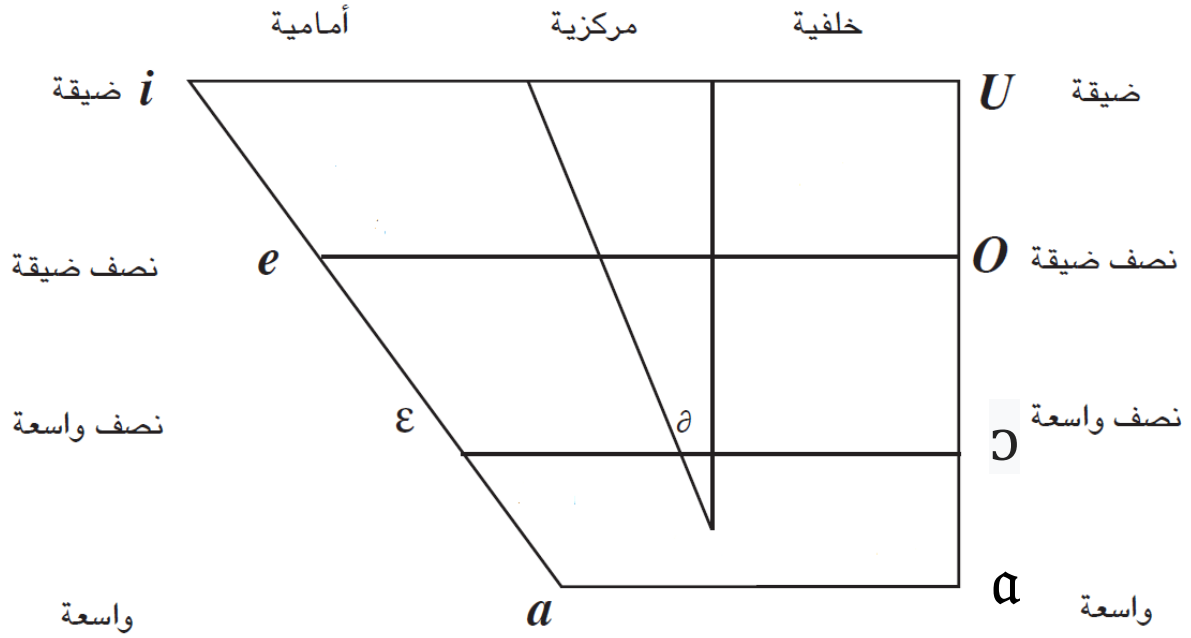

الشّكل رقم (02): رسم تخطيطي يوضّح مخارج الصّوائت على اللسان.

وفيما يلي وصف موجز لآلية إنتاجها:

- الحركة المعياريّة رقم (1) = i: وهي الصّائت الذي يكون أعلى نقطة في اللسان عند النّطق به أماميّة وقريبة من سقف الحنك إلى أقصى حدّ ممكن، أي بحيث لو زاد ارتفاع اللسان لسمع احتكاك أو حفيف حوّل الصّوت إلى

[1]- علم الأصوات العربيّة: محمد جواد النوري، ص: 184. وينظر: علم الأصوات: كمال بشر، ص: 225.
[2]- الأصوات العربيّة المتحوّلة وعلاقتها بالمعنى: عبد المعطي نمر موسى، ص: 146.

نصف حركة وأصدر صوت الياء، أمّا الشّفاه فتكونان منفرجتين حال النّطق بهذه الحركة[1].

- الحركة المعيارية رقم (2) = e: وهي الصّائت الذي تكون أعلى نقطة في اللسان عند النّطق به أماميّة وتقع في الثّلث الأعلى من المسافة بين الصّائت الأماميّ الضّيّق، والصّائت الأماميّ الواسع[2].
- الحركة المعيارية رقم (3) = ɛ: وهي الصّائت الذي تكون أعلى نقطة من اللسان عند النّطق به أماميّة وتقع في الثّلث الأسفل من المسافة بين الصّائت الأماميّة الضّيّقة، والصّائت الأماميّ الواسع[3].
- الحركة المعيارية رقم (4) = a: وهي الصّائت الذي تكون أعلى نقطة من اللسان عند النّطق به بعيدة عن سقف الحنك قدر الإمكان، واللسان راقدا وممتدّا في الفم في وضع يشبه وضع الاستراحة. فيما يفتح للنّطق به الفكّان إلى أقصى درجة[4]، أمّا الشّفتين فتكونان غير منفرجتين.
- الحركة المعيارية رقم (5) = ɑ: وهي الصّائت الذي تكون أعلى نقطة في اللسان عند النّطق به خلفيّة، مع رجوعها إلى أبعد نقطة ممكنة، وتكون أبعد ما يمكن من مؤخّرة سقف الحنك؛ إذ ينفتح الفكّان إلى أقصى درجة ممكنة وينخفض اللسان إلى أقصى حدّ، وتكون الشّفاه عند النّطق بهذا الصّائت غير مدوّرتين[5].
- الحركة المعيارية رقم (6) = ɔ: وهي الصّائت الذي تكون أعلى نقطة في اللسان عند النّطق به خلفيّة، وتقع في الثّلث الأسفل من المسافة بين الحركة الخلفيّة الضّيّقة والحركة الخلفيّة الواسعة.[6]
- الحركة المعيارية رقم (7) = o: وهي الصّائت الذي تكون أعلى نقطة في اللسان عند النّطق به خلفيّة، وتقع في الثّلث الأعلى من المسافة بين الحركة الخلفيّة الضّيّقة والحركة الخلفيّة الواسعة.[1]

---

[1]- ينظر: أصوات اللغة: عبد الرحمن أيوب، ص: 163. ودراسة الصّوت اللغوي: أحمد مختار عمر، ص: 151. وعلم الأصوات: كمال بشر، ص: 227.

[2]- ينظر: أصوات اللغة: عبد الرحمن أيوب، ص: 163.

[3]- ينظر: المرجع السّابق.

[4]- ينظر: أصوات اللغة: عبد الرحمن أيوب، ص: 163. ودراسة الصّوت اللغويّ: أحمد مختار عمر: 151.

[5]- ينظر: أصوات اللغة: عبد الرحمن أيوب، ص: 162-163. ودراسة الصّوت اللغوي: أحمد مختار عمر، ص: 151. وعلم الأصوات: كمال بشر، ص: 227.

[6]- ينظر: أصوات اللغة: عبد الرحمن أيوب، ص: 163.

- الحركة المعيارية رقم (8) = u:وهي الصّائت الذي تكون أعلى نقطة في اللسان عند النّطق به خلفيّة، وأقرب ما يمكن من مؤخّرة سقف الحنك؛ إذ يرتفع اللسان إلى أقصى ما يمكن من الارتفاع، دون أن يحدث احتكاكا أو حفيفا مسموعا يحوّل الصّوت إلى نصف صائت وينتج صوت الواو، وتكون الشّفتان عند النّطق بهذا الصّائت مضمومتين ومدوّرتين[2].
- الحركة المعيارية رقم (9) = ɵ: وهي الصّائت الذي تكون أعلى نقطة في اللسان عند النّطق به في وسط منطقة الحركات؛ فلا يرتفع اللسان معها من الخلف ولا من الأمام ارتفاعا ملحوظا، كما لا ينخفض معها انخفاضا كبيرا في قاع الفم؛ أي أنّ هذه الحركة لا تنسب إلى الجزء الأماميّ ولا الخلفيّ من اللسان، وإنّما إلى وسطه لأنّه الجزء المرتفع نسبيّا حال النّطق به[3].

وصف وتصنيف الصّوائت المعياريّة:

تمّ تصنيف الصّوائت المعيارية اعتمادا على وضع العضوين المسؤولين عن تغيّر مجرى الهواء وتنوّع الصّوائت (اللسان والشّفتان)؛ فصنّفت انطلاقا من حركة اللسان داخل التّجويف الفموي باعتبارين اثنين هما:

1. وضعه بالنّسبة للحنك الأعلى من حيث الارتفاع والانخفاض: اعتمادا على المسافة بين أعلى نقطة من اللسان والحنك تقسّم الصّوائت المعياريّة أربعة أقسام:

- حركات يرتفع فيها اللسان إلى أقصى نقطة ممكنة: وهي: الحركة المعياريّة رقم (1): i ، والحركة المعياريّة رقم (8): u.
- حركات ينخفض فيها اللسان إلى أدنى درجة ممكنة وهي: الحركة المعياريّة رقم (4): a ، والحركة المعياريّة رقم (5): ɑ.
- حركات يرتفع فيها اللسان إلى الثّلث الأعلى من المسافة بين أقصى نقطة وأدنى نقطة وهي: الحركة المعياريّة رقم (2): e ، والحركة المعياريّة رقم (7): o.

---

[1]- ينظر: المرجع نفسه.

[2]- ينظر: أصوات اللغة: عبد الرحمن أيوب، ص: 162. ودراسة الصّوت اللغوي: أحمد مختار عمر، ص: 151. وعلم الأصوات: كمال بشر، ص: 228.

[3]- ينظر: أصوات اللغة: عبد الرحمن أيوب، ص: 164. وعلم الأصوات: كمال بشر، ص: 228.

- حركات يرتفع فيها اللسان إلى الثّلث الأدنى من المسافة بين أقصى نقطة وأدنى نقطة وهي: الحركة المعياريّة رقم (3): ɛ ، والحركة المعياريّة رقم (6): ɔ.

والحركة التّاسعة هي الحركة المركزيّة (ə) التي يرتفع اللسان فيها إلى منتصف المسافة بين أعلى نقطة وأدنى نقطة.

2. الجزء المعيّن من اللسان الذي يحدث فيه الارتفاع والانخفاض: [1]

- أربعة أماميّة يتّجه فيها وسط اللسان نحو الطّبق الصّلب (الغار) hard palate، وهي: الحركة المعياريّة رقم (1): i، والحركة المعياريّة رقم (2): e، والحركة المعياريّة رقم (3): ɛ ، والحركة المعياريّة رقم (4): a.
- أربعة خلفيّة يتّجه فيها مؤخّر اللسان نحو الطّبق اللّين Soft palate، وهي: الحركة المعياريّة رقم (5): ɑ، والحركة المعياريّة رقم (6): ɔ، والحركة المعياريّة رقم (7): o، والحركة المعياريّة رقم (8): u.

أمّا بالنّسبة للشّفتين فمن حيث:

- ضمّهما: وتتخذه الشّفتان على تفاوت في نسبته مع الحركات الخلفيّة [u o ɔ ɑ].
- وانفراجهما: وتتخذه الشّفتان على تفاوت في نسبته مع الحركات الأماميّة [a ɛ e i].
- حيادهما: وتتخذه الشّفتان مع الحركة المتوسّطة، أو الحركة المركزيّة كما تسمّى(ə).

فونيتيكيا كان هذا أهمّ ما يخصّ الحركات المعياريّة الأساسيّة التي جاء بها "دانيال جونز" (Daniel Jones) في بداية عشرينيات القرن الماضي، أمّا الحركات العربيّة والتي تمثّل الأصل في العلامات الإعرابية فلها تاريخ طويل، حتّى إنّ منهم من ذهب إلى أنّ اللحن فيها كان السّبب في وضع علم النّحو. ولهذا سنتطرّق إلى الجوانب الفونيتيكية الخاصّة بالحركات إنتاجا ووصفا وكتابة، لدى القدماء فالمحدثين مقارنين إيّاها بالحركات المعياريّة.

[1]- ينظر: دراسة الصّوت اللغوي: أحمد مختار عمر، ص: 150-151.

المبحث الأوّل: مخارج العلامات الإعرابيّة وآلية إنتاجها:

أوّلا: علامات الإعراب الأصليّة:

جاء الكلام عن الصّوائت في مصنّفات القدامى مبثوثا في مختلف الأبواب اللغويّة، ولم يفرد لها باب صوتي كباقي الأصوات، وهو ما دفع "كمال بشر" للقول إنّ «للحركات نصيب من النّظر والدّرس عند علماء العربيّة، وإن لم يمنحوها اهتماما يعدل أهمّيتها ووظيفتها في البناء اللغوي، وبخاصّة فيما يتعلّق بالحركات القصيرة (ـَـِـُ)»[1]

وفي حديثهم عن مخارج الحركات رأى "السّيوطي" أنّ المحقّقين من النّحاة اختلفوا على ضربين[2] فذهب بعضهم إلى أنّ «الحرف له مخرج مخصوص، والحركة لا تختصّ بمخرج»[3]؛ وهو مذهب يحيلنا إلى ما جاء به "الخليل بن أحمد" في قوله: «في العربيّة تسعة وعشرون حرفا: منها خمسة وعشرون حرفا صحاحا لها أحياز ومدارج، وأربعة أحرف جوف وهي: الواو والياء والألف اللّيّنة. والهمزة، وسمّيت جوفا لأنّها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان، ولا من مدارج الحلق، ولا من مدرج اللهاة، إنّما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيّز تنسب إليه إلا الجوف»[4]، والمقصود بالجوف التّجويف الحلقيّ والفمويّ لما جاء في تهذيب اللغة: «الجوف خلاء الجوف، كالقصبة الجوفاء»[5].

ثمّ أخرج "سيبويه" الهمزة من قائمة الحروف الجوف لاحقا، فقال: «وهذه الثّلاثة أخفى الحروف لاتّساع مُخرجها. وأخفاهنّ وأوسعهنّ مُخرجا: الألف، ثمّ الياء، ثمّ الواو»[6]؛ وأيّده "ابن جزري" معللا مذهب "الخليل" بقوله: «المخرج الأوّل –الجوف- وهو للألف والواو السّاكنة المضموم مما قبلها والياء السّاكنة المكسور ما قبلها. وهذه الحروف تسمّى حروف المدّ واللين، وتسمّى الهوائيّة والجوفيّة. قال الخليل: وإنّما نسبن

---

[1]- علم الأصوات: كمال بشر، ص: 219.
[2]- ينظر: الأشباه والنّظائر في النّحو: جلال الدّين السّيوطي، ج: 2، ص: 28.
[3]- المصدر نفسه.
[4]- العين : الخليل بن أحمد، ج: 01، ص: 57.
[5]- تهذيب اللغة: الأزهري، ج: 11، ص: 209.
[6]- الكتاب: سيبويه، ج: 04، ص: 436.

إلى الجوف لأنّه آخر انقطاع مخرجهنّ. قال مكّي: وزاد غير الخليل معهنّ الهمزة لأنّ مخرجها من الصّدر وهو متّصل بالجوف»[1].

فيما ذهب فريق إلى أنّ الحركات أبعاض حروف المد، يقول "سيبويه": «إنّما الحركات من الألف والياء والواو»[2]؛ ويقول "أبو سعيد السّيرافي" شارحا: «الحركات ثلاث: الضّمّ والكسر والفتح، وكلّ حركة منها مأخوذة من حرف من الحروف، فالضّمّة مأخوذة من الواو، والكسرة من الياء، والفتحة من الألف، ومخرج الواو من بين الشّفتين، والياء من وسط اللسان، والألف من الحلق»[3].

وأدرك "أبو عليّ الفارسي" حقيقة أنّ الفارق بين الحركات والعلل كمّية الصوت لا غير؛ فعدّ الحركات حروفا هي الأخرى في قوله: «وهذا الذي يسمّيه أهل العربيّة حركة حقيقة أنّه حرف، فالفتحة كالألف، والضّمّة كالواو، والكسرة كالياء، في أنّهنّ حروف، كما أنّهنّ حروف إلا أنّ الصّوت بهنّ أقلّ من الصّوت بالألف وأختيها، وقلّة الصّوت بهنّ ليس يخرجهنّ على أن يكنّ حروفا، لأنّ من الحروف ما هو أكثر صوتا من الحروف كـ (الصّاد) و(النّون) السّاكنة، فكما أنّ النّون عندنا حرف، وإن كان أقلّ صوتا من الصّاد، كذلك يجب أن تكون هذه عندنا حروفا، وإن كان الصّوت بهنّ أقلّ من الصّوت بما هنّ منه.

فالمسمّى حركة، والحرف الذي معه هما في الحقيقة حركتان للنّاطق، وكلّ واحد منهما حرف»[4]؛ وتأكيدا لمذهب شيخه يقول "ابن جنّي": «اعلمّ أنّ الحركات أبعاض حروف المدّ واللين، وهي الألف والياء والواو، فكما أنّ هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاث، وهي الفتحة والكسرة والضّمّة، فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضّمّة بعض الواو. وقد كان متقدّموا النّحويّين يسمّون الفتحة الألف الصّغيرة، والكسرة الياء الصّغيرة، والضّمّة الواو الصّغيرة. وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة؛ ألا ترى أنّ الألف والياء والواو اللواتي هنّ حروف توامّ كوامل، قد تجدهنّ

---

[1]- النّشر في القراءات العشر: أبو الخير محمد بن محمدد الدّمشقي الشّهير بابن الجزري، تصحيح ومراجعة: عللي محمدد الضّباع، دار الكتب العلميّة، بيروت، دط، دت، ج: 01، ص: 199.

[2]- الكتاب: سيبويه، ج: 04، ص: 101.

[3]- شرح كتاب سيبويه: أبو سعيد السّيرافي، تح: أحمد حسن مهدلي وعلي سيد علي، دار الكتب العلميّة، بيروت، دط، دت، ج: 04، ص: 488.

[4]- المسائل المشكلة: أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفّار الفارسي، قرأه وعلّق عليه: يحيى مراد، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط: 01، 1424ه/2003م، ص: 195.

في بعض الأحوال أطول وأتمّ منهنّ في بعض، وذلك قولك: يخاف وينام، ويسير ويطير، ويقوم وسيوم، فتجد فيهنّ امتدادا واستطالة ما، فإذا أوقعت بعدهنّ همزة أو الحرف المدغم ازددن طولا وامتدادا، وذلك نحو: يشاء ويداء، ويسوء ويهوء، ويجيء ويفيء. وتقول مع الإدغام، شابّة ودابّة، ويطيب بّكر، ويسير رّاشد، وتمودّ الثّوب، وقد قوصّ زيد بما عليه؛ أفلا ترى إلى زيادة الامتداد فيهنّ بوقوع الهمزة والمدغم بعدهنّ، وهنّ في كلا موضعيهنّ يسمّين حروفا كوامل، فإذا جاز ذلك فليس تسمية الحركات حروفا صغارا حروفا بأبعد في القياس منه»[1].

كما تنشأ الحركات عن حروف المدّ متى قلّ الصّوت بها، تنشأ حروف المدّ عن إشباع الحركات ومطلهنّ؛ يقول "ابن جنّي": «ومن مضارعة الحرف للحركة أنّ الأحرف الثّلاثة: الألف والياء والواو إذا أشبعن ومطلت أدّين إلى حرف آخر غيرهنّ إلا أنّه شبيه بهنّ وهو الهمزة؛ ألا تراك إذا مطلت الألف أدّتك إلى الهمزة فقلت آءْ، وكذلك الياء في قولك: إيءْ، وكذلك الواو في قولك: أُوءْ. فهذا كالحركة إذا مطلتها أدّتك إلى صورة أخرى غير صورتها. وهي الألف والياء والواو في: منتزاح، والصّياريف، وأنظور»[2].

كلّ هذه الآراء تؤكّد أنّ الحركات تنشأ من مخارج الحروف التي هي أبعاضها. والرّأي نفسه كان لـ"ابن سينا" غير أنّه أضاف ملاحظة أثبتها علم اللغة الحديث وهي حرّية مرور الهواء خلال الحلق والفم أثناء النّطق بالمصوّتات فلا يعترضه عارض أو حائل، والحقيقة أنّها ميزة هامّة من مميّزات الحركات؛ يقول "ابن سينا": «وأمّا الألف المصوّتة وأختها الفتحة فأظنّ أنّ مخرجهما مع إطلاق الهواء سلسا غير مزاحم. وأمّا الواو المصوّتة وأختها الضّمّة فأظنّ أنّ مخرجهما مع إطلاق الهواء مع أدنى تضييق للمخرج وميل به سلس إلى فوق. وأمّا الياء المصوّتة وأختها الكسرة فأظنّ أنّ مخرجهما مع إطلاق الهواء مع أدنى تضييق للمخرج وميل به سلس إلى أسفل. ثمّ أمر هذه الثّلاثة عليّ مشكل، ولكنّي أعلم يقينا أنّ الألف الممدودة المصوّتة تقع في ضعف أو أضعاف زمان الفتحة وأنّ الفتحة تقع في أصغر الأزمنة التي يصحّ فيها الانتقال من حرف إلى حرف. وكذلك نسبة الواو المصوّتة إلى الضّمّة، والياء المصوّتة على الكسرة»[3]؛

[1]- سرّ صناعة الإعراب: ابن جنّي، ج: 01، ص: 17-18.
[2]- الخصائص: ابن جنّي، ج: 01، ص: 318.
[3]- رسالة أسباب حدوث الحروف: ابن سينا، ص: 84-85.

ويوحي هذا القول بنشأة الصّوائت طوالا كانت أم قصارا عن تغيّر شكل مجرى الهواء دون أدنى تضييق للمخرج.

ويبيّن "ابن جنّي" الأعضاء المسؤولة عن تغيّر مجرى الهواء فيقول: «الحروف التي اتّسعت مخارجها ثلاثة: الألف، ثمّ الياء، ثمّ الواو، وأوسعها وألينها الألف، إلا أنّ الصّوت الذي يجري في الألف مخالف للصّوت الذي يجري في الياء والواو، والصّوت الذي يجري في الياء مخالف للصّوت الذي يجري في الألف والواو. والعلّة في ذلك أنّك تجد الفم والحلق في ثلاث الأحوال مختلف الأشكال، أمّا الألف فتجد الحلق والفم معها منتفخين غير معترضين على الصّوت بضغط أو حصر، وأمّا الياء فتجد منها الأضراس سفلا وعلوا قد اكتنفت جنبتي اللسان وضغطته، وتفاجّ الحنك عن ظهر اللسان، فجرى الصّوت متصعدا هناك، فلأجل تلك الفجوة ما استطال. وأمّا الواو فتضمّ لها معظم الشّفتين، وتدع بينهما بعض الانفراج ليخرج فيه النّفس، ويتّصل الصّوت. فلمّا اختلفت أشكال الحلق والفم والشّفتين مع هذه الأحرف الثّلاثة اختلف الصّدى المنبعث من الصّدر، وذلك قولك في الألف "أَا" وفي الياء "إِيْ" وفي الواو "أُوْ"»[1]؛ يستفاد من كلام "ابن جنّي" أنّ الأعضاء المتدخّلة في إنتاج الصّوائت الحلق والفم (الحنك واللسان والشّفتين)، وأنّها لا تعترض الهواء بضغط أو حصر إنّما تكتفي بتغيير شكل مجراه.

يرجعنا ابن جنّي بكلامه السّابق إلى كلام "الخليل" الذي سمّاها الجوفيّة انطلاقا من التّجويفين الحلقي والفمي، والهوائيّة. ما يعني أنّ اختلاف النّحويّين الذي عناه "السّيوطي" كان اختلاف زوايا دراسة لا اختلاف تضاد.

ورتّب القدامى الحركات تبعا لمخارجها فجعلوا «الفتحة أوّل الحركات وأدخلها في الحلق، والكسرة بعدها، والضّمّة بعد الكسرة»[2].

وجعلت الفتحة أدخل الحركات في الحلق؛ لأنّها من مخرج الألف[3]. وإنتاجها لا يتمّ إلا بفتح الفم[4]، يقول "الزّجّاجي": «المتكلّم بالكلمة المنصوبة يفتح فاه، فيبيّن حنكه الأسفل من الأعلى»[5]، إضافة إلى فتح الشّفتين إذ «الفتحة عبارة عن فتح الشّفتين عند

[1]- سرّ صناعة الإعراب: ابن جنّي، ج: 01، ص: 08.
[2]- المصدر السابق، ج: 01، ص: 53.
[3]- ينظر: المقتضب: المبرّد، ج: 01، ص: 292.
[4]- ينظر: نهاية القول المفيد في علم تجويد القرآن المجيد: محمد مكّي نصر الجريسي ، ص: 38-39.
[5]- الإيضاح في علل النّحو: أبو القاسم الزّجّاجي، ص: 94.

النّطق بالحرف وحدوث الصّوت الخفيّ الذي يسمّى فتحة أو نصبة، وإن امتدّت كانت ألفا، وإن قصرت فهي بعض ألف. وصورتها كصورة الألف صغيرة»[1]، أمّا اللسان فيرتفع وسطه؛ وهذا ما ذهب إليه "السّيوطي" في قوله إنّك تتكلّف في تحريك الفتحة إلى تحريك وسط الفم مع إخراج الصّوت[2]، فيما ذهب "المبرّد" إلى أنّ أنّ «الفتحة لا علاج فيها»[3]، وهو كلام ردّده المحدثون أيضا ووضّحه "كمال بشر" كما سيأتي في الكلام عن الفتحة عند المحدثين.

أمّا الكسرة كما وصفها "الأنباري" فهي وسط بين الفتحة والضّمّة مخرجا ومعنى، وبين الاتّساع والضّيقّ[4]؛ وبيّن آلية إنتاجها فقال: «الكسرة عبارة عن انجرار اللّحي الأسفل عند النّطق بالحرف وحدوث الصّوت الخفيّ يسمّى كسرة، وإن امتدّت كانت ياء، وإن قصرت فهي بعض ياء»[5].

وأرجع "السّهيلي" سبب تسمية الكسرة كسرة لانكسار عضو النّطق أثناء إنتاجها في قوله: «وكذلك القول في الكسرة بالياء أنّ إحداهما بعض الأخرى وحدوثهما عن تحريك العضو بالكسر مع مقارنة الحرف»[6]، أمّا «من سمّاه من الكوفيّين خفضا، فإنّهم فسّروه نحو تفسير الرّفع والنّصب فقالوا لانخفاض الحنك الأسفل عند النّطق به وميله إلى إحدى الجهتين»[7].

وبهذا تنتج الكسرة من مخرج الياء من شجر الفم دون احتكاك للهواء، مع انكسار اللحي وانخفاضه إلى أسفل.

---

[1]- نتائج الفكر: السّهيلي، ص: 67. وينظر: بدائع الفوائد: ابن قيّم الجوزيّة، ص: 60.
[2]- ينظر: الأشباه والنّظائر: جلال الدّين السّيوطيّ، ج: 02، ص: 43.
[3]- المقتضب: المبرّد، ج: 01، ص: 255.
[4]- ينظر: الفتحة في سورة البقرة دراسة إحصائية تحليلية: ياسر بن حمدو بن محمد الدّرويش، مجلّة العلامة، العدد 05، ديسمبر 2017م، ص: 275.
[5]- المصدر نفسه، ص: 275.
[6]- نتائج الفكر: السّهيلي، ص: 67. وينظر: بدائع الفوائد: ابن قيّم الجوزيّة، ص: 60.
[7]- الإيضاح في علل النّحو: أبو القاسم الزّجّاجي، ص: 93. وينظر: نهاية القول المفيد في علم تجويد القرآن المجيد: محمد مكّي نصر الجريسي، ص: 38-39.

وأمّا الضّمّة فتنتج من مخرج الواو وهذا واضح في تعليل "المبرّد" ثقل تحريك الواو بالضّمّ: «الضّمّة مستثقلة في الواو، لأنّها من مخرجها، وهما جميعا من أقلّ المخارج حروفا. إلا أن تكون لعلّة كالإعراب أو التقاء السّاكنين...»[1].

ولبروز دور الشّفتين في إصدار صوت الضّمّة ركّز النّحاة واللغويّون القدامى عليهما فقال "السّهيلي": «الضّمّة عبارة عن تحريك الشّفتين بالضّمّ عند النّطق بالحرف، فينتج عن ذلك صوت خفيّ مقارن للحرف، وإن امتدّ كان "واوا" وإن قصر كان "ضمّة" وصورتها عند حذّاق الكتّاب "واو" صغيرة لأنّها بعض الواو»[2]، وقال "مكّي بن أبي طالب": «من الأمور المنهيّ عنها أيضا عدم ضمّ الشّفتين عند النّطق بالحرف المضموم لأنّ كلّ حرف مضموم لا يتمّ ضمّه إلا بضمّ الشّفتين وإلا كان ضمّه ناقصا ولا يتمّ الحرف إلا بتمام حركته فإن لم تتمّ الحركة لا يتمّ الحرف»[3]، ووصْفُه إصدار صوت الضّمّة دون ضمّ الشّفاه بالنّقص دون الفناء يوحي بإدراكه أنّ الشّفاه لا تصدر الصّوت وحدها.

أمّا "السّيوطي" فقال: «تتكلّف في إخراج الضّمّة إلى تحريك الشّفتين مع إخراج الصّوت»[4]؛ وهذا يؤكّد كلام سابقه من أنّ تحريك الشّفاه تمام لصوت الضّمّة لا إنتاج لها، فيما يبيّن "الزّجّاجي" أنّ الضّمّة تنتج عن رفع الحنك الأعلى إلى الأسفل وضمّ الشّفتين فقال: «نسبوا الرّفع كلّه إلى حركة الرّفع لأنّ المتكلّم بالحركة المضمومة يرفع حنكه الأسفل إلى الأعلى ويجمع بين شفتيه»[5]، فالحنك والشّفاه هما العضوان اللذان قصدهما "السّيوطيّ" في قوله: «ما عمل فيه عضوان أثقل ممّا عمل فيه عضو واحد»[6] لتعليل ثقل الضّمّة مقارنة بغيرها من الحركات.

وفي البحث عن إنتاج الصّوائت عند القدامى يلفت كلام الفيلسوف "ابن رشد" الانتباه بمخالفته ترتيب مخارج الأصوات السّابقة عند تعليله سبب تخصيص الرّفع للمتقدّم من الأسماء؛ حيث قال: «وأمّا لما خصّت الشّكل المسمّى ضمّة بالاسم المستقيم؛ فالحكمة أيضا فيه بيّنة، وذلك أنّ الاسم المتقدّم في الكلام يجب أن يكون حكمه التّقدّم من

[1]- المقتضب: المبرّد، ج: 01، ص: 230.
[2]- نتائج الفكر: السّهيلي، ص: 67. وينظر: بدائع الفوائد: ابن قيّم الجوزيّة، ص: 60.
[3]- نهاية القول المفيد في علم تجويد القرآن المجيد: محمد مكّي نصر الجريسي، ص: 38-39.
[4]- الأشباه والنّظائر: جلال الدّين السّيوطيّ، ج: 02، ص: 43.
[5]- الإيضاح في علل النّحو: أبو القاسم الزّجّاجي، ص: 94.
[6]- الأشباه والنّظائر: جلال الدّين السّيوطيّ، ج: 02، ص: 43.

أشكال الحرف الواحد بعينه في مخارج الصّوت، والضّمّة يوجد مخرجها أبدا في الحرف الواحد بعينه متقدّما على مخرج الفتحة والكسرة فيه أنّه أقرب إلى الحلق في المخرج، فجعلوا التّقدّم من الأشكال للمتقدم من المعاني في النّفس ولمّا كان مخرج الضّمّة هو أرفع من مخرج الفتحة والكسرة سمّوا المعنى الذي تدلّ عليه الضّمّة، والضّمّة نفسها رفعا، وسمّوا الذي هو مقابل لهذه خفضا، وسمّوا المتوسّط نصبا تشبيها لهذه الحروف في مخارجها أعني في مخرج الحرف الواحد، وبالواجب ما جعلوا الأشكال المقابلة للمعاني المقابلة، وجعلوا التّوسّط للمتوسّط»[1]، وهكذا تكون الضّمّة أدخل الحروف وأدناها من الحلق والفتحة متوسّطة في الفم وأدنى الحركات الكسرة، وهو ترتيب المحدثين الذين فصّلوا إنتاجها ابتداء من الأدنى مخرجا على النّحو الآتي:

تنتج الكسرة بخروج الهواء حرا طليقا عبر الحلق والفم مصحوبا باهتزاز الأوتار الصّوتيّة حتى يعترضه مقدّم اللسان إذ «يتمّ إنتاجها عن طريق "ارتفاع مقدّمة اللسان نحو وسط الحنك الأعلى بحيث يكون الفراغ بينهما كافيا لمرور الهواء دون أن يحدث في مروره بهذا الموضع أيّ نوع من الاحتكاك مع اهتزاز الأوتار الصّوتية. ولو ارتفعت مقدّمة اللسان نحو وسط الحنك الأعلى ارتفاعا يؤدّي إلى احتكاك الهواء بهذا الموضع لنتج عن ذلك صوت الياء الصّامت المتوسّط»[2]، وأمّا الفكّ السّفليّ فيكسر وتنجرّ اللحية إلى أسفل[3] مصحوبا بانفراج الشفتين وانكسارهما في وضع يشبه وضع التّبسّم[4].

ويعدّ وضع اللسان أساس التّمييز بين الكسرة العربيّة والحركة المعيارية المشابهة لها، بحيث تختلفان في جانبين اثنين هما:

- يكون مقدّم اللسان عند إنتاج الصّائت العربيّ أقلّ ارتفاعا منه عند إنتاج الصّائت المعياري، وهذا ما يجعل من الكسرة العربيّة صائتا منخفضا ولكن بدرجة أقلّ من الصّائت المعياري.
- أثناء النّطق بهذا الصّائت العربيّ، تنحو أعلى نقطة في الجزء الأماميّ من اللسان نحو الخلف قليلا، بمعنى أنّ أعلى نقطة في مقدّم اللسان حين النّطق

[1]- الضّروريّ في النّحو: أبو الوليد بن رشد، تح: منصور علي عبد السّميع، الصّحوة للنّشر والتّوزيع، مصر، ط: 01، 1431ه/2010م، ص: 147-148.
[2]- دراسة في علم الأصوات: حازم كمال الدّين، ص: 53-54.
[3]- ينظر: الفتحة في سورة البقرة دراسة إحصائية تحليلية: ياسر بن حمدو بن محمد الدّرويش، ص: 275.
[4]- المحيط: الأنطاكي، ج: 01، 35.

بالصّائت العربيّ تكون خلف أعلى نقطة في هذا الجزء من اللسان حال النّطق بالصّائت المعياري رقم (1): i. فالكسرة إذن صائت أماميّ ولكن ليس بالدّرجة التي يوصف بها هذا الصّائت[1].

ثمّ الفتحة، وكغيرها من الحركات ينطلق الهواء أثناء النّطق بها حرّا طليقا، مع اهتزاز الوترين الصّوتيين، و«مخرجها من وسط اللسان، ويكون الفم معها منفرجا، واللسان مستلقيا في قاع الفم دون أدنى توتّر»[2]، وتحديد مخرج صوت الفتحة بوسط اللسان يعني أنّ اعتراض هواء الزّفير يتمّ على مستوى هذه المنطقة وهذا لا يتلاءم وثبوت اللسان في قاع الفم دون أدنى توتّر، ولكنّ «اللسان مع الفتحة العربيّة يكاد يكون مستويا flat في قاع الفم مع ارتفاع خفيف في وسطه، وربّما ينحو هذا الارتفاع نحو الخلف قليلا»[3]، ويكون ذلك «مع انحراف قليل في أقصاه نحو أقصى الحنك»[4]؛ ولا يحدث ذلك إلا بمقدار ما يغيّر شكل مجرى الهواء تغييرا طفيفا لا يؤدّي إلى احتكاك ولا انحباس للهواء.

وللمقارنة بين الفتحة العربيّة والحركات المعياريّة اعتمد "كمال بشر" وضع اللسان أساسا فقال: «الحركة العربيّة أقرب ما تكون إلى الحركتين (4) ورقم (5) أو هي بينهما من حيث جزء اللسان، فأعلى نقطة في اللسان حال النّطق بالفتحة العربيّة هي وسطه، ولكنّها مع ذلك ليست حركة مركزيّة أو وسطى بالمعنى الذي ذكرناه سابقا عند الكلام على الحركة المعياريّة التّاسعة.

فاللسان مع الفتحة العربيّة يكاد يكون مستويا في قاع الفم مع ارتفاع خفيف في وسطه. فهي إذن حركة متّسعة ولكن لا تبلغ في ذلك مبلغ الحركتين رقم (4) و(5)»[5].

وأمّا الفكّين فيؤدّي انفتحهما إلى فتح الشّفتين، وهو ما بُنيَ تعريف الفتحة على أساس منه، وتنماز الشّفاه في انفتاحها أثناء النّطق بالفتحة بكونها «في وضع محايد neutral. أي: غير مضمومة not rounded، وغير منفرجة not spread. (ضمّ الشّفاه يكون

[1]- ينظر: علم الأصوات: كمال بشر، ص: 466.
[2]- حروف العلّة دراسة لغوية: عبد الحميد عليوة مسعد، ص: 129.
[3]- دراسات في علم اللغة: كمال بشر، ص: 88.
[4]- دراسة في علم الأصوات: حازم كمال الدّين، ص: 53.
[5]- علم الأصوات: كمال بشر، ص: 466.

مع الضّمّة وانفراجها مع الكسرة)، أو بعبارة أخرى تكون الشّفاه معها مفتوحة، ومن هنا كانت تسميتها "بالفتحة"»[1].

لكنّ تعليل تسمية الفتحة بفتح الشّفتين أثناء النّطق بها والذي تبنّاه "أبو الأسود الدّؤلي" ومن تبعه في تعريفهم الفتحة، ليس التّعليل الوحيد فقد ذهب"كمال بشر" إلى أنّ «الفتحة بهذا الاعتبار حركة متّسعة أو منفتحة Open. وتدلّ هذه التّسمية على الاتّساع النّسبي الواقع بين اللسان في وضعه المذكور وبين سقف الحنك الأعلى»[2]، وكلّ من السّببين في الحقيقة يؤكّد الثّاني.

بينما تنتج الضّمّة عن اندفاع هواء الزّفير ترافقه ذبذبة الأوتار الصّوتيّة، حتّى يُعترضَ على مستوى أقصى اللسان؛ إذ يرتفع نحو سقف الحنك ارتفاعا يؤدّي إلى تغيّر مجرى الهواء بهذا الموضع. ولو ارتفع أقصى اللسان نحو سقف الحنك ارتفاعا يؤدّي إلى احتكاك الهواء بهذا الموضع لنتج عن ذلك صوت الواو الصّامت المتوسّط[3]. وهي بهذا الوصف «أقرب ما تكون من الحركة المعياريّة رقم (8)، أو هي مثلها مع فرقين:

- **الأوّل:** أنّ الجزء الخلفي من اللسان حين النّطق بالضّمّة العربيّة يكون أقلّ ارتفاعا منه مع المعياريّة رقم (8)، فالضّمّة العربيّة حركة ضيّقة ولكن ليس بالدّرجة التي تصل إليها المعياريّة في ذلك.
- **الثّاني:** أعلى نقطة في هذا الجزء الخلفي من اللسان تنحو نحو الأمام قليلا، أو بعبارة أخرى، إنّ أعلى نقطة في الجزء الخلفيّ من اللسان مع الحركة العربيّة (الضّمّة) تكون أمام أعلى نقطة في هذا الجزء نفسه حال النّطق بالمعياريّة رقم (8). ومع ذلك فالضّمّة العربيّة حركة خلفية، ولكنّها لا تبلغ مبلغ المعياريّة رقم (8) في هذا الشّأن»[4].

وتحتاج الضّمّة في إنتاجها جهدا عضليّا أكثر من غيرها من الحركات، «لأنّها تتكوّن بتحريك أقصى اللسان، في حين أنّ الكسرة تتكوّن بتحريك أدنى اللسان، وتحريك

---

[1]- دراسات في علم اللغة: كمال بشر، ص: 88.

[2]- المرجع نفسه.

[3]- ينظر: دراسة في علم الأصوات: حازم كمال الدّين، ص: 54.

[4]- علم الأصوات: كمال بشر، ص: 466-467.

*- تحدّث القدماء والمحدثون في تردّد بين ارتفاع وسط الفم وثبوت اللسان دون أدنى تردّد، وفصل "كمال بشر" في المسألة فقال: «اللسان مع الفتحة العربيّة يكاد يكون مستويا flat في قاع الفم مع ارتفاع خفيف في وسطه، وربّما ينحو هذا الارتفاع نحو الخلف قليلا». دراسات في علم اللغة: كمال بشر، ص: 88.

أدنى اللسان أيسر من تحريك أقصاه في حين يأخذ اللسان وضع الانبساط في قاع الفم عند النّطق بالفتحة*»[1]، ثمّ إنّ حاجة الضّمّة إلى عمل ثلاث عضلات فكّيّة وأقصى اللسان والشّفتين يعني بالضّرورة بذل جهد أكبر.

استنادا إلى المعطيات السّابقة يظهر أنّ المحدثين معتمدين على الأجهزة الحديثة أقرّوا ما ذهب إليه القدامى بحسّهم المرهف وذوقهم فيما يعلّق بـ:

- إنتاج كلّ الصّوائت من مخارج الحروف المجانسة لها.
- اتّساع مخرج الصّوائت وخروج الصّوت سلسا دون عائق أو حائل يعوقه.
- اختلاف الصّوائت ناتج عن تغيّر شكل مجرى الهواء في التّجويفين الحلقيّ والفميّ.

فيما اختلف القدامى والمحدثون في النّقاط الآتية:

- ترتيب مخارج الأصوات حيث عدّ القدامى الفتحة من الحلق مخرج الألف، والكسرة من شجر الفم وهو مخرج الياء، والضّمّة من الشّفتين مخرج الواو، باستثناء الفيلسوف "ابن رشد" الذي وافق المحدثين؛ في جعلهم مخرج الواو من أقصى اللسان والألف من وسطه والياء من أدناه.
- لم يكن القدامى على الأغلب عارفين بالأوتار الصّوتيّة لذا لم يتطرّقوا إليها في حديثهم عن إنتاج الصّوائت؛ وإن كان وصفهم لها بالجهر، وإشارتهم إلى انتهائها إلى الهمز يترجم اهتزاز الأوتار الصّوتيّة.

ثانيا: علامات الإعراب الفرعيّة:

على عكس الحركات القصار كان للحركات الطّوال نصيب من الدّرس في التّراث اللغويّ العربيّ نظرا لكونها حروفا توامّا كوامل كما وصفها "ابن جنّي"[2]، خلافا للقصار الزّوائد لإمكان اللفظ والتّركيب[3]؛ ولهذا حدّدت مخارج الألف والواو والياء ضمن حديث اللغويّين القدامى عن مخارج الأصوات؛ حيث رأى "الخليل" ومن تبعه أنّ لها مخرجا مستقلا بها، وبذلك يكون عدد المخارج عنده –ومن تبعه، سبعة عشر مخرجا، قال "الخليل" في تحديد مخارج الحروف: «في العربيّة تسعة وعشرون حرفا:

[1]- الفتحة في سورة البقرة -دراسة إحصائية تحليلية: ياسر بن حمدو بن محمد الدّرويش، ص: 287.
[2]- ينظر: سرّ صناعة الإعراب: ابن جنّي، ج: 01، ص: 17-18.
[3]- ينظر: الكتاب: سيبويه، ج: 4، ص: 241-240.

منها خمسة وعشرون حرفا صحاحا لها أحياز ومدارج، وأربعة أحرف جوف وهي: الواو والياء والألف اللّيّنة. والهمزة، وسمّيت جوفا لأنّها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان، ولا من مدارج الحلق، ولا من مدرج اللهاة، إنّما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيّز تنسب إليه إلا الجوف»[1].

في حين رأى "سيبويه" ومن سار على هديه أنّ مخارج الحروف ستّة عشر مخرجا، وذلك بإسقاط مخرج الحروف الجوفيّة، التي هي حروف المدّ واللين وجعل مخرج "الألف" من أقصى الحلق، ومخرج (الواو المدّيّة) من الشّفتين مخرج الواو المتحرّكة ، وجعلوا "الياء المدّيّة" من وسط اللسان مخرج الياء المتحرّكة[2]، وميّزوا بين القيمتين الصّوتيتين لهذه الحروف فأسموا الصّوائت الطّوال حروف المدّ واللين، ويتّضح من كلامهم أنّهم أدركوا طبيعتها الحركية والمصوّتة فهذا "أبو عليّ الفارسيّ" يقول: «المسمّى حركة، والحرف الذي معه هما في الحقيقة حركتان للنّاطق، وكلّ واحد منهما حرف»[3]، بينما سمّاها "ابن سينا" المصوّتات في مقابل الصّوامت وهو يصف مخارج الأصوات في كتابه "رسالة أسباب حدوث الحروف"، وميّز بينهما بانضغاط الهواء في الصّوامت منها وانطلاقه سلسا في الصّوائت[4].

وتعود سلاسة انطلاق الهواء في الصّوائت إلى اتّساع مخرج الصّوت، وهي ميزة أساسية للصّوائت؛ فهذه «الحروف غير مهموسات، وهي حروف لين ومدّ، ومخارجها متّسعة لهواء الصّوت؛ وليس شيء من الحروف أوسع مخارج منها؛ ولا أمدّ للصّوت؛ فإذا وقفت عندها لم تضمّها بشفة ولا لسان ولا حلق كضمّ غيرها؛ فيهوي الصّوت إذا وجد متّسعا حتّى ينقطع آخره في موضع الهمزة»[5].

وتنتج الصّوائت الطّوال كما القصار عن تغيّر مجرى الهواء الصّادر من الرّئتين تبعا للوضعيات التي تتخذها أعضاء النّطق، يقول "ابن جنّي": «الحروف التي اتّسعت مخارجها ثلاثة: الألف، ثمّ الياء، ثمّ الواو، وأوسعها وألينها الألف، إلا أنّ الصّوت الذي

---

[1]- العين : الخليل بن أحمد، ج: 01، ص: 57.
[2]- ينظر: المقتضب: المبرّد، ج: 01، ص: 328. والأصول في النّحو: أبو بكر محمّد بن سهل بن السّراج النّحويّ البغداديّ، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط: 03، 1417ه/1996م، ج: 3، ص: 400. وسرّ صناعة الإعراب: ابن جنّي، ج: 01، ص: 46-48.
[3]- المسائل المشكلة: أبو علي الفارسي، ص: 195.
[4]- ينظر: رسالة أسباب حدوث الحروف: ابن سينا ، ص، 83-85.
[5]- الكتاب: سيبويه، ج: 04، ص: 176.

يجري في الألف مخالف للصّوت الذي يجري في الياء والواو، والصّوت الذي يجري في الياء مخالف للصّوت الذي يجري في الألف والواو. والعلّة في ذلك أنّك تجد الفم والحلق في ثلاث الأحوال مختلف الأشكال، أمّا الألف فتجد الحلق والفم معها منتفخين غير معترضين على الصّوت بضغط أو حصر، وأمّا الياء فتجد منها الأضراس سفلا وعلوا قد اكتنفت جنبتي اللسان وضغطته، وتفاجّ الحنك عن ظهر اللسان، فجرى الصّوت متصعدا هناك، فلأجل تلك الفجوة ما استطال. وأمّا الواو فتضمّ لها معظم الشّفتين، وتدع بينهما بعض الانفراج ليخرج فيه النّفس، ويتّصل الصّوت. فلمّا اختلفت أشكال الحلق والفم والشّفتين مع هذه الأحرف الثّلاثة اختلف الصّدى المنبعث من الصّدر، وذلك قولك في الألف "أَا" وفي الياء "إيْ" وفي الواو "أُوْ"»[1]، ويلاحظ في كلام "ابن جنّي" ترتيبه الصّوائت الطّوال تبعا لدرجة اتّساعها والموافق لترتيب مخارجها: الألف، ثمّ الياء، فالواو.

فأمّا مخرج الألف فذهب الجمهور إلى أنّه أدنى الحلق، غير أنّهم اختلفوا في ترتيبها؛ يقول "أبو حيّان الأندلسي": «المخرج الأوّل أقصى الحلق وهو: الهمزة، والهاء، والألف على رتبة واحدة، خلافا لأبي الحسن في زعمه أنّ الهمزة أوّل، وأنّ الهاء والألف في رتبة واحدة، وخلافا لأبي العبّاس أحمد بن عمّار المهدوي، وغيره في زعمهم أنّ الهمزة أوّل وهي: من أوّل الصّدر وآخر الحلق، وهي أبعد الحروف مخرجا، ثمّ الألف تليها، وهي صوت لا يعتمد له، ثمّ الهاء بعدها، وخلافا لمن زعم أنّ الهاء قبل الهمزة في المرتبة، وأنّها أدخل إلى الصّدر، وخلافا لأبي الحسن شريح في زعمه أنّ الألف هوائية لا مخرج لها، فحروف الحلق عنده ستّة، وقد روى هذا عن الخليل»[2]، وبهذا ينقسم اللغويّون حسب "أبي حيّان" خمسة أقسام في تحديد رتبة الألف مخرجا:

1. الهمزة، والهاء، والألف على رتبة واحدة: وهو المذهب الذي تبنّاه "أبو حيّان الأندلسي"[3] والسّيوطي في "همع الهوامع"[4].
2. الهمزة أوّل، والهاء والألف في رتبة واحدة: وهو مذهب "الأخفش" الذي لم يرتضه "ابن جنّي" وبرهن على فساده فقال: «وزعم أبو الحسن أنّ

[1]- سرّ صناعة الإعراب: ابن جنّي، ج: 01، ص: 08.
[2]- ارتشاف الضّرب من لسان العرب: أبو حيّان الأندلسي، تح: رجب عثمان محمّد، مطبعة المدني، القاهرة، ط: 01، 1418ه/1998م، ص: 06-07.
[3]- ينظر: المصدر نفسه، ص: 06.
[4]- ينظر: همع الهوامع: جلال الدّين السيوطي، ج: 03، ص: 450.

ترتيبها: الهمزة، وذهب إلى أنّ الهاء مع الألف، لا قبلها ولا بعدها. والذي يدلّ على فساد ذلك وصحّة قول سيبويه أنّك متى حرّكت الألف اعتمدت بها على أقرب الحروف منها إلى أسفل، فقلبتها همزة، ولو كانت الهاء معها لقلبتها هاء، وهذا واضح غير خفي»[1].

3. الهمزة أوّل ثمّ الألف تليها ثمّ الهاء بعدها: وهذا رأي قال به "سيبويه" في غير باب مخارج الحروف «ليس في السّتة الأحرف أقرب إلى الهمزة منها وإنما الألف بينهما»[2]، وهو كذلك مذهب "أبي البركات الأنباري"[3] و"ابن عصفور"[4] و"ابن جنّي"[5] الذي ذهب إلى أبعد من هذا حين جعل الألف من أوّل الحلق منزلا الهمزة إلى الصّدر في قوله: «مخرج الألف المتحرّكة التي هي همزة من الصّدر، ومخرج الألف فوقها من أوّل الحلق»[6].

ورأى "المبرّد" التّقارب بين الصّوتين فقال: «مخرج الهمزة يقرب من مخرج الألف»[7]، ولكنّ الألف المدّية حركة طويلة وهذا يعني أنّ اعتراض الهواء لن يؤدّي إلى احتباس للهواء ولا احتكاكه وإلا صار همزة كما تصير الياء والواو المدّيتين صامتين، وهو أمر تفطّن له "ابن جنّي" فقال: «متى حرّكت الألف اعتمدت بها على أقرب الحروف منها إلى أسفل؛ فقلبتها همزة»[8]، وقال: « الألف إذا تحرّكت انقلبت همزة»[9]، وهذا موافق للمذهب الخامس الذي ذكره "أبو حيّان".

4. الهاء قبل الهمزة في المرتبة: وهذا ترتيب "ابن برّي" في "الدّرر اللوامع"[10].

---

[1]- سر صناعة الإعراب: ابن جنّي، ج: 01، ص: 46-47.
[2]- الكتاب: سيبويه، ج: 04، ص: 102.
[3]- كتاب أسرار العربيّة: أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري، تح: محمد بهجة البيطار، مطبوعات المجلس العلمي العربي، دمشق، دط، دت، ص: 451.
[4]- المقرّب: علي بن مؤمن المعروف بابن عصفور، تح: أحمد عبد السّتّار الجواري وعبد الله الجبّوري، ط: 01، 1392ه/1972م، ج: 02، ص: 05.
[5]- ينظر: سرّ صناعة الإعراب: ابن جنّي، ج: 01، ص: 46.
[6]- المصدر نفسه، ج: 01، ص: 43.
[7]- المقتضب: المبرّد، ج: 01، ص: 277.
[8]- سرّ صناعة الإعراب: ابن جنّي، ج: 01، ص: 47.
[9]- المصدر نفسه: ج: 01، ص: 32.
[10]- كتاب القصد النّافع لبغية النّاشئ والبارع على الدّرر اللوامع في مقرئ الإمام نافع، أبو الحسن عليّ بن محمد بن الحسن التّازي، تح: التلميذي محمّد محمود، دار الفنون للطباعة والنشر، جدة،، ط: 01، 1413ه/1993م، ص: 356.

5. الألف هوائية لا مخرج لها: وهذا رأي "الخليل بن أحمد الفراهيدي"[1] ومن تبعه، وأغلب الظّنّ أنّ القصد منه عدم وجود اعتراض للهواء عند النّطق بها لا إخراجها من مجموعة الأصوات النّاتجة من أقصى الحلق؛ ويؤكّد هذا الطّرح إضافة إلى قول "ابن جنّي" السّابق ، قول "المبرّد": «من أقصى الحلق مخرج الهمزة. وهي أبعد الحروف. ويليها في البعد مخرج الهاء. والألف هاوية هناك»[2].

وأغفل "أبو حيّان الأندلسي" مذهب من جعل الهمزة أوّلا ثمّ الهاء فالألف وهو مذهب "ابن السّرّاج"[3] و "الزّجاجي"[4].

غير أنّ قدماء اللغويّين رغم الاختلافات السّابقة اتّفقوا في آلية إصدار هذا الصّوت بحيث لا يعترض الهواء الصّادر من الرّئتين إذ «يجري الصّوت في الألف غفلا بغير صنعة»[5].

وأمّا الياء فاتّفق اللغويّون على أنّ مخرجها «من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشّين والياء»[6]، ولكنّهم اختلفوا في ترتيبها كذلك؛ يقول "أبو حيّان": «المخرج السّادس: وهو للجيم والشّين والياء، وهي من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك، خلافا للخليل في الياء، إذ زعم أنّها هوائية لا مخرج لها كالألف، ويظهر أنّ الجيم قبلها، خلافا للمهدوي في زعمه أنّ الشّين تلي الكاف، والجيم والياء يليان الشّين»[7]، ومذهب "المهدوي" ذكره "ابن الجزريّ"[8] وأيّده "المبرّد"[9].

وأمّا مذهب " الخليل" فما قيل عن الألف يقال عن الياء من أنّها متى تحرّكت صحّت والفرق بين الصّائتة والصّامتة حرّية مرور الهواء وهو مما يؤكّده "ابن سينا"

---

[1]- العين : الخليل بن أحمد ، ج: 01، ص: 57.
[2]- المقتضب: المبرّد، ج: 01، ص: 328.
[3]- ينظر: الأصول في النّحو: ابن السّرّاج، ج: 03، ص: 400.
[4]- ينظر: الجمل في النّحو: أبو القاسم عبد الرّحمن بن إسحاق الزّجّاجي، تح: علي توفيق الحمد، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، دار الأمل، الأردن، ط: 01، 1404ه/1984م، ص: 410.
[5]- سرّ صناعة الإعراب: ابن جنّي، ج: 01، ص: 08-09.
[6]- الكتاب: سيبويه، ج: 04، ص: 433. وينظر: سرّ صناعة الإعراب: ابن جنّي، ج: 01، ص: 47. الجمل في النّحو: الزّجّاجي، ص: 410، والأصول في النّحو: ابن السّرّاج، ج: 03، ص: 400.
[7]- ارتشاف الضّرب من لسان العرب: أبو حيّان الأندلسي، ص: 08.
[8]- ينظر: النشر في القراءات العشر: ابن الجزري، ج: 01، ص: 200.
[9]- ينظر: المقتضب: المبرّد، ج: 01، ص: 328-329.

في وصفه آلية إصدار كلّ منهما إذ قال: «أمّا الياء الصّامتة فإنّها تحدث حيث تحدث السّين والزّاي، ولكن بضغط وحفز للهواء ضعيف لا يبلغ أن يحدث صفيرا...وأمّا الياء المصوّتة وأختها الكسرة فأظنّ أنّ مخرجهما مع إطلاق الهواء مع أدنى تضييق للمخرج وميل به سلس إلى أسفل»[1].

ويتكامل وصف كل من "ابن جنّي" و"ابن سينا" لآلية إصدار هذا الصّوت؛ ففي حين وصف الأوّل وضع أعضاء النّطق في قوله: وأمّا الياء فتجد منها الأضراس سفلا وعلوا قد اكتنفت جنبتي اللسان وضغطته، وتفاجّ الحنك عن ظهر اللسان فجرى الصّوت متصعدا هناك، فلأجل تلك الفجوة ما استطال. وذلك قولك "إيْ"[2]؛ وبضغط الأضراس جانبي اللسان يمتنع الهواء عن المرور من الجانبين، وتفاجّ اللسان عن ظهر الحنك يعني بالضّرورة ارتفاع الهواء إلى نقطة خروج الصّوت وهو ما عبّر عنه "ابن جنّي" بتصعّد الهواء، ثمّ خروجه مستفلا كما يوضّح "ابن سينا" في قوله: «مخرجهما مع إطلاق الهواء مع أدنى تضييق للمخرج وميل به سلس إلى أسفل»[3].

ثمّ الواو ومخرجها ممّا بين الشّفتين مع الباء والميم[4]، ويذكر "أبو حيّان" اختلاف اللغويّين حولها فيقول: «المخرج الخامس عشر: وهو للباء والميم والواو، وثلاثتها ممّا بين الشّفتين، فتنطبقان في الباء والميم لا في الواو خلافا للخليل في الواو، إذ هي عنده هوائية لا مخرج لها، وخلافا للمهدويّ فيها، إذ فصلها عن الباء والميم، وجعل لها على حدّتها مخرجا؛ وهي عنده السادس عشر مخرجا»[5]، فأمّا "الخليل" فسبق تفسير مذهبه في الألف والياء.

وأمّا "المهدوي" فلم يتفرّد بقوله: «الواو تهوي حتّى تنقطع إلى مخرج الألف»[6]؛ ودليل ذلك موافقة وصف "ابن جنّي" حروف المدّ واللين له؛ إذ يقول: «وهي حروف لين ومدّ، ومخارجها متّسعة لهواء الصّوت؛ وليس شيء من الحروف أوسع مخارج منها؛ ولا أمدّ للصّوت؛ فإذا وقفت عندها لم تضمّها بشفة ولا لسان ولا حلق كضمّ

[1]- رسالة أسباب حدوث الحروف: ابن سينا، ص: 84-85.
[2]- ينظر: سرّ صناعة الإعراب: ابن جنّي، ج: 01، ص: 08.
[3]- رسالة أسباب حدوث الحروف: ابن سينا، ص: 84-85.
[4]- ينظر: الكتاب: سيبويه، ج: 04، ص: 433. وسرّ صناعة الإعراب: ابن جنّي، ج: 01، ص: 48. والأصول في النّحو: ابن السّرّاج، ج: 03، ص: 401. والجمل في النّحو: الزّجّاجي، ص: 411.
[5]- ارتشاف الضّرب من لسان العرب: أبو حيّان الأندلسي، ص: 10-11.
[6]- همع الهوامع: جلال الدّين السيوطي، ج: 03، ص: 452.

غيرها؛ فيهوي الصّوت إذا وجد متّسعا حتّى ينقطع آخره في موضع الهمزة»[1]، والهمزة والألف من أقصى الحلق كلاهما.

غير أنّ "المبرّد" يلفت الانتباه بوصفه إنتاج الواو، وإن وافق الجمهور في مخرجها؛ يقول: «ومن الشّفة مخرج الواو، والباء، والميم؛ إلا أنّ الواو تهوي في الفم حتّى تتصل بمخرج الطّاء والضّاد، وتتفشّى حتّى تتصل بمخرج اللام»[2]، وهذا الوصف يحمل إشارات إلى وضع اللسان حين النّطق بالواو؛ فمعنى أن يهوي الصّوت: اتّساع مخرجه وهو وصف للألف عادة لأنّها أكثر أصوات المدّ اتّساعا، يقول "سيبويه": «ومنها الهاوي وهو حرف اتّسع لهواء الصّوت مخرجه أشدّ من اتّساع مخرج الياء والواو، لأنّك قد تضمّ شفتيك في الواو وترفع في الياء لسانك قِبَل الحنك، وهي الألف»[3]، واتّصالها بمخرج الطّاء (طرف اللسان وأصول الثّنايا) والضّاد (من أوّل حافّة اللسان وما يليها من الأضراس) يعني رجوع اللسان للخلف بحيث يتّصل طرف اللسان من أقصاه والأضراس؛ فيم يرجع طرف اللسان من أدناه إلى أصول الثّنايا، والمقصود بالتّفشّي حتّى تتصل بمخرج اللام: كثرة انتشار خروج الرّيح بين اللسان والحنك، وانبساطه في الخروج عند النّطق بها حتى يتصل الحرف بمخرج اللام[4]؛ وهذا يعني بالضّرورة تضييقا لمجرى الهواء على مستوى أقصى اللسان بارتفاعه إلى الحنك واتّصاله بالأضراس، واتّساعه في أدناه، وهو توصيف دقيق يوافق ما أثبته علماء اللغة في العصر الحديث.

أمّا الشّفتان فكان وصف "ابن جنّي" لها دقيقا حين قال: «تضمّ لها معظم الشّفتين، وتدع بينهما بعض الانفراج ليخرج فيه النّفس، ويتّصل الصّوت. وذلك قولك "أُوْ"»[5].

ثمّ النون وهي صامت تعرف اللغة العربيّة صوتين له أحدهما أصليّ وهو النّون الفمويّ المعروف في الأبجديّة العربيّة، والصّوت الثّاني صوت فرعيّ، أدرجه علماء اللغة ضمن المستحسن من الأصوات، وسمّوه النّون الخفيّة أو النون الخفيفة أو الغنّة.

---

[1]- الكتاب: سيبويه، ج: 04، ص: 176.
[2]- المقتضب: المبرّد، ج: 01، ص: 330.
[3]- الكتاب: سيبويه، ج: 04، 436.
[4]- ينظر: معجم المصطلح الصوتي عند علماء التجويد: بلقاسم مـگـريني، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط:01، 1434ه/2013م، ص: 363.
[5]- سرّ صناعة الإعراب: ابن جنّي، ج: 01، ص: 08.

فأمّا النّون الأولى فمخرجها التّاسع في ترتيب من أهملوا مخرج الجوف، والعاشر عند من أقرّه؛ «من حافّة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك وما فويق الثّنايا مخرج النّون»[1]، متّصلا بالخيشوم[2] تحت اللام قليلا[3].

وذهب بعضهم إلى أنّ اللام والنّون والرّاء من مخرج واحد، وهو رأي ردّه "ابن كيسان" فقال محتجّا لـ"سيبويه": «النّون أدخل في اللسان من الرّاء، وفي الرّاء تكرير ليس في النّون، وارتعاد طرف اللسان بالرّاء لتكريرها مخالف لمخرج النّون، فهما مخرجان متقاربان، قال: واللام مائلة إلى حافّة اللسان عن موضع النّون، تنحرف عن الضّاحك والنّاب والرّباعيّة حتّى تخالط الثّنايا، فهذا مخرج ثالث»[4]. بينما رأى "الدّاني أنّ النّون تسبق اللام والرّاء مخرجا[5]؛ ويرجع هذا الاضطراب في ضبط ترتيب المخارج إلى شدّة التّقارب بينها.

وأمّا النّون الخيشوميّة فسيأتي الحديث عنها لاحقا.

وبينما اتّفق القدماء على أنّ أصوات المدّ حركات طوال، اختلف المحدثون في التّفريق بينهما فونيتيكيا على ضربين:

فمنهم من وافق القدامى مذهبهم[6]، في «أنّ الفرق بين الفتحة وما يسمّى بالألف اللّيّنة لا يعدوا أن يكون فرقا في الكّمّية. وكذلك الفرق بين الياء والواو اللتين إذا قورنتا

---

[1]- الكتاب: سيبويه، ج: 04، ص: 433. وينظر: سرّ صناعة الإعراب: ابن جنّي، ج: 01، ص: 47. وأسرار العربيّة: أبو البركات الأنباري، ص: 420.

[2]- ينظر: ارتشاف الضّرب من لسان العرب: أبو حيّان الأندلسي، ص: 10. والتّحديد في الإتقال والتّجويد: أبو عمرو عثمان بن سعيد الدّاني الأندلسي، تح: غانم قدّوري الحمد، دار عمار، الأردن، ط: 01، 1421ه/2000م، ص: 103.

[3]- ينظر: النشر في القراءات العشر: ابن الجزري، ج: 01، ص: 200.

[4]- الرّعاية: مكّي بن أبي طالب، ص: 185.

[5]- ينظر: التّحديد: أبو عمرو الدّاني، ص: 103.

[6]- ينظر: أصوات الحركات العربيّة: دراسة دلاليّة جماليّة: منال محمد هاشم نجار، المجلّة الأردنيّة في اللغة العربيّة وآدابها، المجلّد: 06، العدد: 03، رجب 1431ه/ تموز 2010م، ص: 12. والأصوات العربيّة المتحوّلة وعلاقتها بالمعنى: عبد المعطي نمر موسى، ص: 166. والأصوات اللغويّة: إبراهيم أنيس، مكتبة نهضة مصر، دط، دت، ص: 40. والأصوات اللغويّة رؤية عضويّة ونطقيّة وفيزيائيّه: سمير شريف إيستيتيه، دار وائل للنّشر، عمان، ط: 01، 2003م، ص: 241. والتّفاوت في الصّوائت العربيّة: سعيد شواهنة، مجلّة أماراباك، المجلّد: 04، العدد: 08، 2013م، ص: 114. والحركات وأنصاف الحركات وأشباهها دراسة وصفيّة مقارنة: سهير كاظم حسن، مجلّة آداب البصرة، العدد: 55، لسنة 2011م، ص: 05. والدّراسات الصّوتيّة عند علماء التّجويد: غانم قدّوري الحمد، دار عمار، الأردن، ط: 02، 1428ه/2007م، ص: 327. ودراسات في علم اللغة: كمال بشر، ص: 95. وعلم الأصوات: برتيل مالبرج، تعريب ودراسة: عبد الصّبور شاهين، مكتبة الشّباب، مصر،

على التّرتيب بالكسرة والضّمّة، ليس إلا فرقا في الكمّيّة. فما يسمّى بالألف اللّيّنة هي في الحقيقة فتحة طويلة وما يسمّى بالياء اللّيّنة، ليست إلا كسرة طويلة. وكذلك الواو اللّيّنة تعدّ من النّاحية الصّوتيّة ضمّة طويلة؛ فكيفيّة النّطق بالفتحة، وموضع اللسان معها يماثل كلّ المماثلة كيفية النّطق بما يسمّى الألف اللّيّنة، مع ملاحظة فرق الكمّية بينهما»[1].

واعتمادا على ارتباط طول الحركة بالزّمن عرّف "سمير شريف استيتيه" طول الحركة «بأنّه المدّة الزّمنيّة التي يستمرّ فيها شكل الفراغات العليا (فراغات فوق الحنجرة) ثابتا على حاله عند النّطق بالحركة. ذلك أنّ أعضاء النّطق، عند النّطق بالحركة، تبقى ثابتة على وضع معيّن، مدّة من الزّمن. وبالقدر الذي يستمرّ فيه هذا الوضع، مع استمرار تدفّق الهواء المنتج للحركة يكون طول الحركة»[2].

بينما أثبت "سلمان العاني" أنّ الفرق بينهما يتجاوز الكمّ إلى الكيف، يقول: «جرى قياس المعْلَمين الأوّل والثّاني لكلا النوعين من الحركات القصيرة والطّويلة كما ينطقهما المؤلّف... ويظهر أنّ الاختلاف بين الفتحة القصيرة ونظيرتها الطّويلة ليس اختلافا كمّيا فحسب ولكنّه اختلاف نوعيّ كبير أيضا»[3]، وتبعه في ذلك جملة من الدارسين[4]، ويوضّح الفروقات بين الصوائت القصار والصّوائت الطّوال الرّسم التخطيطي الآتي[5]:

1984م، ص: 80. والمحيط: الأنطاكي، ص: 37. والمختصر في أصوات اللغة العربيّة: محمد حسن جبل، ص: 142. والمدخل إلى علم أصوات العربيّة: غانم قدّوري الحمد، دار عمار، الأردن، ط: 01، 1425ه/ 2004م، ص: 148.

[1]- الأصوات اللغويّة: إبراهيم أنيس، ص: 39-40.

[2]- الأصوات اللغويّة رؤية عضويّة ونطقيّة وفيزيائيّة: سمير شريف إستيتيه، دار وائل للنّشر، عمان، ط: 01، 2003م، ص: 241.

[3]- التّشكيل الصّوتي في اللغة العربيّة فونولوجيا العربيّة: سلمان حسن العاني، ص: 41.

[4]- ينظر: الأصوات اللغويّة: عبد القادر عبد الجليل، دار صفاء للنّشر والتوزيع، عمان، ط: 02، 1435ه/2004م، ص: 201. التّحليل النّطقي والأكوستيكي للحركات وللانتقال بينها وبين الوقفيات في العربيّة، أطروحة جامعيّة لنيل شهادة الماجيستير في اللغة العربيّة، إعداد: ابتسام حسين جميل، قسم اللغة العربيّة وآدابها، السّنة الجامعية:1413ه/1414ه، 1993م/1994م، جامعة اليرموك، ص: 75. الحركات في اللغة العربيّة دراسة في التّشكيل الصّوتي: زيد خليل القرالّة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط: 01، 1425ه/2004م، ص: 22-23. الحركة الإعرابيّة بين القيم الصّوتيّة والدّلاليّة: محمد سالم الرجوبي، مجلّة الجامعة الأسمريّة، العدد: 20، سنة 1435ه/2014م، ص: 267. دراسة الصّوت اللغوي: أحمد مختار عمر، ص: 325. في الأصوات اللغويّة دراسة في أصوات المدّ العربيّة: غالب فاضل المطلبي، دار الحرّيّة للطّباعة، بغداد، 1984م، ص: 220.

[5]- ينظر: التّشكيل الصّوتي في اللغة العربيّة فونولوجيا العربيّة: سلمان حسن العاني، ص: 43.

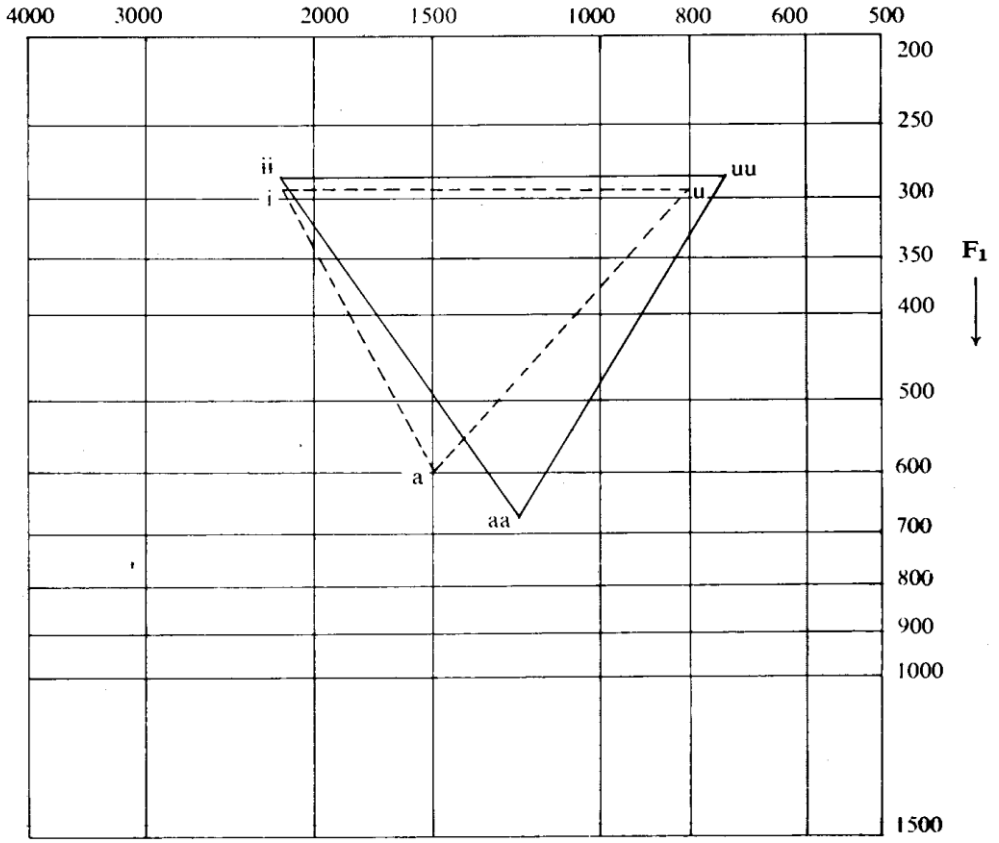

الشّكل رقم (03): رسم تخطيطي يوضّح الفروق بين الصّوائت القصار والصّوائت الطّوال

يمكن ملاحظة «تراجع عضلات اللسان وانقباضها للخلف وارتفاعه للأعلى عند النّطق بالحركات الطّويلة، وذلك بسبب الجهد المبذول في نطق الحركات الطّويلة أكثر منه في القصيرة»[1].

ميزة أخرى أضافها اللغويّون المحدثون للتّفريق بين الحركات القصيرة و الطّويلة وهي: بعض الاختلاف في شكل الشّفتين النّاتج عن مدّ الصّوت بحيث يكون انفتاحهما

[1]- الحركة الإعرابيّة بين القيم الصّوتيّة والدّلاليّة: محمد سالم الرجوبي، ص: 267.

في الألف أكبر منه في الفتحة[1]، وأكثر تدويرا عند النّطق بالضّمّة الطّويلة منه في الضّمّة القصيرة[2].

وإضافة إلى الاختلاف السابق بيين القدامى والمحدثين، اعتبر المحدثون الواو والياء من قبيل الاشتراك اللفظي، يقصد بهما الصّوتين الصّامتين، كما يقصد بههما الصّوتين الصّائتين الطّويلين، وراحوا يميّزون بينهما:

رأوا مخرج الياء بشجر الفم وهو مخرج يتناسب والياء الصّامتة[3]، التي وصف "سيبويه" مخرجها بدقّة أكبر فقال: «من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشّين والياء»[4].

وتنتج الياء الصّامتة «بأن تتّخذ الأعضاء الوضع المناسب لنطق صائت من نوع الكسرة [i] ثمّ تنتقل منه بسرعة إلى موضع صائت آخر أشدّ "بروزا". وهذا الانتقال السّريع من الكسرة [i] هو الذي يكوّن الصّامت المعروف بالياء. ونستطيع أن نصف بدأ هذا الصّوت بأن نقول إنّ وسط اللسان يرفع عاليا تجاه الحنك الصّلب (=وسط الحنك) و"تكسر" الشّفتان. يسدّ الطّريق إلى الأنف بأن يرفع الحنك اللّيّن؛ يتذبذب الوتران الصّوتيان»[5] ؛ وهذا التّوصيف الحديث مطابق لما قدّمه القدماء من اللغويّين.

ولا يستمرّ صوت الياء الصّامتة طويلا؛ إذ ينتقلّ المتحدّث بسرعة إلى إنتاج صائت آخر يتمثّل في الحركة التي اقترنت بالياء؛ وهو ما جعل الدّارسين يصفونها بالأصوات الانزلاقيّة ؛ وقد شرح "محمود السّعران" المقصود بهذه الصّفة في قوله: «يطلق هذا المصطلح* على "صوائت انزلاقيّة" يحدث فيها أن تبدأ الأعضاء بتكوين "صائت ضيّق" (كالكسرة مثلا) ثمّ تنتقل بسرعة إلى "صائت" آخر أشدّ "بروزا"، ولا يدوم وضع الصّائت الأوّل زمنا ملحوظا»[6]،ويبدو أنّ هذه الصّفة تختصّ بأشباه

[1]- ينظر: في الأصوات اللغويّة دراسة في أصوات المدّ العربيّة: غالب فاضل المطلبي، ص: 221.
[2]- ينظر: الحركة الإعرابيّة بين القيم الصّوتيّة والدّلاليّة: محمد سالم الرجوبي، ص: 267.
[3]- ينظر: دراسات في علم اللغة: كمال بشر، ص: 35.
[4]- الكتاب: سيبويه، ج: 04، ص: 433. وينظر: سرّ صناعة الإعراب: ابن جنّي، ص: 47.
[5]- علم اللغة: السّعران، ص: 180-181. وينظر: علم الأصوات: كمال بشر، ص: 369.
*- يعني أشباه الصّوائت.
[6]- علم اللغة: السّعران، ص: 179-180. وينظر: حروف العلّة دراسة لغوية: عبد الحميد عليوة مسعد، ص: 137.

الصّوائت أو ما تسمّى أشباه الحركات؛ فهي التي تبدأ في مخرج صائت وتنتهي في مخرج صائت غيره.

وجعل "كمال بشر" انزلاق الياء سببا في عدّها صوتا صامتا؛ فقال:«ولأجل هذه الطّبيعة الانتقاليّة أو الانزلاقيّة ولقصرها وقلّة وضوحها في السّمع إذا قيست بالحركات الخالصة، عدّت هذه الأصوات أصواتا صافية، لا حركات، على الرّغم ممّا فيها من شبه واضح بالحركات»[1]، والحقيقة أنّ هذه الخصيصة ليست الفرق الوحيد بين صوت الياء الصّامت والكسرة الطويلة؛ فطريقة إنتاجهما وإن تشابهت إلا أنّ الحركات لا يُسدّ مجرى الهواء أثناء النّطق بها فلا يحبس الهواء ولا يحتكّ، عكس الياء الشّجريّة التي يسبّب ارتفاع اللسان احتكاكا مع الحنك، ويسدّ الحنك اللين طريق الهواء إلى الأنف.

فالياء المدّية أو ما يسمّى الكسرة الطّويلة تنطق كما الكسرة القصيرة حيث تنطق الحركات الطّويلة بنفس الطّريقة التي تنطق بها الحركات القصيرة التي من جنسها والفارق بينهما يتمثّل في النّاحية الكمّيّة[2]؛ أي أنّها تنتج عن خروج الهواء حرا طليقا عبر الحلق والفم مصحوبا باهتزاز الأوتار الصّوتيّة، وترتفع مقدّمة اللسان نحو وسط الحنك الأعلى؛ بحيث يكون الفراغ بينهما كافيا لمرور الهواء دون أن يحدث في مروره بهذا الموضع أيّ نوع من الاحتكاك.

والكسرة الطّويلة لا يحدث أثناء النّطق بها انحباس للهواء ولا احتكاك فـ«حروف المدّ إنّما سمّيت بذلك إشارة إلى امتداد الهواء واستطالته، دون عائق أو مانع عند إصدارها نطقا»[3]، والحقيقة أنّ صفة الاستطالة تشترك فيها الصّوائت كلّها قصيرها وطويلها.

وبهذا تكون الياء صامتة إذا ضاق مجرى الهواء بحيث يسمح بمروره ولكن مع شيء من الصّعوبة بحيث يحدث الهواء احتكاكا مسموعا، وتكون مدّية إذا خرجت من الفم دون أن يقف في طريق الهواء حال النّطق بهما أيّ عائق أو مانع[4]، فالفرق الوحيد بين الصّوتين من حيث إنتاجهما هو الاحتكاك الحادث في نطق الياء الصّامتة.

---

[1]- كمال بشر: علم الأصوات، ص: 368.
[2]- ينظر: دراسة في علم الأصوات: حازم كمال الدّين، ص: 53-55.
[3]- كمال بشر: علم الأصوات، ص: 423.
[4]- ينظر: علم الأصوات: كمال بشر، ص: 371.

أمّا الواو فسبقت الإشارة إلى أنّها مشترك لفظيّ يقصد به صوتين، أوّلهما الواو الصّامتة في مثل ولد، والثّانية حركة طويلة أو مدّة كما في موقن. لذا وجب التّمييز بين الصّوتين؛ إذ «تبدأ أعضاء النّطق في اتّخاذ الوضع المناسب لنطق نوع من "الضّمّة" [u]، ثمّ تترك هذا الوضع بسرعة إلى وضع صائت آخر. وتختلف نقطة البدء اختلافا يسيرا فيما بين المتكلّمين وحسب الصّائت التّالي. تنظمّ الشّفتان، ويرفع أقصى اللسان نحو أقصى الحنك، ويسدّ الطّريق إلى الأنف بأن يرفع الحنك اللّيّن، ويتذبذب الوتران الصّوتيّان»[1]؛ يبدو واضحا من هذا الوصف شدّة التّقارب بين الواو الصّامتة والحركة؛ فارتفاع أقصى اللسان نحو أقصى الحنك وتذبذب الوتران الصّوتيان سبقت رؤيتهما في الضّمّة لكنّ الملاحظ هنا انسداد الطّريق إلى الأنف بارتفاع الحنك الأعلى.

وتعرف الواو لدى اللغويين بالصّوت الانتقالي، «أي: عند النّطق به يحدث انتقال من موضع نطق حركة، إلى موضع نطق حركة أخرى»[2]، حيث «تبدأ أعضاء النّطق بها من منطقة حركة من الحركات*، تنتقل من هذا الموضع بسرعة ملحوظة إلى موضع حركة أخرى. ولأجل هذه الطّبيعة الانتقاليّة أو الانزلاقيّة ولقصرها وقلّة وضوحها في السّمع إذا قيست بالحركات الخالصة، عدّت هذه الأصوات أصواتا صافية، لا حركات، على الرّغم ممّا فيها من شبه واضح بالحركات»[3].

وهذا يعني أنّ إنتاج الواو الصّامتة ينتج عن تذبذب الوتران الصّوتيان وارتفاع أقصى اللسان نحو أقصى الحنك، مع انسداد الطريق إلى الأنف بارتفاع الحنك الأعلى، أمّا الشّفاه فتكون مضمومة، وهذا الوصف يعني أنّ اعتراض الهواء يتمّ في نقطتين أولاهما أقصى اللسان، وثانيهما بين الشّفتين وهو ما جعل "كمال بشر" متردّدا في تحديد مخرج الواو[4]، أهو أقصى اللسان، أم الشّفتين.

وفي المقابل يتّضح من تسمية الواو المدّية ضمّة طويلة أنّ لهما نفس الخصائص الصّوتيّة، بما في ذلك كيفيّة إنتاجها، فهذا "حازم علي كمال الدّين" يقول: «تنطق الحركات الطّويلة بنفس الطّريقة التي تنطق بها الحركات القصيرة التي من جنسها

[1]- علم اللغة: السّعران ص: 180. وينظر: علم الأصوات: كمال بشر، ص : 369.
[2]- حروف العلّة دراسة لغوية: عبد الحميد عليوة مسعد، ص: 137.
*- وهي الضّمّة حالة نطق الواو.
[3]- علم الأصوات: كمال بشر، ص: 368.
[4]- ينظر: علم الأصوات: كمال بشر، ص : 369.

والفارق بينهما يتمثّل في النّاحية الكمّيّة»[1]، وهو كلام يفسّر اسم الضّمّة الطّويلة؛ حيث تنتج الواو المدّية عن اندفاع هواء الزّفير ترافقه ذبذبة الأوتار الصّوتيّة، حتّى يُعترضَ على مستوى أقصى اللسان؛ الذي يرتفع نحو سقف الحنك ارتفاعا يؤدّي إلى تغيّر مجرى الهواء بهذا الموضع.

وهكذا يظهر أنّ الفرق بين الواو الصّامتة والضّمّة طويلة كانت أم قصيرة من حيث إنتاجهما يتمثّل في اعتراض الهواء أثناء النّطق بالواو اعتراضا يؤدّي إلى احتكاك الهواء فـ «الواو لا فرق بينها وبين الضّمّة (u) إلا في أنّ الفراغ بين أقصى اللسان، وأقصى الحنك في حالة النّطق بالواو، أضيق منه في حالة النّطق بالضّمّة (u)، فيسمع الواو أيضا نوع ضعيف من الحفيف، جعلها أشبه بالأصوات السّاكنة. أمّا حين ينظر إلى موضع اللسان معها، فيمكن أن نعدّها شبه صوت لين (u)»[2].

وما ذهب إليه "كمال بشر" أثناء التّمييز بينهما من أنّ «هما من النّوع الأوّل إذا خرجتا من الفم دون أن يقف في طريق الهواء حال النّطق بهما أيّ عائق أو مانع، ولكنّهما من النّوع الثّاني إذا ضاق مجرى الهواء بحيث يبقى مسار ضيّق يسمح بمروره ولكن مع شيء من الصّعوبة بحيث يحدث الهواء احتكاكا مسموعا»[3]، ففيه نوع من المبالغة، فالصّوت لا ينتج دون اعتراض للهواء، إنّما هو حال النّطق بالحركات اعتراض طفيف لا يؤدّي لاحتكاك ولا احتباس للهواء، بل يغيّر شكل مجرى الهواء.

وأخيرا النّون، وهو صوت أنفميّ ولإصداره يندفع الهواء من الرّئتين ثمّ يمرّ بين الوترين زامرا –لتضايقهما-[4] حتّى إذا أشرف على تجويف الفم اعتمد طرف اللسان على أصول الأسنان مع اللثّة[5] خلف الثّنايا العليا[6]، ويلتصق بهما[7]، فيحبس الهواء، وينخفض الحنك اللين (وهو الطّبق) فينفتح المجرى الأنفيّ بينما تغلق اللهاة فراغ الفم

[1]- دراسة في علم الأصوات: حازم كمال الدّين، ص: 53-55.
[2]- حروف العلّة دراسة لغوية: عبد الحميد عليوة مسعد، ص: 138.
[3]- علم الأصوات: كمال بشر، ص: 371.
[4]- ينظر: المختصر في أصوات اللغة العربيّة: محمد حسن جبل، ص:110-111
[5]- ينظر: علم الأصوات: كمال بشر، 348.
[6]- ينظر: علم الأصوات العربيّة: محمدجواد النّوري، ص: 164.
[7]- ينظر: علم الأصوات العام: بسّام بركة، مركز الإنماء القومي، لبنان، دط، دت، ص: 119.

تماما[1]، فينمكّن الهواء من الخروج عبر التّجاويف الأنفيّة[2] دون أن يحدث احتكاكا مسموعا[3].

والمعلوم أنّ علامات الإعراب لا تقتصر على الأصوات، ففي حال الجزم، تعرف الفعال بالسّكون وحذف الصّوت. و «السّكون عبارة عن خلوّ العضو من الحركات عند النّطق بالحرف، فلا يحدث بعد الحرف صوت فينجزم عند ذلك، أي: ينقطع، فلذلك سمّي: جزما، اعتبارا بانجزام الصّوت، وهو انقطاعه. وسكونا؛ بالعضو السّاكن»[4]

وأصل الجزم: القطع. يقال جزمت الشّيء وجذمته وبترته وجذذته وصلمته وفصلته وقطعت بمعنى واحد. فكأنّ معنى الجزم قطع الحركة عن الكلمة، هذا أصله، ثمّ جعل منه ما كان بحذف حرف على هذا، لأنّ حذف الحركة وحذف الحرف جميعا يجمعهما الحذف[5]، أثبتوها في الرّفع وحذفوها في الجزم كما حذفوا الحركة في الواحد[6].

[1]- ينظر: حروف العلّة دراسة لغوية: عبد الحميد عليوة مسعد، ص : 171.
[2]- ينظر: علم الأصوات العام: بسّام بركة، ص: 119.
[3]- ينظر: حروف العلّة دراسة لغوية: عبد الحميد عليوة مسعد، ص : 171.
[4]- بدائع الفوائد: ابن قيّم الجوزيّة، ص: 60. نتائج الفكر: السّهيلي، ص: 67.
[5]- ينظر: الإيضاح في علل النّحو: أبو القاسم الزّجّاجي، ص: 94-95.
[6]- ينظر: الكتاب: سيبويه، ج: 01، ص: 19.

المبحث الثّاني: صفات الصّوائت (الخصائص الصّوتيّة):

أوّلا: علامات الإعراب الأصليّة:

لدراسة الخصائص الصّوتيّة للصّوائت وضع اللغويّون المحدثون معايير اعتمدت على الأطر التي قامت عليها فكرة الحركات المعياريّة لـ "دانيال جونز"(Daniel Jones)، وهي:

- الوضع العمودي للسان vertical position.
- الوضع الأفقي للسان horizontal position.
- وضع الشّفتين lips position .

ولو رجعنا إلى التّراث اللغوي وجدنا أنّ القدامى كانوا غير غافلين عن هذه الصّفات، وإن لم يفردوا لها باب خاصّا؛ فإنّهم عالجوا الصّوائت في أبواب متفرّقة:

فأمّا المعيار الأوّل (الوضع العمودي للسان) فيقصد به المسافة بين الحنك الأعلى واللسان؛ وهو ما يقابل عند القدامى مصطلحي الاستعلاء* والاستفال*؛ وفي هذا الباب وافق مفهومهم للاستعلاء وصفهم الضّمّة حركة الرّفع؛ يقول "الزّجّاجي": «نسبوا الرّفع كلّه إلى حركة الرّفع لأنّ المتكلّم بالحركة المضمومة يرفع حنكه الأسفل إلى الأعلى ويجمع بين شفتيه»[1]، كما وافق وصفَهم الكسرةَ إذا سلّمنا أنّها بعض الياء[2]؛ يقول "سيبويه": «ترفع في الياء لسانك قِبَل الحنك»[3]، ويفصّل "ابن جنّي" قائلا: «وأمّا الياء فتجد منها الأضراس سفلا وعلوا قد اكتنفت جنبتي اللسان وضغطته، وتفاجّ الحنك عن ظهر اللسان، فجرى الصّوت متصعدا هناك، فلأجل تلك الفجوة ما استطال »[4].

*- وهو «أن تتصعّد في الحنك الأعلى، فأربعة منها فيها مع استعلائها إطباق...، وأمّا الخاء والغين والقاف فلا إطباق فيها مع استعلائها» سر صناعة الإعراب: ابن جنّي، ج: 01، ص: 62 .

*- ضدّ الاستعلاء وأسماه "ابن جنّي" الانخفاض لانحطاط اللسان عند خروج الحرف عن الحنك إلى قاع الفم. ينظر: المصدر نفسه، ج: 01، ص: 62. ونهاية القول المفيد في علم تجويد القرآن المجيد: محمد مكّي نصر الجريسي: ص: 51.

[1]- الإيضاح في علل النّحو: أبو القاسم الزّجّاجي، ص: 94.

[2]- ينظر: سر صناعة الإعراب: ابن جنّي، ج: 01، ص: 17.

[3]- الكتاب: سيبويه، ج: 04، ص: 436.

[4]- سرّ صناعة الإعراب: ابن جنّي، ج: 01، ص: 08.

لكنّهم في تصنيفهم الأصوات من حيث الاستعلاء والاستفال؛ صنّفوا الصّوائت أصواتا مستفلة؛ أمّا الألف فلأنّه ليس فيه عمل عضو أصلا[1]، وأمّا الواو فلأنّه ليس فيه عمل للسان أصلا[2]، بينما الياء يرتفع وسط اللسان قبل الحنك الأعلى عند النّطق بها، ولكنّ «المعتبر في الاستعلاء استعلاء أقصى اللسان، سواء استعلى معه بقيّة اللسان أم لا وحروف وسط اللسان وهي الجيم والشّين والياء لا يستعلى بها إلا وسط اللسان»[3]، وهكذا تكون كلّ الصّوائت مستفلة عند القدامى.

- ولما سبق الحديث عن المعيار الثّاني (الوضع الأفقي للسان) وظهر الاختلاف فيه بين القدامى والمحدثين تجنبنا إعادة الخوض فيه تجنبنا للتكرار و الاطناب ، إلا ما كان من "ابن رشد" فإنّه وافق المحدثين ترتيب المخارج؛ حيث رتّب القدامى الحركات تبعا لمخارجها فجعلوا «الفتحة أوّل الحركات وأدخلها في الحلق، والكسرة بعدها، والضّمّة بعد الكسرة»[4]، فيما جعل "ابن رشد" مخرج الواو من أقصى اللسان والألف من وسطه والياء من أدناه[5] موافقا في مذهبه ما وصل إليه العلم الحديث.
- بينما يعدّ المعيار الثّالث (وضع الشّفتين) أوّل جهد صوتيّ عربي، بل وأوّل خطوة في الدرس اللغوي؛ حيث نقط "أبو الأسود الدّؤلي" المصحف درءا للحن المنتشر اعتمادا على وضع الشّفاه؛ يقول "أبو عمر الدّاني": «قال أبو الأسود: إذا رأيتني لفظت بالحرف، فضممت شفتيّ اجعل أمام الحرف نقطة، فإذا ضممت شفتيّ بغنّة فاجعل نقطتين، فإذا رأيتني قد كسرت شفتيّ فاجعل أسفل الحرف نقطة، فإذا كسرت شفتيّ بغنّة فاجعل نقطتين، فإذا رأيت قد فتحت شفتيّ فاجعل على الحرف نقطة، فإذا فتحت شفتيّ بغنّة فاجعل نقطتين»[6]؛ وفي هذا إدراك تام لوصف الصّوائت تبعا لوضع الشّفاه من ضمّ وكسر وفتح، ومنها أخذت الحركات مسمّياتها.

---

[1]- ينظر: نهاية القول المفيد في علم تجويد القرآن المجيد: محمد مكّي نصر الجريسي ، ص: 94.
[2]- ينظر: المصدر نفسه، ص: 94.
[3]- المصدر نفسه، ص: 51.
[4]- سرّ صناعة الإعراب: ابن جنّي، ج: 01، ص: 53.
[5]- ينظر: الضّروريّ في النّحو: أبو الوليد بن رشد، ص: 147-148.
[6]- المحكم في نقط المصاحف: أبو عمرو عثمان بن سعيد الدّاني، تح: عزّة حسن، دار الفكر المعاصر، لبنان، دار الفكر، سوريا، ط: 02، 1418ه/1997م، ص: 6-7.

في المقابل وصف المحدثون الصّوائت وصفا دقيقا اعتمدوا فيه على ما توصّل إليه العلم من أجهزة حديثة؛ وجعلوا للصّوائت صفات تتناسب والمعايير المعتمدة في التّصنيف، على النّحو التّالي:

1- صفات تعتمد على الوضع الأفقي للسان: ويقصد بها موضع النّطق بالصّائت؛ أي «المكان من الحنك الذي يتجمّع باتّجاهه اللسان ويتقدّم منه أثناء النّطق بالصّوت»[1]، وهو ما يسمح بالتّمييز بيم ثلاث صفات:

أ-الصّوائت الأماميّة: وتسمّى كذلك الأصوات الحنكية[2] وتعرف بأنّها «تلك الأصوات الصّائتة، التي يرتفع، حال النّطق بها، الجزء الأماميّ من اللسان تجاه الحنك اللّيّن، أو أقصى الحنك[3]» .

ب- الصّوائت الخلفيّة: وهي الصّوائت «التي تتكوّن عن طريق تجمّع اللسان في مؤخّرة الحنك، أي عن طريق رفع الجزء الخلفي من اللسان تجاه الحنك اللّيّن، أو أقصى الحنك»[4]، وتسمّى كذلك الصّوائت اللهوية لأنّ اللسان يتقدّم لدى النّطق بها باتّجاه الحنك اللّيّن واللهاة[5].

ج- الصّوائت المتوسّطة: وهي الصّوائت التي يكون وسط اللسان أثناء النّطق بها أعلى نقطة فيه ويشغل منزلة بين المنزلتين السابقتين، وذلك بتموضع اللسان في وسط تجويف الفم[6]، متقدّما باتّجاه الموضع الوسيط من الحنك[7].

2- صفات تعتمد على الوضع العمودي للسان: أي المسافة بين اللسان وسقف الحنك، فهي التي تحّدد صفة الحركة المنطوقة، فإذا كانت المسافة قصيرة، كانت الحركة ضيّقة أو مغلقة، وكلّما ازدادت المسافة بينهما بهبوط اللسان أسفل التّجويف

[1]- علم الأصوات العام: بسّام بركة، ص: 129.
[2]- ينظر: المصدر نفسه، ص: 129.
[3]- علم الأصوات اللغويّة (ظواهر علم الأصوات في القرآن الكريم): نور الدّين عصام، المكتبة الأزهرية للتّراث، مصر، 2009م، ص: 254.
[4]- المصدر نفسه، ص: 254.
[5]- ينظر: علم الأصوات العام: بسّام بركة، ص: 129.
[6]- ينظر: علم الأصوات اللغويّة: نور الدّين عصام، ص: 254.
[7]- ينظر: علم الأصوات العام: بسّام بركة، ص: 129.

الفموي، ازدادت الحركة انفتاحا. وهكذا حتّى يصل الانفتاح إلى أقصى درجة ممكنة[1]، وبهذا أمكن تقسيم الصّوائت إلى:

أ-صوائت ضيّقة: وهي صوائت «تنتج بأشدّ انغلاق ممكن صائتيّا »[2]، بحيث يكون معها وسط اللسان في أقصى وضع ممكن من الارتفاع بحيث لا تحدث إعاقة لتيّار النفس، ولهذا تكون فتحة الفم ضيّقة. ومن أمثلته /i/ و/u/. ويدعوه البعض صائتا عاليا[3].

ب-صوائت متّسعة: وهي الصّوائت التي يكون الفراغ بين اللسان والحنك عند النّطق بها، أقصى ما يمكن أن يصل إليه الفم في انفتاحه[4]، و«الصّوائت المفتوحة التي تنتج بانفتاح الفم أشدّ ما يمكن من الانفتاح »[5]، ويكون هذا الاتساع بارتفاع اللسان في أثناء نطق الصائت الى أقصى حد، ولو زاد الارتفاع عن ذلك الحد لحصل نوع من الحفيف مما يجعل الصوت ضيقاً، أما اذا انخفض اللسان إلى أدنى مستوى له في قاع الفم مع ارتفاع طفيف في وسطه فيكون الصوت متسعا[6].

ج- صوائت نصف ضيّقة: «صائت ينزل معه وسط اللسان في اتّجاه قاع الفم تاركا ثلث المدى فوقه وثلثيه تحته، مثل /e/. وينزل اللسان في الفم مسافة 0.75 ميليمتر بالنّسبة لموضعه عند نطق الصّائت الضّيّق. والصّائت نصف الضّيّق يقع اللسان عند نطقه بين موقعه عند نطق الصّائت الضّيّق وموقعه عند نطق الصّائت الواسع. ويدعوه البعض صائتا نصف عال، غير أنّ البعض يدعوه صائتا وسطيا. ويتوقف الأمر على طريقة تقسيم الصّوائت من حيث ارتفاع اللسان في الفم. فالبعض يقسّمها إلى ثلاثة أنواع: عال ووسطي ومنخفض. والبعض يقسمها إلى أربعة أنواع: ضيّق ونصف ضيّق ونصف واسع وواسع»[7].

---

[1]- ينظر: المصدر نفسه، ص: 129. والتّحليل النّطقي والأكوستيكي للحركات: إبتسام حسين جميل، ص: 214-215.

[2]- علم الأصوات العام: بسّام بركة، ص: 129.

[3]- ينظر: معجم علم الأصوات: محمد علي الخولي، مطابع الفرزدق التّجاريّة، السّعوديّة، 1402ه/1982م، ص: 101.

[4]- ينظر: المدخل إلى علم أصوات العربيّة: غانم قدّوري الحمد، ص: 143.

[5]- علم الأصوات العام: بسّام بركة، ص: 129.

[6]- ينظر: الصّوائت القصيرة العربيّة: عثمان رحمن حميد وعمّار عبد السّتّار محمّد، مجلّة ديالي، العدد الحادي والسّبعون، 2016م، ص: 381.

[7]- معجم علم الأصوات: محمد علي الخولي، ص: 104.

وفي هذا الباب قام "أحمد مختار عمر" بعد تأمّل المسافات المختلفة للسان أثناء النّطق بمختلف الحركات المعياريّة، ومن ثمّ أسقطها على مخطط "دانيال جونز" (Daniel Jones) فبدت على الشّكل الآتي[1]:

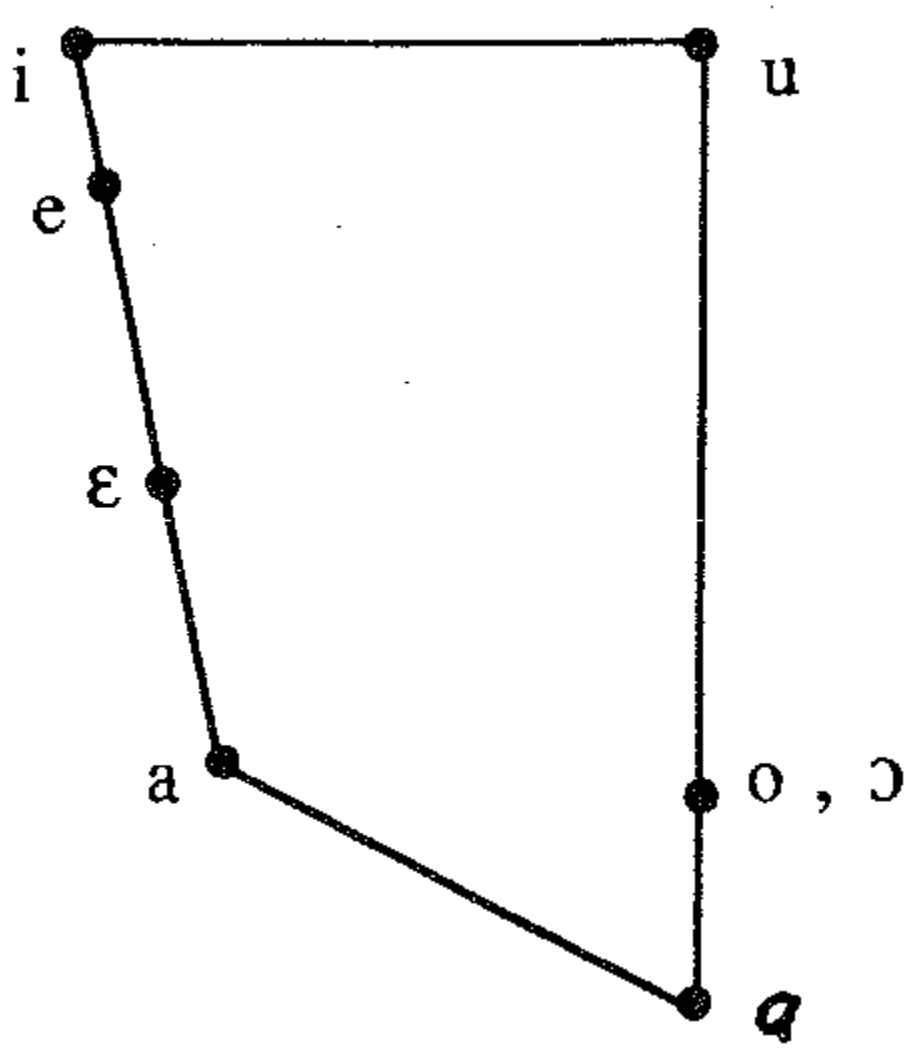

الشّكل رقم (04): إسقاط الحركات المعيارية على اللسان بالنظر إلى مسافة ارتفاع اللسان.

[1]- ينظر: دراسة الصّوت اللغوي: أحمد مختار عمر، ص: 150.

3- صفات تعتمد على وضع الشّفتين: «من الجدير بالذّكر أن ننتبه إلى أنّ وضع الشّفتين، ليس مجرّد تكييف خارجيّ لهيئة الصّوت، فهو أكثر من ذلك بكثير. ففي الوقت الذي نقلّل فيه انفتاح الشّفتين مثلا، فإنّ حجرة الرّنين الدّاخليّة تكون أكثر اتّساعا. وهذا من شأنه أن يؤدّي إلى تقليل نغمة الحنجرة الفمويّة وخفضها، ويصبح جرس الصّوت أقلّ وأضعف»[1].

أ- صوائت مستديرة: «فالاستدارة تكون حين النّطق بالأصوات الخلفيّة متدرّجة من حيث الضّمّ من صوت (ɑ) أي الفتحة المفخّمة إلى صوت (ə) أي الإمالة الضّمّية المنفرجة، إلى صوت (o) أي الإمالة الضّمّية الحادّة، إلى صوت (u) أي الضّمّة حيث تبلغ الاستدارة أقصاها مع بروز إلى الأمام كما في نطق كلمة (بوم) مثلا»[2].

ب- صوائت منفرجة أو منكسرة: «أمّا الانفراج فيكون حين النّطق بالأصوات الأماميّة التي يتدرّج الانفتاح والكسر فيها حتّى يبلغ مداه في نطق كلمة (كيس) مثلا. وتقابل الأصوات الأماميّة المنفرجة الصّوائت والصّور الصّوتيّة...»[3].

ج- صوائت محايدة: تكون الشّفاه في وضع محايد neutral معناه: «غير مضمومة not rounded، وغير منفرجة not spread. (ضمّ الشّفاه يكون مع الضّمّة وانفراجها مع الكسرة)، أو بعبارة أخرى تكون الشّفاه معها مفتوحة»[4].

واستفاد اللغويّون في العصر الحديث ممّا توصل إليه علم الفيزياء فقسّموها اعتمادا على حجرات الرّنين والحزم الصّوتية إلى:

أ- حاد: توصف بالحدّة الصّوائت التي تنتج عن وجود ضوضاء مقترنة بغلبة ترددات عالية[5]؛ ويرجع ذلك إلى التّجويف الحلقي، «فكلّما كان التّجويف صغيرا (قصيرا ضيّقا) كانت سيطرة التّردّدات العالية كبيرة، وكان الصّوت الصّادر حادّا»[6].

ب-رزين أو غليظ: غلبة التّرددات المنخفضة يجعلها ذات طابع رزين[7].

---

[1]- الأصوات اللغويّة رؤية عضويّة ونطقيّة وفيزيائيّة: سمير شريف استيتيه، ص: 216.
[2]- مبادئ اللسانيات: أحمد محمد قدور، دار الفكر، سوريا، ط: 03، 1429ه/2008م، ص: 136.
[3]- المصدر نفسه، ص: 136.
[4]- دراسات في علم اللغة: كمال بشر، ص: 88.
[5]- ينظر: علم الأصوات: برتيل مالبرج، ص: 28-29.
[6]- المصدر نفسه، ص: 29.
[7]- ينظر: المصدر نفسه.

وإلى:

أ-منتشر: وهي صفة للأصوات التي تكون الحزمتان الرّئيسيتان لنطق الحركة في أقصى الطّرفين، منفصلتين إحداهما عن الأخرى بشكل واضح[1].

ب- متضام: صفة للأصوات التي تكون الحزمتان الرّئيسيتان لنطق الحركة وسط الرّسم الطّيفي[2]، ويمكن تمثيل الصّوائت الرّئيسية أكوستيكيا بالمخطّط الآتي[3]:

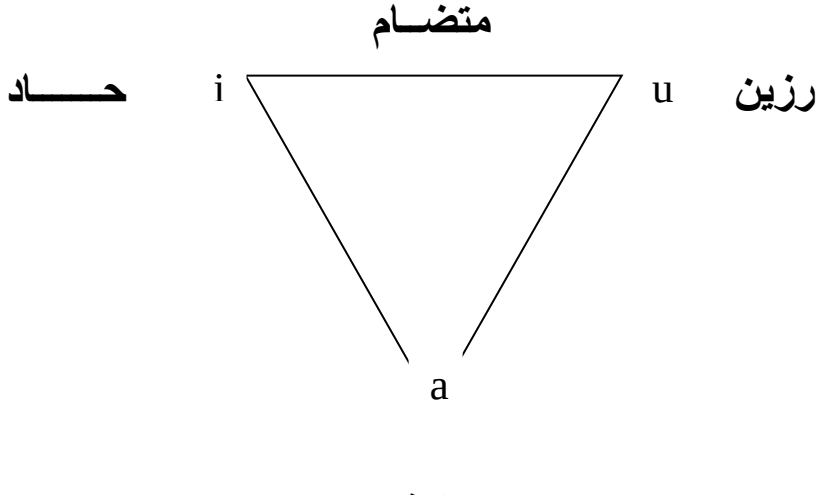

الشّكل رقم (05): رسم تخطيطي للصّوائت باعتبار حزمها الصّوتيّة.

استنادا إلى هذه الأوصاف وما سبق من وصف لآلية إنتاج الصّوائت؛ يمكن استنتاج الوصف الخاص بكلّ صائت:

- **أوّلا:** الكسرة: اعتمادا على النّطق بالكسرة، يتّضح أنّها صائت: قصير، أماميّ، ضيّق، منفرج، حاد، متضامّ.
- **ثانيا:** الفتحة: نظرا إلى آلية إصدار صوت الفتحة يمكن وصفها بأنّها صائت: قصير، متوسط، متسع، محايد، منتشر، أمّا من حيث الحدّة والغلظ فيرى "برتيل ممالبرج" أنّ الصّائت (a) الموافق للفتحة يشغل من هذه الوجهة مكانا وسيطا (محايدا)[4].

[1]- ينظر: المصدر السّابق، ص: 25.
[2]- المصدر نفسه، ص: 25.
[3]- ينظر: المصدر نفسه، ص: 30، ودراسة الصّوت اللغوي: أحمد مختار عمر، ص: 39.
[4]- ينظر: علم الأصوات: برتيل مالبرج، ص: 25.

- **ثالثا:** الضّمّة: الضّمّة استنادا إلى آلية إنتاجها صائت: قصير، خلفي، ضيّق، مستدير، غليظ، متضامّ.

ثانيا: علامات الإعراب الفرعيّة:

تحدّث اللغويّون القدامى عن الحركات الطوال في سياق حديثهم عن ظواهر صرفيّة، نحويّة، دلالية؛ الأمر الذي جعل آراءهم الصّوتيّة مبعثرة في الكتب، ولا يعني عدم إفراد أبواب خاصّة لها جهلهم بها، فقد بيّنوا وبدقّة مخارجها وآلية إنتاجها، بل وحدّدوا صفاتها المميّزة فوصفوها بـ:

- **المد**: والمقصود بالمد ما لا تقوم ذات حرف المد دونه[1]، وحروف المد ثلاثة، يقول "المبرد": «إنّ المدّة الألف، والياء المكسور ما قبلها، والواو المضموم ما قبلها»[2]؛ سميت بحروف المد لأن مد الصوت لا يكون في شيء من الكلام إلا فيهن[3]، «يمتدّ بها بعد إخراجها من موضعها، إلا أنّ المدّ الذي في الألف أكثر من المدّ الذي في الياء والوا»[4].

ويشير "سيبويه" إلى أن الأصل في المد الألف والواو والياء أشبهتاها، فقال: «الياء التي كالألف ياء قنديل، والواو واو زنبور، كياء يبيع وواو يقول، لأنّهما ساكنتان وحركة ما قبلهما منهما»[5]،سواء أكانتا أصليتين أم زائدتين، وهو ما أكده "القسطلاني" و "ابن الجزري". أما "أبو عمر الداني" فنظر إلى الأمر نظرة فونيتيكية معللا وجه الشبه بين الألف وأختيها اتساع مخارجها عند النّطق بها بقوله: «لأنّ اتّساع الصّوت بمخرج الألف أشدّ من اتّساعه لهما، لأنّك قد تضمّ شفتيك في الواو، وترفع لسانك قبل الحنك في الياء»[6].

- **المتّسعة:** نسبة إلى اتّساع مخارجها، يقول "سيبويه": «هذا باب الوقف في الواو والياء والألف: وهذه الحروف غير مهموسات، وهي حروف لين ومدّ،

---

[1]- ينظر: التمهيد في علم التّجويد: شمس الدّين أبو الخير محمد بن الجزري، تح: غانم قدّوري حمد، مؤسّسة الرّسالة، لبنان، ط: 01، 1421ه/2001م، ص: 68

[2]- المقتضب: المبرّد، ج: 01، ص: 233.

[3]- ينظر: الرعاية: مكي بن أبي طالب، ص: 65.

[4]- التّحديد: أبو عمر الدّاني، ص: 107.

[5]- الكتاب: سيبويه، ج: 04، ص: 290.

[6]- التّحديد: أبو عمر الدّاني، ص: 107.

ومخارجها متّسعة لهواء الصّوت؛ وليس شيء من الحروف أوسع مخارج منها؛ ولا أمدّ للصّوت؛ فإذا وقفت عندها لم تضمّها بشفة ولا لسان ولا حلق كضمّ غيرها؛ فيهوي الصّوت إذا وجد متّسعا حتّى ينقطع آخره في موضع الهمزة»[1]، وجعلت صفة اتّساع مخارج هذه الأصوات سببا في وصفها بالهوائيّة.

- **الهوائيّة:** أطلق "الخليل بن أحمد" هذه الصّفة على الألف اللّيّنة والواو والياء لأنّها في الهواء[2]، وجعل "القسطلاني" صفة الهوي من «امتداد النّفس على الاستقامة»[3]، وهذه إشارة إلى الأصوات التي لا يعترضها عارض ولا حائل؛ وهي ميزة أساسيّة للصّوائت عامّة والألف على وجه الخصوص.

واختلف اللغويّون في وصف المدود بالهوي فوافق "القسطلاني" "الخليل بن أحمد" في وصف المدود الثلاثة بالهوائية لأنّها تخرج من هواء الفم وليس لها أحياز[4]؛ وذهب"سيبويه" إلى إفراد الألف بهذه الصّفة فقال: «ومنها الهاوي وهو حرف اتّسع لهواء الصّوت مخرجه أشدّ من اتّساع مخرج الياء والواو، لأنّك قد تضمّ شفتيك في الواو وترفع في الياء لسانك قِبَل الحنك، وهي الألف»[5]، وتبعه في هذا أغلب اللغويّن أمثال: "ابن جنّي"[6]، و"المبرّد"[7]، و"الزّمخشري"[8]، و"ابن يعيش"[9]، و"ابن الحاجب"[10]، و"ابن مالك"[11]، و"أبو عمر الدّاني"[12]، و"الشّاطبي"[13].

---

[1]- الكتاب: سيبويه، ج: 04، ص: 176.
[2]- ينظر: العين: الخليل بن أحمد، ج: 01، ص: 57.
[3]- المستطاب في التّجويد المسمّى هداية القرّاء: شهاب الدّين أبو العبّاس بن محمد القسطلاني، تح: السّيّد يوسف أحمد، دار الكتب العلميّة، بيروت، 2008م، ص: 100.
[4]- المصدر السابق، ص: 101.
[5]- الكتاب: سيبويه، ج: 04، ص: 436.
[6]- ينظر: سرّ الصّناعة: ابن جنّي، ج: 01، ص: 62.
[7]- ينظر: المقتضب: المبرّد، ج: 01، ص: 328.
[8]- ينظر: المفصّل في علم العربيّة: الزّمخشري، ص: 422.
[9]- ينظر: شرح المفصّل: ابن يعيش، ج:10، ص: 130.
[10]- ينظر: الكافية في علم النّحو والشّافية في علمي التّصريف والخط: جمال الدّين عثمان بن عمر بن أبي بكر ابن الحاجب، تح: صالح عبد العظيم الشّاعر، مكتبة الآداب، القاهرة، دط، دت، ص: 97.
[11]- ينظر: تسهيل الفوائد: ابن مالك، ص: 320.
[12]- ينظر: التحديد: أبو عمر الدّاني، ص: 108.
[13]- ينظر: متن الشّاطبيّة المسمّى حرز الأماني ووجه التّهاني في القراءات السّبع: القاسم بن فيرّه بن خلف بن أحمد الشّاطبي الرّعيني الأندلسي، ضبطه وصحّحه وراجعه: محمد تميم الزعبي، دار الهدى، السعودية، ط: 05، 1431ه/2010م، ص: 93.

بيما وافق كلّ من"مكّي بن أبي طالب" و"ابن الجزري" بين الرّأيين فقالا إنّ الحروف الهوائيّة هي حروف المدّ واللين. «وإنّما سمّيت بالهوائيّة لأنّ كلّ واحدة منهن تهوي عند اللفظ به في الفم، فعمدة خروجها من هواء الفم، وأصل ذلك الألف، والواو والياء ضارعتا الألف في ذلك، والألف أمكن في هواء الفم من الواو والياء، ولا يعتمد اللسان عند النطق بها إلى موضع الفم»[1].

- **اللين:** عرّف "ابن الجزري" اللين فقال: وأما اللين فهو عبارة عمّا يجري من الصّوت في حرف المدّ، ممزوجا بالمدّ طبيعة أو ارتباطا، لا ينفصل أحدهما في ذلك عن الآخر، وهو أجرى في الواو والياء إذا انفتح ما قبلهما، كما أن المدّ أجرى فيهما إذا انكسر ما قبل الياء وانضمّ ما قبل الواو[2]. فيما يرى "القسطلاني" أنّه أقل المدّ من حروف المدّ عند النّطق به. ويصدق اللين على حروف المدّ، بخلاف العكس، لما يلزم من وجود الخاص وجود العام[3].

وعرّف "سيبويه" حروف اللين فقال: «حروف اللين هي حروف المدّ التي يمدّ بها الصّوت، وتلك الحروف: الألف، والواو، والياء»[4]، وقال في موضع آخر معللا التّسمية: «ومنها الليّنة، وهي الواو والياء، لأنّ مخرجهما يتّسع لهواء الصّوت أشدّ من اتّساع غيرهما كقولك: وأيٌ، والواو. وإن شئت أجريت الصّوت ومددت»[5] ويشرح "ابن يعيش" الرّابط بين صفة اللين واتساع مخرج الصّوت فيقول: «المقطع إذا اتّسع انتشر الصّوت ولان وإذا ضاق انضغط فيه الصّوت وصلب إلا أن الألف أشدّ امتدادا واستطالة إذ كان أوسع مخرجا»[6].

وتوصف باللين الألف والياء والواو السّواكن؛ أما الألف فلا تتغير عن سكونها وفتح ما قبلها، وهي لا تكون إلا حرف مدّ ولين، بخلاف الواو والياء فإنّهما تارة يكونان حرفيّ مدّ إذا سكنا وناسبهما حركة ما قبلهما، وتارة يكونان حرفي لين إذا انفتح ما

[1]- التمهيد: ابن الجزري، ص:103. وينظر: الرّعاية: مكّي بن أبي طالب، ص: 66.
[2]- ينظر: التّمهيد: ابن الجزري، ص: 68.
[3]- ينظر: المستطاب: شهاب الدّين القسطلاني، ص: 101.
[4]- الكتاب: سيبويه، ج: 03، ص: 426
[5]- المصدر نفسه، ج: 04، ص: 435.
[6]- شرح المفصّل: ابن يعيش، ج: 10، ص: 130.

قبلهما كالخوف والبيت[1]؛ فهنا يزول عنهما المد وتبقى صفة اللين مع قبولهما المدّ عند ملاقات سببه وهو الهمز والسكون[2].

- **الخفاء**: صنّف اللغويّون أصوات المدّ وحرف الهاء ضمن الحروف الخفيّة[3]، بل ورأى "سيبويه" و"ابن يعيش" أنّ «هذه الثّلاثة أخفى الحروف لاتّساع مخرجها. وأخفاهنّ وأوسعهنّ مخرجا: الألف، ثمّ الياء، ثمّ الواو»[4]، بينما رأى "أبو عمر الدّاني" تصنيفها والنّون المخفاة فقال: «وأما المخفى فعلى نوعين: إخفاء الحركات، وإخفاء النّون والتّنوين. فأمّا إخفاء الحركات فحقّه أن يضعّف الصّوت بهن ولا يتمّ[5]...»، جعل الواو والياء المديتين صورتين نطقيتين لقيمتين صوتيتين تصحان وتعتلان.

وفي تعريفه الإخفاء يقول "الداني":«المخفى حركته من الحروف سواء، قال سيبويه: المخفى بوزن المظهر، وقال غيره: هو بزنته إلا أنه أنقص صوتا منه. وحقيقته في اللغة السّترة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا﴾، أي أسترها، والمخفى شيئان: حرف وحركة، فإخفاء الحرف نقصا صوته، وإخفاء الحركة نقصان تمطيطها»[6].

ويرجع اللغويّون إخفاء المدود إلى «أنها تخفى في اللفظ إذا اندرجت بعد حرف قبلها... والألف أخفى هذه الحروف، لأنّها لا علاج لها على اللسان عند النّطق بها، ولا لها مخرج تنتسب إليه على الحقيقة، ولا يتحرك أبدا ولا تتغير حركة ما قبلها، ولا يعتمد اللسان عند النّطق بها على عضو من أعضاء الفم، إنّما يخرج من هواء الفم حتى ينقطع النّفس والصّوت في آخر الحلق»[7].

- **الاستطالة**: جاء وصف أصوات المد بالاستطالة في موضعين من سرّ الصّناعة الأول في قوله: «تجد فيهنّ امتدادا واستطالة ما»[8]، بينما فسر أكثر لاحقا فقال: «جميع الحروف صحيح إلا الألف والياء والواو اللواتي هنّ

---

[1]- ينظر: نهاية القول المفيد في علم تجويد القرآن المجيد: محمد مكّي نصر الجريسي، ص: 173.
[2]- ينظر: المصدر نفسه، ص: 37.
[3]- ينظر: التّمهيد: ابن جزري، ص: 103.
[4]- الكتاب: سيبويه، ج: 04، ص: 436. وينظر: شرح المفصل: ابن يعيش، ج: 10، ص: 130-131.
[5]- التّحديد: أبو عمر الداني، ص: 100.
[6]- التّحديد: أبو عمر الداني، ص: 96.
[7]- التّمهيد: ابن الجزري، ص: 103، الرّعاية: مكّي بن أبي طالب، ص: 67.
[8]- سرّ صناعة الإعراب: ابن جنّي، ج: 01، ص: 17-18.

حروف المدّ والاستطالة، وقد ذكرناهنّ قبل، إلا أنّ الألف أشدّ امتدادا وأوسع مخرجا، وهو الحرف الهاوي»[1]، وفي كلامه الأخير ربط بين صفتي الاستطالة واتساع مخارج أصوات المدّ.

والمقصود بالاستطالة اصطلاحا: «امتداد الصّوت في أول حافة اللسان إلى آخرها وإنّما وصف الضّاد بالاستطالة لأنها تستطيل حتّى تتّصل بمخرج اللام لما فيه من القوّة والجهر»[2].

وفرق "القسطلاني" بين المستطيل والممدود فذهب إلى أن المستطيل جرى في مخرجه، والممدود جرى في نفسه[3].

- **التّفشّي:** والمقصود بالتفشي: انتشار الصوت عند لفظها حتى يتصل بحروف الطبق[4]، وعرّفه "ابن الجزري" على أنّه: «بمعنى كثرة خروج بين اللسان والحنك وانبساطه في الخروج عند النطق بها حتى يتصل الحرف بمخرج غيره»[5].

وذهب "ابن يعيش" إلى أنّ الحروف اللينة وهي الألف والياء والواو «قيل لها ذلك لاتساع مخرجها والمقطع إذا اتسع انتشر الصوت ولان وإذا ضاق انضغط فيه الصوت وصلب إلا أن الألف أشد امتدادا واستطالة إذ كان أوسع مخرجا وهي الحرف الهاوي»[6]، وخالفه "ابن الجزريّ" في تفشّي الألف قاصرا هذه الصّفة على الياء والواو؛ يقول: «والى جانب الشين وصفت الياء والواو من أصوات المد بالتفشي دون الألف؛ يقول "ابن الجزري": الحرف المتفشي، وهو الشين، سميت بذلك لأنها تفشت في مخرجها عند النطق بها حتى اتصلت بمخرج الظاء، وقيل إن في الياء تفشيا. فقلت: والواو كذلك»[7].

---

[1]- المصدر نفسه، ج: 01، ص: 62.

[2]- المستطاب: شهاب الدّين القسطلاني، ص: 100. وينظر: النّشر في القراءات العشر: ابن الجزري، ج: 01، ص: 205، وينظر: التّمهيد: ابن الجزري، ص: 107.

[3]- ينظر: المستطاب: شهاب الدّين القسطلاني، ص: 100.

[4]- ينظر: المصدر نفسه: ص: 102.

[5]- التّمهيد: ابن الجزري، ص: 107.

[6]- شرح المفصل: ابن يعيش، ج: 10، ص: 130.

[7]- التّمهيد: ابن الجزري، ص: 107

- **السّكون**: وصفت الألف والواو الساكنة المضموم ما قبلها والياء الساكنة المكسور ما قبلها بالسواكن؛ ويعلل "ابن جني" ذلك بقوله: «هذه الحروف اللائي يحدثن لإشباع الحركات لا يكنّ إلا سواكن؛ لأنّهنّ مدّات، والمدّات لا يتحرّكن أبدا»[1]؛ فالألف لا تكون إلا ساكنة لأنّها ميّتة لا يدخلها جرّ ولا رفع ولا نصب[2]، و«الياء التي كالألف ياء قنديل، والواو واو زنبور، كياء يبيع وواو يقول، لأنّهما ساكنتان وحركة ما قبلهما منهما»[3]؛ أي أن الواو والياء متى سكنتا وسبقتا بحركة مجانسة لهما أشبهتا الألف في سكونها ومدها سواء أكانتا أصليتين كواو يقول وواو يبيع، أو زائدتين كواو زنبور وياء قنديل. ومرد ذلك إلى أن الواو والياء لما كانتا ميتتين ساكنتين شبهوهما بواو يقول وياء يبيع؛ لأنّهما ساكنتين مثلهما، ولأنّهما حرفا الاعتلال[4].

وفي شرح اللغويّين سكونَ حروف المدّ وصفوا هذه الأخيرة بالضّعف والموت و «لا خلاف أن الحرف إذا سكن ضعف، لأن الحرف الساكن كالميت، ولا خفاء أن الضعيف المتحرك أقوى من الميت الذي كان قبل موته قويا»[5].

ويبيّن "سيبويه" أن المدود متى تحركت قويت وصحت فيقول: «وإذا قلت: أريد أن أعطيه حقّه فنصبت الياء فليس إلا البيان والإثبات، لأنّها لمّا تحرّكت خرجت من أن تكون حرف لين، وصارت مثل غير المعتلّ نحو باء ضربه، وبعد شبهها من الألف، لأنّ الألف لا تكون أبدا إلا ساكنة»[6]، ويقول "ابن جني": «الياء والواو لمّا تحرّكتا قويتا بالحركة، فلحقتا بالحروف الصّحاح»[7]، أما الألف فيرى أنها تقلب همزة؛ يقول: «واعلم أنّ الألف متى حرّكت انقلبت همزة، وذلك لضعفها عن تحمّل الحركة»[8].

إضافة إلى صفات الجهر والرخاوة والاستفال والانفتاح والاصمات والاستقرار[9]، أما صفات العلة والابدال والزيادة فصفات صرفية. نوضحها في موضعها.

---

[1]- سرّ صناعة الإعراب: ابن جنّي، ج: 01، ص: 28.
[2]- ينظر: الكتاب: سيبويه، ج: 03، 356.
[3]- المصدر نفسه، ج: 04، ص: 290.
[4]- ينظر: المصدر نفسه: ج: 04، ص: 360.
[5]- المستطاب: شهاب الدّين القسطلاني، ص: 141
[6]- الكتاب: سيبويه، ج: 04، ص:193.
[7]- سرّ صناعة الإعراب: ابن جنّي، ج: 01، ص: 20.
[8]- المصدر نفسه، ج: 01، ص: 728.
[9]- ينظر: المستطاب: شهاب الدّين القسطلاني، ص: 104، 113، 114.

النّون:

واتّفق اللّغويّون والقرّاء على أنّ النّون صوت:

- **مجهور**: يقول "سيبويه": «معنى المجهور: أنّه حرف أُشبع الاعتماد في موضعه، ومنع النّفس أن يجري معه حتّى ينقضي الاعتماد ويجري الصّوت، غير أنّ الميم والنّون من جملة المجهورة قد يعتمد لهما في الفم والخياشيم، فتصير فيهما غنّة، فهذه صفة المجهور»[1].
- **مذلق**: والذّلق، الطّرق من كلّ شيء[2]، وسمّيت النّون مذلقة لاعتمادها على ذلق اللسان؛ أي طرفه، وخروجها منه[3].
- **متوسّط**: بيين الشّدّة والرخاوة ومعناه عدم كمال احتباس الصوت وعدم كمال جريانه[4]، لهذا توصف بأنّها حروف لا مفرطة في الصّلابة ولا ظاهرة للضّعف، بل هي في اعتدال بينهما[5]، اشتدّ لزومها لموضعها، ثمّ تجافى بها اللسان إلى موضع الغنّة فجرى فيها الصّوت لتجافيها[6]؛ يقول "سيبويه": «ومنها حرف شديد يجري معه الصّوت لأنّ ذلك الصّوت غنّة من الأنف، فإنّما تخرجه من أنفك واللسان لازم لموضع الحرف، لأنّك لو أمسكت بأنفك لم يجر معه الصّوت. وهو النّون، وكذلك الميم»[7]، وذهب "المبرّد" إلى أنّ «هذه الحروف التي تعترض بين الرّخوة، والشّديدة هي شديدة في الأصل وإنّما يجري فيها النّفس؛ لاستعانتها بصوت ما جاورها من الرّخوة»[8].
- **منفتح**: بمعنى أنّه لا ينطبق اللسان حين النّطق بها على الحنك، وينفتح عنه[9].

---

[1]- سرّ صناعة الإعراب: ابن جنّي، ص: 60.
[2]- ينظر: ارتشاف الضّرب من لسان العرب: أبو حيّان الأندلسي، ص: 20.
[3]- ينظر: أسرار العربيّة: الأنباري، ص: 423. وسرّ صناعة الإعراب: ابن جنّي، ج: 01، ص: 64. والمنح الفكريّة في شرح المقدّمة الجزريّة: ملا علي القاري، تح: أسامة عطايا، دار الغوثاني للدّراساتن القرآنيّة، سوريا، ط: 02، 1433ه/2012م، ص: 105.
[4]- ينظر: جهد المقل: محمد بن أبي بكر المرعشيّ الملقّب بساجِقلي زاده، تح: سالم قدّوري الحمد، دار عمار الأردن، ط: 02، 1426ه/2008م، ص: 144.
[5]- ينظر: أسرار العربيّة: الأنباري، ص: 424.
[6]- ينظر: التّحديد: أبو عمرو الدّاني، ص: 106. والمقتضب: المبرّد، ج: 01، ص: 232.
[7]- الكتاب: سيبويه، ج: 04، ص: 435.
[8]- المقتضب: المبرّد، ج: 01، ص: 231-232.
[9]- ينظر: الكتاب: سيبويه، ج: 04، ص: 436، و ينظر: أسرار العربيّة: الأنباري، ص: 424، والتّحديد: أبو عمرو الدّاني، ص: 106.

- **مستفل**: والاستفال أن لا يعلو اللسان عند النّطق بها إلى الحنك استعلاءه في المستعلية[1].
- **أغنّ**: قال "ابن جنّي": «النّون حرف مجهور أغنّ »[2]؛ ذلك أنّك إذا أمسكت بأنفك ثمّ نطقت بهما لم يجر فيهما صوت الغنّة[3].

ويرى أغلب المحدثين أن الصوائت لا توصف بالشّدة ، أو الرخاوة، أو الانحراف وهي من صفات الأصوات الصامتة[4]، وذلك بسبب «عدم حصول حبس أو تضييق في مجرى النفس، من النوع الذي يحدث عند نطق الأصوات الجامدة، فيمر الهواء حرًا طليقاً خلال الحلق والفم، ولكن ذلك لا يعني عدم حصول تغيير في مجرى النّفس البتة، إذ لولا وجود تضييق، وإن كان محدودا، لما اختلفت أجراس الذوائب في السمع، ولكانت صوتا واحدا ينتج عن النّغمة الحنجريّة، لكنّ التّضييق الذي تنتج عنه الذّوائب تضييق تجويفي لا موضعي»[5]، في حين قبل "محمد حسن جبل" صفة الرّخاوة[6].

ووافق المحدثون القدامى في صفات المدّ والاتّساع والهوي واللين؛ فهي صفات اشتركت الصّوائت الطّوال فيها، مع فارق القصر والطّول، إذ أنّ «هذه الحروف المدّيّة ليست في حقيقة الأمر إلا حركات طويلة، لها ما للحركات القصيرة (أي الفتحة والكسرة والضّمّة) من خواص ومميّزات، مع فارق واحد، هو فارق القصر والطّول»[7]، و«اصطلح بعضهم على الصوت المنتشر diffuse باصطلاح "المتفشي" و"المنفلش" وعرفه بأنه الصّوت الذي ينطق بإحداث تضييق في موضع خلفي من الفم، ويتميز بتركيز ضعيف نسبيا للطاقة السمعية في موضع غير وسطي على صورة طيفه. ومن الأصوات المنتشرة: الصوائت المغلقة، والصائت|t| »[8].

---

[1]- ينظر: التّحديد: أبو عمرو الدّاني، ص: 107. وجهد المقل: ساجِقلي زاده، ص: 151.
[2]- سرّ صناعة الإعراب: ابن جنّي، ج: 01، ص: 435.
[3]- ينظر: التّحديد: أبو عمرو الدّاني، ص: 109.
[4]- ينظر: الصّوائت القصيرة العربيّة (المخارج والخصائص والصّفات): عثمان رحمن حميد وعمّار عبد السّتّار محمّد، ص: 378.
[5]- المدخل إلى علم أصوات العربيّة: غانم قدّوري الحمد، ص: 138.
[6]- ينظر: المختصر في أصوات اللغة العربيّة دراسة نظريّة وتطبيقيّة: محمد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب، القاهرة، ط: 04، 1427ه/2006م، ص: 69، 142.
[7]- علم الأصوات: كمال بشر، ص: 156.
[8]- معجم المصطلح الصّوتي: بلقاسم مـگـريني، ص: 366.

بينما رفضوا وصفها بالخفاء؛ والسكون؛ حيث رأى المحدثون أنّ التّعبير عن اتّساع مدارج أصوات المدّ وعدم حصر الصّوت أو تضييقه بالخفاء تعبير غير موفّق بالمرّة، لأنّ حروف المدّ مجهورة ورخوة، وهي حروف التّصويت أي رفع الصّوت، والقدماء يعرفون ذلك، فكان عليهم أن يعبّروا عمّا قصدوا بوصفها بالملاسة أو الطّلاقة أو غيرها؛ لا بالخفاء الذي يوهم مضادّة خصيصتها الأساسيّة وهي التّصويت؛ أي ارتفاع الصّوت[1].

أمّا وصف المدود بالسّكون فردّه "كمال بشر" بقوله: «درج الجميع تقريبا عند الكلام على الألف والياء والواو بوصفهما حروف مدّ (ولين) على وصفهما بالألف المسبوقة بفتحة والياء المسبوقة بكسرة والواو المسبوقة بضمّة. وهذا قول غير دقيق، بل غير صحيح، إنّ الألف في قال والياء في أبيع والواو في أقول ليست مسبوقة بحركات إطلاقا. إنّها ذاتها هي الحركات، وهي حركات طويلة. لقد وهموها في هذه الأمثلة ونحوها امتدادا ومطلا لحركات سابقة عليها من جنسها»[2].

سمّى المحدثون أصوات المدّ حركات طويلة، وأرجعوا هذه التّسمية إلى أسباب صوتيّة؛ يقول "الأنطاكي": «لأسباب صوتيّة بحتة سمّينا الألف فتحة طويلة، والياء كسرة طويلة، والواو ضمّة طويلة، فوافقنا بذلك متقدّمي النّحاة، وخالفناهم من جهة أخرى. فأمّا جهة الموافقة فهي اعتبار الحركات وحروف المدّ من طبيعة واحدة، وأن لا خلاف بينهما إلا في مقدار الطّول فقط؛ وأمّا جهة الخلاف فهي في التّسمية فقط...»[3]، بينما وضّح "كمال بشر" الأسباب في قوله: «أمّا الحركات الطّوال وهي الألف في قال والياء في قيل والواو في يقول فهي موسومة عندهم بحروف المدّ (واللين). وقد درجنا في هذا العصر الحديث على إطلاق "الحركات" على الطّائفتين معا لاشتراكهما في أهمّ الخواص التي تميّزهما من الأصوات الصّامتة، ولكنّا مع ذلك لم نغفل السّمة الفارقة بينهما المتمثّلة في الكمّ فقط، وهي سمة القصر والطّول في النّطق، فكانت التّسمية الجديدة: الحركات القصار والحركات الطّوال»[4]، وقد سبقت الإشارة إلى الخواصّ المميّزة للصّوائت.

---

[1]- ينظر: المختصر في أصوات اللغة العربيّة: محمد حسن جبل، ص: 69.
[2]- علم الأصوات: كمال بشر، ص: 349.
[3]- المحيط: الأنطاكي، ج: 01، ص: 38-39 (الهامش).
[4]- علم الأصوات: كمال بشر، ص: 445.

أمّا وسم الحركات بالطّول*، فلأنّ «الطّويل: طليق يستغرق حين النّطق به زمنا يبلغ ضعفي زمن القصير في العادة. فمن الطّويلات في العربيّة الألف والواو والياء، وقصيراتها هي الفتحة والضّمّة والكسرة»[1]، وهو ما يقابل مصطلح المدّ عند القدامى؛ حيث أنّ «المقصود بالمدّ هنا هو الطّول، وإذا ما علمنا أنّ الحركات القصيرة: الفتحة، والكسرة والضّمّة هي أبعاض لحروف المدّ واللين، اتّضح لنا أنّ المقصود بالمدّ هو أن تصبح هذه الحروف حركات طويلة، Long vowels»[2]؛ بحيث تساوي حركتين[3]، أو أكثر إذا تأثّرت بهمز أو سكون.

وربط "استيتيه" بين طول الحركات وآلية إنتاجها في قوله: «وما دام طول الحركة مرتبطا بالزّمن، فإنّه يمكن تعريف طول الحركة بأنّه المدّة الزّمنية التي تستمرّ فيها شكل الفراغات العليا (فراغات فوق الحنجرة) ثابتا على حاله عند النّطق بالحركة. ذلك أنّ أعضاء النّطق، عند النّطق بالحركة، تبقى ثابتة على وضع معيّن، مدّة من الزّمن. وبالقدر الذي يستمرّ فيه هذا الوضع، مع استمرار تدفّق الهواء المنتج للحركة يكون طول الحركة»[4]، ولكنّ الدّراسة التي قام بها "العاني" والمشار إليها سابقا، أثبتت أنّ الصّوائت الطّويلة مختلف كيفا عن الصّوائت القصيرة إضافة إلى الاختلاف الكمّي، ولكنّ ذلك الفرق ليس كبيرا ويمكن التّغاضي عنه عند تحديد العلاقة بين الصّوتين[5]، ولا يؤثّر كثيرا على وضع أعضاء النّطق عند إنتاجها وبالتّالي تحافظ الصّوائت الطّوال على صفات الصّوائت القصار ذاتها مع فارق الطّول.

وهكذا نستنتج أنّ صفات الصّوائت الطّوال وفق معايير المحدثين كما يلي:

- الكسرة الطّويلة: صائت طويل، أماميّ، ضيّق، منفرج، حاد، متضامّ.
- الفتحة الطّويلة: صائت قصير، متوسط، متسع، محايد، منتشر، محايد.
- الضّمّة الطّويلة: صائت طويل، خلفي، ضيّق، مستدير، غليظ، متضامّ.

---

*- أطلق المحدثون اسم "الحركات الطّويلة" على المدود سواء كانت أصلية أو منقلبة لضرب من التّخفيف، واعتبروا أنّ معيار المدّ هنا هو معيار المدّ في حالة الألف، أي سبق الحروف الثّلاثة بحركة مجانسة: الفتحة (في الألف) والكسرة والضّمّة في الياء والواو. ينظر: علم الأصوات: كمال بشر، ص: 435-436.

[1]- المحيط: الأنطاكي، ج: 01، ص: 20.

[2]- حروف العلّة دراسة لغوية: عبد الحميد عليوة مسعد، ص: 132.

[3]- ينظر: التّشكيل الصّوتي في اللغة العربيّة فونولوجيا العربيّة: سلمان حسن العاني، ص: 115. ودراسة الصّوت اللغوي: أحمد مختار عمر، ص: 234. والمحيط: الأنطاكي، ج:01، ص: 36.

[4]- الأصوات اللغويّة رؤية عضويّة ونطقيّة وفيزيائيّة: سمير شريف إستيتيه، ص: 241.

[5]- ينظر: المدخل إلى علم الأصوات: غانم قدّوري الحمد، ص: 148.

ووافق المحدثون القدامى في وصف النّون فهو صوت مجهور رخو (وعدّه سيبويه متوسّطا بين الشّدّة والرّخاوة) مستفل منفتح ذلقيّ أغنّ[1] ، وذهب "كمال بشر" إلى أنّ النّون صوت متوسّط، ولكنّ هذا التّوسّط ليس بين الأصوات الشّديدة والأصوات الرّخوة، إنّما بين الأصوات الصّامتة (شديدة ورخوة) والحركات[2]؛ وعلّل ذلك فقال: «هذه الأصوات الأربعة مازالت من الصّوامت Consonants بحكم المعايير الأساسية للتّصنيف، ولكنّها في الوقت نفسه ذات شبه كبير ونسب كبير بالحركات من النّاحيتين النّطقيّة والسّمعيّة. يتبيّن لنا ذلك من جملة الخواص الآتية:

1-اللام والميم والنون تشترك مع الحركات في أهمّ خاصّة من خواصّها النّطقيّة، وهي حرّية مرور الهواء، دون أيّ عائق أو مانع. والفرق هو أنّ هواء الحركات يخرج من الفم، في حين يخرج هواء اللام مع جانبي الفم وهواء الميم والنّون من الأنف. أمّا هواء الرّاء -وإن كان يخرج من الفم متقطّعا- فمازال يشبه هواء الحركات في حرّية الخروج، كلّما انفصل اللسان عن نقطة النّطق.

2- اللام والميم والنّون والرّاء كلّها مجهورة، شأنها في ذلك شأن الحركات.

هذه الأصوات الأربعة تشبه الحركات في خاصّة سمعيّة مهمّة تتمثّل فيما يعرف بالوضوح السّمعي sonority، وذلك نتيجة طبيعية لحرّية مرور العواء عند نطق هذه الأصوات جميعا. لهذا نرى نعت هذه الأصوات الأربعة بنعت ينبئ عن هذه الأصوات الصّامتة. هذا النّعت هو "أشباه الحركات"»[3]، وأضاف صفة الرّنين إلى صفات النّون أعلاه، يقول: «الأصوات الرّنّانة ذات الوضوح السّمعي هي اللام والنّون والميم الرّاء والواو والياء»[4].

أمّا السّكون فنطقا لا شيء phonaticlly nothing؛ فهو بالتّالي «ليس صوتا لغويا alinguistic sound أي: أنّه شيء لا ينطق ولا يسمع، أو هو شيء ليس له تحقيق صوتيّ عاديّ phonetic realization أو أي تأثير سمعي audible effect»[5]، فالسّكون انعدام الصّوت ولا يمكن وصف العدم.

---

[1]- ينظر : علم الأصوات: كمال بشر، ص: 357.
[2]- ينظر: المصدر السّابق، ص: 358.
[3]- علم الأصوات: كمال بشر، ص: 358-359.
[4]- المصدر نفسه، ص: 357.
[5]- دراسات في علم اللغة: كمال بشر، ص: 145.

المبحث الثّالث: تشكيلها ورسمها:

وضعت الحروف العربيّة شأنها شأن أخواتها السّاميات للدّلالة على الصّوامت من الألفاظ فلم يكن في رسمها ما يدلّ على الصّوائت حتّى مراحل متأخّرة من عمرها؛ وهذا ما يؤكّده "كمال بشر" في قوله: «من الثّابت أنّ اللغة العربيّة لم تعن في مراحلها الأولى برموز الحركات عنايتها برموز الأصوات الصّامتة. وممّا يتمشّى مع هذا الوضع نظرة علماء العربيّة إلى أصول الكلمات التي تتألّف -في رأيهم- من أصوات صامتة فقط، تتشكّل إلى كلمات مختلفة الصّيغ والأوزان بإضافة الحركات إلى هذه الأصول.

فالحركات إذن في نظرهم شيء فرعيّ أو ثانويّ. ولعلّ من أسباب هذه النّظرة عدم وجود رموز مستقلّة للحركات، إذ كان الكلام خلوّا ممّا يدلّ على حركات الأصوات الصّامتة. وكان النّاس يفهمون ما يقرءون بالاعتماد على سياق الكلام وما يقتضيه المقام»[1]، وتسليم العلماء بأصول الكلمات المكوّنة من الصّوامت واضح في وصف "الخليل بن أحمد" الصّوامت بالعرض يحلّ بالحرف ليتوصّل إلى التّكلّم به.

افتقرت اللغة العربيّة كلّ رمز دال على حركة أيّا كان نوعها حيث «كان هذا الإهمال مطبقا على الحركات كلّها قصيرها وطويلها. ومن ضمنها الفتحة الطّويلة التي لم يكن لها علامة مستقلّة تدلّ عليها وظلّت الحال كذلك إلى أن أحسّ النّاس ضرورة وضع علامات مستقلّة لهذه الحركات»[2].

أوّلا: علامات الإعراب الأصليّة:

لم يكن للفتحة -كغيرها من الحركات- رمز يدلّ عليها حتّى العصر الأموي حيث وضع "أبو الأسود الدّؤليّ" نقاطا بحبر أحمر تدلّ على الحركات وجعل للفتحة نقطة فوق الحرف تدلّ عليه قائلا لكاتبه: «إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه على أعلاه»[3]، وانتشر استعمال هذه النّقاط للدّلالة على الحركات حتّى وضع "الخليل بن أحمد الفراهيدي" العلامات المستعملة حاليا والفتحة على مذهبه شرطة توضع فوق

[1]- دراسات في علم اللغة: كمال بشر، ص: 28.
[2]- المصدر نفسه، ص: 29.
[3]- الفهرست: ابن النّديم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، دط، دت، ص: 60. وينظر: صبح الأعشى: القلقشندي، ج:03، ص: 165.

الحرف مبطوحة صغرى ممدودة من اليمين لليسار لئلا تلتبس بأصلها الذي هو الألف وجعلت صغيرة لتظهر مزيّة الأصل على الفرع[1].

أمّا الكسرة فجعل "أبو الأسود الدّؤليّ" نقطة بالأحمر تحت الحرف للدّلالة عليها؛ فقال لكاتبه: «وإن كسرت فاجعل النّقطة من تحت الحرف»[2]، ثمّ أصبحت عند "الخليل بن أحمد الفراهيدي" ياء تحت الحرف كما وصفها صاحب "دليل الحيران على مورد الضّمئان" في قوله: «وتحت الحرف توضع الكسرة سواء كان معرّقا أم غير معرّق إلا أنّه إذا كان معرّقا كالنون فإنّ الكسرة توضع في أوّل تعريقه، وصفتها ياء صغيرة»[3].

وذكر بعض المتأخّرين -حسب المصدر نفسه- إسقاط رأس الياء كما أسقط بعض الألف الدّالّة على الفتحة فأمّا الياء فيسقط رأسها بالكلّية وتسقط نقطتاها وتبقى جرّتها فقط[4]، وعليها استقرّ رسم الكسرة وهو ما جعل "القلقشندي" يصفها بـ "الشّظية" في قوله: «جعلوا علامة الكسر شظيّة من أسفل الحرف إشارة إلى الياء التي هي علامة الجرّ في الأسماء المعتلّة على ما مرّ، وسمّوا تلك الشّظيّة خفضة، أخذا من الخفض الذي هو لقب الكسر، ولم يخالفوا بينها وبين علامة النّصب لاختلاف محلّهما. فإن لحق حركة الكسر تنوين رسموا له خطّتين من أسفله: إحداهما للحركة، والأخرى للتّنوين».[5]

بينما وضع المتقدّمون من اللغويين والنّحاة نقطة حمراء فوق الحرف أو أمامه للدّلالة على الضّمّة[6]، اقتداء بـ"أبي الأسود الدّؤليّ" ، إذ قال لكاتبه: «وإن ضممت فمي فانقط نقطة بين يديّ الحرف»[7]، ولاحقا في محاولة "الخليل بن أحمد الفراهيديّ" جعلت الضّمّة واوا صغيرة فوق الحرف[8]، «ورسموها بأعلى الحرف ولم يجعلوا في وسطه كيلا تشين الحرف، بخلاف المتقدّمين لمخالفة اللون ولطافة النّقطة. فإن لحق حركة الضّمّ تنوين رسموا لذلك واوا صغيرة بخطّة بعدها؛ الواو إشارة للضّمّ، والخطّة إشارة

---

[1]- ينظر: دليل الحيران على مورد الضّمئان: إبراهيم بن أحمد المارغنّي، مكتبة النجاح، طرابلس، ليبيا، دط، 1980م، ص:244.

[2]- الفهرست: ابن النّديم، ص: 60.

[3]- دليل الحيران على مورد الضّمئان: إبراهيم بن أحمد المارغنّي، ص: 245.

[4]- ينظر: المرجع نفسه، ص: 245.

[5]- صبح الأعشى: القلقشندي، ج: 03، ص: 166.

[6]- ينظر: صبح الأعشى: القلقشندي، ج: 03، ص: 165.

[7]- الفهرست: ابن النّديم، ص: 60.

[8]- ينظر: دليل الحيران على مورد الضّمئان: إبراهيم بن أحمد المارغنّي، ص: 244-245.

للتّنوين، وعبّروا عنهما برفعتين. وبعضهم يجعل عوض الخطّة واوا أخرى مردودة الآخر على رأس الأولى»[1].

وذكر بعض المتأخّرين إسقاط رأس الواو كما أسقط بعض الألف الدّالّة على الفتحة فيسقط من رأسها الدّارة ويكون شكلها معوجا.[2]

ويبدو أنّ "الخليل بن أحمد" لم يضع علامة للسّكون وهو ينقط المصحف؛ إذ نسب ذلك لغيره، فهذا "محمد عبد المنعم الخفاجي" ينسبه لأهل البصرة فيقول: «زاد أهل البصرة السّكون فجعلوا السّكون جرّة أفقيّة فوق الحرف منفصلة عنه هكذا (-)»[3]، فيما نسبه "القلقشندي" لنقّاط الأندلس فقال: « مذهب نقّاط الأندلس أنّ علامة السّكون جرّة وأرادوا بذلك مذهب الخليل لكنّهم أسقطوا رأس الخاء وأبقوا مطّتها إلّا أنّ مذهبهم إنّما يحسن مع نقط الدّؤليّ»[4]، وسواء كان أهل البصرة واضعي الرّمز أم نقّاط الأندلس فرمز السّكون كان عبارة عن خطّ فوق الحرف (-).

وجعلت الجيم أصلا للجرّة لكنّه أمر فيه نظر من جوانب: الأوّل: أنّ الجيم كانت من وضع "الخليل بن أحمد" وجعل الجرّة من الجيم لكثرة استعمالها وتكررها[5]، سيجعلها تلتبس بالفتحة.

والجانب الثّاني شهادة "القلقشندي" الذي ذهب إلى القول: «والمتقدّمون يجعلون علامة ذلك جرّة بالحمرة فوق الحرف، سواء كان الحرف المسكّن همزة كما في قولك: لم يشأْ، أو غيرها من الحروف كالذّال من قولك: ٱذهب»[6]؛ وفي هذا الكلام نقطتين مهمّتين: الأولى نعته مستعملي الجرّة للدّلالة على السّكون بالمتقدّمين وهي صفة استعملها للدّلالة على "أبي الأسود الدّؤلي" وأصحابه ممّن تقدّموا "الخليل"، والثّانية: استعمال اللون الأحمر في النّقط، وهو ما كان مستعملا للنّقط الذي جاء به "أبو الأسود الدّؤلي"، بوضع الخليل نظام الحركات الجديد اختُلِف في رسم السّكون فترى اللغويين يستعملون رموزا عديدة للدّلالة عليه جمع "أبو حيان" أهمّها في قوله: «سلب الحركة أبلغ في تحصيل غرض الاستراحة. قال أبو حيّان: وعلامته خاء فوق الحرف، هكذا

---

[1]- صبح الأعشى: القلقشندي، ج: 03، ص: 165-166.
[2]- ينظر: المصدر نفسه: ص: 245.
[3]- الأدب العربيّ وتاريخه في العصرين الأمويّ والعبّاسي: محمد عبد المنعم الخفاجي، دار الجيل، بيروت، 1410ه/1990م، ج: 01، ص: 27.
[4]- دليل الحيران على مورد الضّمئان: إبراهيم بن أحمد المارغنّي، ص: 260-261.
[5]- ينظر: المحكم في نقط المصاحف: أبو عمرو الدّاني، ص: 52.
[6]- صبح الأعشى في كتابة الإنشا: القلقشندي، ج: 03، ص: 164.

جعلها سيبويه خ، والمراد خف أو خفيف، وناقشه الموضح فقال: إنّما هي رأس جيم أو رأس ميم، وكلاهما مختصر من اجزم. والظّاهر أنّها رأس حاء مهملة مختصرة من استرح لما مرّ أنّ الوقف استراحة.

وجعلها بعض الكتّاب دائرة لأنّ الدّائرة صفر، وهو الذي لا شيء فيه من العدد، وجعلها بعضهم دالا، وكأنّهم لمّا رأوها بغير تعريف ظنّوها دالا».[1]

فأمّا رأس الخاء (خ) فمنسوب لـ"الخليل" و"سيبويه" وأصحابهما. يقول " إبراهيم بن أحمد المارغني" «مذهب الخليل وأصحابه أنّ علامة السّكون خاء وأرادوا بذلك الحرف الأوّل من خفيف»[2]، ويؤكّد "أبو عمرو الدّاني" هذا المذهب بقوله: «وأخذ عن أبي الأسود ميمون الأقرن، وأخذ عن ميمون الأقرن الخليل بن أحمد. وزاد الخليل في ذلك. فجعل الحرف المشدّد ثلاث شبهات (ـّ)، وأخذه من أوّل شديد. فإذا كان خفيفا جعل عليه خاء (خ)، وأخذه من أوّل خفيف»[3].

وأمّا الجيم فنسبها "القلقشندي" إلى حذّاق الكتّاب فقال: «وحذّاق الكتّاب يجعلونها جيما لطيفة بغير عراقة إشارة إلى الجزم»[4]، ويبدو أنّ الخاء والجيم والحاء ذوات أصل واحد وإنّما اختلفت التّعليلات نظرا لطريقة كتابتها حاء دون عراقة ولا نقط.

إضافة إلى الخطّ والخاء، رمز للسّكون بدائرة صغيرة فوق الحرف؛ ذهب "القلقشندي" إلى أنّها رأس ميم وعلّل هذا الاستعمال بقوله: « أمّا المتأخّرون: فإنّهم رسموا لها دائرة تشبه الميم إشارة إلى الجزم إذ الميم آخر حرف من الجزم، وحذفوا عراقة الميم استخفافا، وسمّوا تلك الدّائرة جزمة، أخذا من الجزم الذي هو لقب السّكون»[5]؛ وهو مذهب ردّه "كمال بشر" معتبرا إياه خلطا بين رأس الميم ودائرة الصفر فقال: «القول بأنّ علامة السّكون هي رأس الميم ففيه خلط واضح بين رأس الميم (مـ) وبين علامة الصّفر(0) (وهو أحد الاحتمالات التي نصّوا عليها)»[6].

---

[1]- شرح التّصريح على التّوضيح أو التّصريح بمضمون التّوضيح في النّحو: الشّيخ خالد بن عبد الله الأزهري، تح: محمد باسل عيون السّود، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط: 02، 2006م، ج: 02، ص: 623. وينظر: دراسات في علم اللغة: كمال بشر، ص: 141-142.

[2]- دليل الحيران على مورد الضّمئان: إبراهيم بن أحمد المارغنّي، ص: 261. شرح المفصّل، ابن يعيش، ج: 09، ص: 27.

[3]- المحكم في نقط المصاحف: أو عمرو الدّاني، ص: 07.

[4]- صبح الأعشى في كتابة الإنشا: القلقشندي، ج: 03، ص: 164-165.

[5]- المصدر السّابق، ج: 03، ص: 164-165.

[6]- دراسات في علم اللغة: كمال بشر، ص: 144.

الدّائرة أو الصّفر هو العلامة المستعملة حتّى الآن وهو مذهب منسوب لـ"أبي داود" والأكثرين من أهل مدينة النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- وهذا واضح في كلام " إبراهيم بن أحمد المارغني": «علامة السّكون دارة توضع فوق الحرف السّاكن أي منفصلة عنه لأنّ السّكون صفة والصّفة لابدّ لها من موصوف تقوم به واقتصر في علامة السّكون على الدارة اعتمادا على اختيار "أبي داوود" واقتداء بالأكثرين من نُقّاط مدينة النّبيّ صلى الله عليه وسلّم فإنّهم يجعلون علامة السّكون دارة وأخذوها ممّا تقرّر عند أهل الحساب»[1]؛ واختيار الدّائرة رمزا للسّكون إمّا أن يكون من الميم مع حذف عراقتها -كما تقدّم- أو أنّ «مَن جعل دارة صغيرة في المنزلة الخالية من العدد دلالة على الخلوّ فلمّا كان الحرف السّاكن خاليا من الحركة جعلوا عليه تلك الدّارة دليلا على خلوّه من الحركة وجرى بذلك عمل المتأخّرين وعليه عملنا الآن»[2]، وهو ما أكّده "القلقشندي" بقوله: «ويحتمل أن يكونوا أتوا بتلك الدّائرة على صورة الصّفر في حساب الهنود ونحوهم إشارة إلى خلوّ تلك المرتبة من الأعداد لأنّ الصّفر هو الخالي، ومنه قولهم "صفر اليدين" بمعنى أنّه فقير ليس في يديه شيء من المال»[3].

ومن الآراء جعل علامة السّكون دالا وهو أمر رفضه "كمال بشر" فقال: «والرّأي الذي يرى أنّ الدّال هي الأصل في علامة السّكون رأي يبدو بعيدا من الصّواب. والظّاهر أنّ الأمر التبس عليهم للتّشابه الكبير بين رأس الخاء (غير المنقوطة) وبين الدّال المفردة (د)، وهو أمر نلحظه كثيرا في بعض أنواع الخطوط»[4].

كما أنّ من النّحاة من جعل علامة السّكون هاء واقفة [5]، وهذا يجعلها دائرة، وقد يكون شكل الدائرة اختلط عليهم، فقرؤوه هاء وقفيّة.

ويبدو أنّ بعضا من نقّاط العراق خلافا للآخرين، لم يجعلوا للسّكون علامة أصلا[6]، كأنّهم لمّا لم يكن للصّوت أثر سمعي، لم يجدوا بدّا من وضع رمز للعدم.

ثانيا: علامات الإعراب الفرعيّة:

ينبغي الإشارة بداية إلى أنّ رموز الصّوائت الطّوال دخلت الخطّ العربي قبل رموز الحركات القصار بفترة، ولكن هذا لا يعني وجودها منذ المرحلة الأولى لظهور

[1]- دليل الحيران على مورد الضّمئان: إبراهيم بن أحمد المارغنّي، ص: 260.
[2]- المصدر نفسه، ص: 260-261.
[3]- صبح الأعشى في كتابة الإنشا، القلقشندي، ج: 03، ص: 164-165.
[4]- دراسات في علم اللغة: كمال بشر، ص: 144.
[5]- ينظر: صبح الأعشى في كتابة الإنشا، القلقشندي، ج: 03، ص: 165.
[6]- ينظر: المصدر نفسه، ج: 03، ص: 165.

الخط العربي؛ إذلم يكن للصّوائت رموز تدلّ عليها، ولكن أمام الحاجة إلى رموز للحركات، جعلوا الألف والياء والواو من باب المشترك اللفظي تدلّ على الأصوات الصّائتة إضافة إلى الصّامتة، نظرا لاشتراكهما في الخواص النّطقيّة.

أمّا الألف التي تبدأ بها الأبجديّة الألف بائية العربيّة فهي صورة الألف اليابسة أو ما عرفت لاحقا بالهمزة وكانت تكتب ألفا طويلة عريّة عن رأس العين الذي جاء به "الخليل بن أحمد الفراهيدي" لاحقا تمييزا بين الحرفين، وممّا يدلّ على ذلك:

- **أصل الحرف:** فالأبجديّة العربيّة مأخوذة من الأبجديّة السّامية، التي بنيت على أساس من الأصوات الصّامتة وهذا يفهم من قول "كمال بشر" «تاريخ الألفباء العربيّة يدلّ على أنّ الألف هو في الأصل اسم الهمزة (الوقفيّة الحنجريّة لا ألف المدّ) وهو رمزها كذلك. يظهر ذلك في التّرتيب القديم للأبجديّة، ذلك التّرتيب الذي يظهر في: أبجد، هوز، حطي، كلمن ... إلخ. فالرّمز الأوّل في أبجد هو الألف رسما ولكنّه الهمزة نطقا»[1]؛ إذ الألف بائية العربيّة مشتقّة من الألف بائيّة السّامية.
- **تاريخه:** لم يكن مصطلح "الهمزة" معروفا إنّما كان يطلق اسم الألف ويراد به الهمزة، وأمّا الألف المدّية فلم يكن لها صورة في الكتابة كما هو موضّح على لسان "كمال بشر" القائل: «كانت الألف تطلق في الأصل -بحسب التّاريخ المعروف لنا- على الألف، أو على ما عرف في مرحلة تاريخيّة متأخّرة نسبيا باسم "الهمزة"، أي ذلك الصّوت الذي ندعوه حديثا الوقفة الحنجريّة glottal stop، والرّمز الأصلي لهذا الصّوت هو (ا) بدون رأس العين الصّغيرة (ء) فوقه أو تحته. ومعنى هذا أنّ الألف -اسما ورمزا- لم تكن في المراحل الأولى ما يسمّى أخيرا بألف المدّ أو ما ندعوه في اصطلاحنا الفتحة الطّويلة (aa)، كما في نحو قال. ويكاد يكون من المؤكّد أنّ الفتحة الطّويلة (ألف المدّ) لم يكن لها علامة كتابية في هذه المرحلة، شأنها في ذلك شأن الحركات القصيرة كلّها (الفتحة والكسرة والضّمّة)، والحركتين الطّويلتين الأخريين، الضّمّة والكسرة (=واو المدّ ويائه: uu وii) كما تظهران في نحو: تقول وأبيع».[2]

[1]- دراسات في علم اللغة: كمال بشر، ص: 19-20.
[2]- المصدر نفسه.

- **اسمه:** لاحظ "ابن جنّي" أنّ «كلّ حرف سمّيته ففي أوّل حروف تسميته لفظه بعينه؛ ألا ترى أنّك إذا قلت "جيم" فأوّل حروف الحرف "جيم"، وإذا قلت "دال" فأوّل حروف الحرف "دال"، وإذا قلت "حاء" فأوّل ما لفظت به حاء. وكذلك إذا قلت "ألف" فأوّل الحروف التي نطقت بها همزة. فهذه دلالة أخرى غريبة على كون صورة الهمزة مع التّحقيق ألفا»[1]؛ وهو في حقيقة الأمر يعيدنا إلى المبدأ الأكروفوني الذي أعتمد أساسا للكتابة الأبجدية.

وأمام الحاجّة إلى رموز كتابيّة للصّوائت «استغلّوا الألف (الدّالّة على الهمزة في الأصل) للدّلالة على الفتحة الطّويلة كذلك. وأغلب الظّنّ أنّهم فعلوا ذلك لما رأوا من أنّ الهمزة "تقلب" فتحة طويلة في بعض مواضع التّخفيف، فاستعملوها في هذه المواضع وفي غيرها كذلك طردا للباب. وربّما فعلوا ذلك أيضا تقليدا لما حدث في حالتي الواو والياء، فهما في الأصل كانتا رمزين للواو والياء بصفتهما صوتين صامتين فقط، أو ما يسمّى أنصاف حركات (Semi-vowels) كما في نحو: (ولد، يضرب)، ثمّ استخدمتا فيما بعد (ولكن في مرحلة تسبق استعمال الألف في الدّلالة على الفتحة الطّويلة) للدّلالة على الواو والياء بصفتهما حركات vowels أي: ضمّة طويلة (uu) وكسرة طويلة (ii) في نحو: نقول، ونبيع، وجاء في كلام بعضهم ما يشعر بأنّ استعمال الألف في الدّلالة على الفتحة الطّويلة؛ سببه اتّحاد الهمزة والفتحة الطّويلة (أو ألف المدّ في عرفهم) من حيث الذّات أو المخرج أو كليهما»[2]؛ ويستفاد من هذا الكلام أنّ:

سبب جعل رمز الألف اليابسة دالا على الألف المدية قد يكون راجعا إلى:

- قلب الهمزة ألفا تسهيلا لها.
- تقليد ما حدث مع الواو والياء اللتان جعلتا مشتركين لفظيين تدلّان على الياء والواو الصّامتتين، والمدّتين.
- اشتراك الهمزة والألف في المخرج.

كما يستفاد أنّ الحركتين المدّيتين الياء والواو وضعتا قبل الألف.

وهكذا أصبحت الهمزة والألف المدّية في مختلف الحالات المورفونولوجيّة ذواتي صورة واحدة (ا) وإن اختلفتا صوتيّا، يقول "ابن جنّي": «فأمّا الألف المدّة التي في نحو

[1]- سرّ صناعة الإعراب: ابن جنّي، ج: 01، ص: 42.
[2]- دراسات في علم اللغة: كمال بشر، ص: 28-29.

سار وقام وكتاب وحمار، فصورتها أيضا صورة الهمزة المحقّقة التي في أحمد وإبراهيم وأترجّة، إلا أنّ هذه الألف لا تكون إلا ساكنة، فصورتها وصورة الهمزة المتحرّكة واحدة وإن اختلف مخرجاهما، كما أنّ النّون السّاكنة في نحو "من" و"عن"، والنّون المتحرّكة في نحو "نغم" ونفر" تسمّى كلّ واحدة منهما نونا، وتكتبان شكلا واحدا، ومخرج السّاكنة من الخياشيم، ومخرج المتحرّكة من الفم، كما أنّ مخرج الألف المتحرّكة التي هي همزة من الصّدر، ومخرج الألف فوقها من أوّل الحلق، فهاتان ههنا كتينك هناك»[1]، فالألف سواء كانت منقلبة عن ياء كـ: سار، أو منقلبة عن واو كـ: قام، أو زائدة كـ: كتاب، أو أصليّة كـ: حمار تكتب كما الهمزة سواء كانت مفتوحة كـ: أحمد، أو مكسورة كـ: إبراهيم، أو مضمومة كـ: أترجّة.

لاحقا وجدت محاولة لإدخال الألف المدّية إلى نظام الحركات، ويبدو أنّ هذه المحاولة جاءت متأخّرة عن نقط الإعجام الذي وضعه "نصر بن عاصم" و"يحيى بن يعمر"، وترتيبه الحروف ترتيبا ألف بائيا يعتمد على أساس التّشابه في الرّسم؛ لأنّه التّرتيب الذي أدرج فيه رمز الألف المدّيّة، ولكنّ أصحاب هذه المحاولة واجهوا عقبة صوتيّة تمثّلت في عدم القدرة على نطق الألف المدّية وحدها إذ أنّ «الحركات الطّويلة (long vowels) (واوا كانت هذه الحركات أو ياء أو ألفا) تعدّ في نظر العرب أصواتا ساكنة، ومن ثمّ -في نظرهم أيضا- لا يمكن النّطق بها وحدها، أو البدء بها في النّطق. ولهذا كان من الضّروريّ دعمها بصوت متحرّك، كاللام مثلا، كما حدث للألف المدّية، حيث وردت في الألف باء الإملائية بالصّورة (لا)، عند أولئك الذين يرون ضرورة تخصيص رمز لها»[2]، فأصبحت تكتب لاما متبوعة بألف هكذا (لا).

وعلل "ابن جنّى" اختيار اللام دعما للألف بقوله: «اعلم أنّ واضع حروف الهجاء لمّا لم يمكنه أن ينطق بالألف التي هي مدّة ساكنة، لأنّ السّاكن لا يمكن الابتداء به، دعمها باللام قبلها متحرّكة ليمكن الابتداء بها، فقال: ه، و، لا، ي. فقوله "لا" بزنة ما، ويا، ولا تقل كما يقول المعلّمون: "لام ألف"؛ وذلك أنّ واضع الخطّ لم يرد أن يرينا كيف أحوال هذه الحروف إذا تركّب بعضها مع بعض، ولو أراد ذلك لعرّفنا أيضا كيف تتركّب الطّاء مع الجيم، والسّين مع الدال، والقاف مع الطّاء، وغير ذلك ممّا يطول

[1]- سرّ صناعة الإعراب: ابن جنّي، ج: 01، ص: 43.
[2]- دراسات في علم اللغة: كمال بشر، ص: 34.

تعداده، وإنّما مراده ما ذكرت لك من أنّه لمّا لم يمكنه الابتداء بالمدّة السّاكنة ابتدأ باللام، ثمّ جاء بالألف بعدها ساكنة ليصحّ النّطق بها كما صحّ النّطق بسائر الحروف غيرها»[1].

وأمّا الياء والواو المدّيتين؛ فنقل " كمال بشر" كلاما "لرايت" (w. wright) يقول فيه: «إنّ العرب لم يكن لديهم في الأصل علامات للحركات القصيرة. وللدّلالة على الحركات الطّويلة والحركات المركّبة استخدموا (رموز) تلك الأصوات الصّامتة الثّلاثة التي تعدّ أقرب الأصوات إليها في النّطق، أي (ا) (بدون علامة الهمزة) للدّلالة على (ä) و (ي) الدّلالة على (ï) و(ai) و (و) للدّلالة على **ü** وau»[2]؛ ثمّ برهن على أنّ الياء والواو الأصليتين صامتتين، والمدّتين فرع عنهما معتمدا على المبدأ الأكروفوني فقال: «يبدأ كلّ من الاسمين "واو" و"ياء" بالصّوتين (و) و(ي) بوصفهما صامتين لا بوصفهما حركتين، تمشّيا مع القاعدة المشهورة الخاصّة بالأصوات العربيّة، وهي أنّ قيم هذه الأصوات يعبّر عنها دائما بصدر أسماءها»[3].

ويعود السّبب في عدم منح الياء والواو المدّيتين رمزين خاصّين في الكتابة لاعتبار العرب الحركات الطّويلة (long vowels) (واوا كانت هذه الحركات أو ياء أو ألفا) أصواتا ساكنة، ومن ثمّ لا يمكن النّطق بها وحدها، أو البدء بها في النّطق، ولهذا كان من الضّروريّ دعمها بصوت متحرّك [4]، فاكتفوا للصّوتين المتشابهين برمز واحد ووصفوه بأشباه الصّوائت.

وأخيرا حرف النّون؛ وهو الآخر مشترك لفظيّ يدلّ على النّون الفمويّة والغنّة الخيشوميّة، ولكنّه في الحالتين صوت صامت.

ظهرت صورة النّون في المرحلة الأولى لظهور الخطّ العربيّ، وحوفظ عليه دالا على الصّوتين نظرا لتقاربهما واشتراكهما في الخواصّ الصّوتيّة لهما.

ولا يزال الخطّ العربيّ محافظا على رموزه في الدّلالة على الحركات حتّى الآن، وقوبلت في الأبجديّة الدّوليّة بـ: (a) للفتحة، و(i) للكسرة، و(u) للضّمّة، وللدّلالة على الصّوائت الطّوال ثلاثة طرق:

[1]- سرّ صناعة الإعراب: ابن جنّي، ج: 01، ص: 43-44.
[2]- دراسات في علم اللغة: كمال بشر، ص: 34.
[3]- المصدر نفسه، ص: 34.
[4]- ينظر: المصدر نفسه، ص: 34.

- **الأولى:** تكرار الصّائت القصير؛ أي: (aa) للدّلالة على الفتحة الطّويلة، و(ii) للدّلالة على الكسرة الطّويلة، و(uu) للدّلالة على الضّمّة الطّويلة.
- **الثّانية:** وضع نفطتين فوق الحركة القصيرة، هكذا: (ä) للفتحة الطّويلة، و(ï) للكسرة الطّويلة، و(ü) للضّمّة الطّويلة.
- **الثّالثة:** وضع خطّ صغير فوق الحركة القصيرة؛ أي: (ā) لفتحة الطّويلة، و(ī) للكسرة الطّويلة، و(ū) للضّمّة الطّويلة.

استنادا إلى المعطيات السّابقة يظهر أنّ المحدثين معتمدين على الأجهزة الحديثة أقرّوا ما ذهب إليه القدامى بحسّهم المرهف وذوقهم فيما يتعلّق بـ:

- إنتاج كلّ الصّوائت من مخارج الأصوات المجانسة لها.
- اتّساع مخرج الصّوائت وخروج الصّوت سلسا دون عائق أو حائل يعترض طريقه.
- اختلاف الصّوائت ناتج عن تغيّر شكل مجرى الهواء في التجويفين الحلقي والفمي.
- اتّفق القدماء والمحدثون في وصف إنتاج العلامات الفرعيّة غير أنّ المحدثين اعتبروا كلّا من الواو والياء مشتركين لفظيين لقيمتين صوتيتين متمايزتين وإن تشابهتا.

بينما اختلف القدماء والمحدثون في النّقاط الآتية:

- ترتيب مخارج الأصوات؛ حيث عدّ القدامى الفتحة من الحلق من مخرج الألف، والكسرة من شجر الفم، وهو مخرج الياء، والضّمّة من الشّفتين أي من مخرج الواوا، باستثناء الفيلسوف "ابن رشد" الذي وافق المحدثين في جعلهم مخرج الواو من أقصى اللسان، والألف من وسطه والياء من أدناه.
- لم يكن القدامى على الأغلب عارفين بالأوتار الصّوتيّة لذا لم يتطرّقوا إليها في حديثهم عن إنتاج الصّوائت، وإن كان وصفهم لها بالجهر وإشارتهم لانتهائها إلى الهمز يترجم اهتزاز الأوتار الصّوتيّة.
- بالنّظر إلى المعايير الثّلاثة التي وضعها "دانيال جونز" (Daniel Jones) واعتمدها المحدثون في وصف الصّوائت يظهر اختلاف القدماء والمحدثين في معيارين من المعايير الثّلاثة؛ فإضافة إلى المعيار الأفقي للأصوات

السّابق ذكره اختلفت نظرياتهم حول فكرة الاستعلاء في حدّ ذاتها أتخصّ أقصى اللسان فقط على مذهب القدماء أمّ اللسان عموما أيا كان الجزء المرتفع على رأي المحدثين.

- استفاد المحدثون من التّطوّر العلمي فأضافوا إلى وصف الصّوائت جانبا فيزيائيّا فوصفوها بالحدّة أو الرّزانة، والتّضام أو الانتشار، واستطاعوا أن يبيّنوا ما ذهب إليه القدماء من أنّ الصّوائت الطّوال لا تختلف عن نظيراتها القصار إلا في صفة الطّول.
- أمّا النّون فحافظ عليه القرّاء باهتمامهم بوصفه وإنتاجه لذا لا نرى أيّ اختلاف بين القرّاء واللغويّين ولا بين القدماء والمحدثين.
- كتابيّا لم يكن للغة العربيّة رموز دالة على الحركات إلى أن جاء أبو الأسود الدّؤلي فوضع النّقاط علامات للحركات ثمّ طوّرها الخليل بن أحمد الفراهيدي لتصبح على ما هي عليه اليوم. ولم يضع الخليل علامة السّكون فاختلف النّاس في استعمال رموز دالّة عليه ليستقرّ حديثا استعمال رمز الدّائرة مع رمز الدّال في بعض الخطوط، أمّا الحركات الطّوال فأخذت من البداية شكل شبيهاتها من الصّوامت.

الفصل الثّاني: الدّراسة الفونولوجيّة للعلامات الإعرابيّة

- المبحث الأوّل: الصّور النّطقيّة للعلامات الإعرابيّة
- المبحث الثّاني: إبدال العلامات الإعرابيّة
- المبحث الثّالث: وظائف العلامات الإعرابيّة

صاغ "ابن جنّي" حدّا للّغة وقال إنّها «أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم»[1]، وبغضّ الطّرف عن الجوانب: الاجتماعيّة، والنّفسيّة، والفلسفيّة، في كلام "ابن جني"، فإنّها لغويّا نسيج من الأصوات يؤدّي معنى مقصودا. وهو ما يؤكّده "الجاحظ" بتعريفه الصّوت اللغويّ على أنّه «آلة اللفظ، والجوهر الذي يقوم به التّقطيع، وبه يوجد التّأليف. ولن تكون حركات اللسان لفظا، ولا كلاما موزونا ولا منثورا إلاّ بظهور الصّوت، ولا تكون الحروف كلاما إلا بالتّقطيع والتّأليف»[2]؛ وفي هذا بيان أنّ أساس الكلام هو الصّوت وبظهوره ينشأ اللفظ والكلام موزونا ومنثورا.

فأمّا اللفظ فكل ما يتلفظ به وقد يكون المقصود منه الحرف إنّما ميز بين لفظ الصّوت خارج التّركيب والحرف داخله. وأما قوله: "لا تكون الحروف كلاما إلا بالتّقطيع والتّأليف"؛ فلأنّ الكلام شرطه الإفادة؛ يقول "ابن مالك":

كَلامُنَا لَفْظٌ مُفيدٌ كَاسْتَقِمْ[3]

ولتصبح هذه الأصوات أو الحروف ذات معنى يجب أن توضع في شكل تتابعيّ محددّ ، مكوّنة كلمة أو مجموعة من الكلمات[4]، مشكّلة نسيجا صوتيّا معيّنا تحكمه قواعد مضبوطة تحدد قيمته، ووظيفته في اللغة، وارتباطه في بناء الكلمة؛ أي علاقته بالأصوات الأخرى من ناحية المعنى ووظيفة الصّوت في مختلف المستويات اللغويّة: صوتيّا، صرفيا، نحويّا، وسيأتي بيان هذا في موضعه.

يشكّل النّسيج الصّوتي كلاما توصف أصواته إمّا بالتّآلف أو بالتّنافر؛ يقول "الجاحظ": «...حروف الكلام وأجزاء البيت من الشّعر، تراها متّفقة ملسا، وليّنة المعاطف سهلة، وتراها مختلفة متباينة، ومتنافرة مستكرهة، تشقّ على اللسان وتكدّه. والأخرى تراها سهلة ليّنة، ورطبة متواتية، سلسة النّظام، خفيفة على اللسان؛ حتّى كأنّ البيت بأسره كلمة واحدة، وحتّى كأنّ الكلمة بأسرها حرف واحد»[5]، ومفاضلة بينهما

[1]- الخصائص: ابن جنّي، ج: 01، ص: 33.
[2]- البيان والتّبيين: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تح: عبد السّلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، دط، دت، ج: 01، ص: 79.
[3]- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك: المرادي المعروف باين أمّ قاسم، شرح وتحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، مصر، ط: 01، 1422ه/2001م، ج: 01، ص: 267.
[4]- ينظر: أسس علم اللغة: ماريو باي، ترجمة: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، مصر، ط: 08، 1998م،: 41.
[5]- البيان والتّبيين: الجاحظ، : 01، ص: 67.

يقول: «أجود الشّعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنّه قد أفرغ إفراغا واحدا، وسُبك سبكا واحدا، وهو يجري على اللسان كما يجري الدّهان»[1].

وتآلف الكلام «مرتبط بتباعد مخارج الأصوات، سواء في الكلمة الواحدة أو في الكلمات المتجاورة، والتّنافر مرتبط بتقارب المخارج (أو تماثلها)»[2]؛ بل إنّ "ابن جنّي" يرى أنّ سبب إهمال ما أهمل في اللغة العربية ضرب من الاستخفاف[3].

واستكراها للتّنافر بحث العربيّ عن طرق للتّخلّص منه، خصّها اللغويّون منذ بداية الدّرس اللغويّ بجانب من الاهتمام؛ فدرسوا الطرق المؤدّية إلى توافق الأصوات ضمن تنظيم اللغة حيث وجدوها، وفي مختلف الأبواب اللغويّة، فجاءت مبثوثة في كتبهم. أمّا المحدثون فجمعوا تلك القوانين الصّوتيّة وما نشأ عنها من تغيّرات أصابت الأصوات، و«أهم قوانين التّغيرات التّركيبية للأصوات، قانونان هما: قانون المماثلة، وقانون المخالفة، أما الأوّل فيدعو صوتين مختلفين إلى التّماثل أو التّقارب، في حين يدعو الثّاني صوتين متماثلين إلى التّخالف والتّباعد»[4].

أوّلا: المماثلة

تعرّف المماثلة على أنّها: «التّعديلات التّكييفية للصّوت بسبب مجاورته –ولا نقول ملاصقته- لأصوات أخرى. وهي كما عرّفها بعض آخر: "تحوّل الفونيمات المتخالفة إلى متماثلة إمّا تماثلا جزئيّا أو كلّيا"»[5]، فيحدث نتيجة لذلك «نوع من التّوافق والانسجام، بين الأصوات المتنافرة في المخارج أو في الصّفات»[6].

ويشرح "رمضان عبد التّوّاب" كيفية تماثل الأصوات؛ فيقول: «إذا التقى في الكلام صوتان من مخرج واحد، أو من مخرجين متقاربين، وكان أحدهما مجهورا والآخر

---

[1]- المصدر نفسه، ج: 01، ص: 67.
[2]- لسانيات النّصّ مدخل إلى انسجام الخطاب: محمد خطابي، المركز الثّقافي العربي، ط: 01، 1991م، ص: 143.
[3]- ينظر: الخصائص: ابن جنّي، ج: 01، ص: 67.
[4]- التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: 03، 1417ه/1997م، ص: 32.
[5]- دراسة الصّوت اللغوي: أحمد مختار عمر، ص: 378.
[6]- التّطور اللغوي: رمضان عبد التواب، ص: 30.

مهموسا مثلا، حدث بينهما شدّ وجذب، كلّ واحد منهما يحاول أن يجذب الآخر ناحيته، ويجعله يتماثل معه في صفاته كلّها أو في بعضها»[1]؛ وتبعا لهذا تنقسم المماثلة إلى:

1. التّأثّر المقبل الكلّي في حالة الاتّصال: نحو: قلب تاء الافتعال ذالا في "اذّكر".
2. التّأثّر المقبل الكلّي في حالة الانفصال: نحو: قلب حركة ضمير النّصب والجرّ المتّصل "ـه" اتباعا لحركة ما قبله، مثل: بِهِ، والأصل فيها الضّمّ.
3. التّأثّر المقبل الجزئي في حالة الاتّصال: نحو: قلب تاء الافتعال نظيرتها المطبقة (الطاء) في "اطّجع".
4. التّأثّر المقبل الجزئي في حالة الانفصال: نحو: نطق السّين زايا في كلمة "مهراز" والأصل "مهراس".
5. التّأثّر المدبر الكلّي في حالة الاتّصال: نحو: تأثُّر لام التّعريف بالأحرف الشّمسيّة وإدغامها فيها.
6. التّأثّر المدبر الكلّي في حالة الانفصال: نحو: تطوّر كسرة الميم إلى فتحة في صيغتي اسم الآلة: مِفْعَل ومِفْعِلَة: مثل: مسنّ، ومخدّة.
7. التّأثّر المدبر الجزئي في حالة الاتّصال: نحو: الإقلاب في كلمة "منبر" ونطقها "ممبر".
8. التّأثّر المدبر الجزئي في حالة الانفصال: نحو: قراءة الصّاد في كلمة: ﴿**الصِّرَاطَ**﴾ زايا[2] في قراءة "حمزة بن حبيب الزّيّات".

ثانيا: المخالفة

عرف "رمضان عبد التّواب" المخالفة بأنّها إحدى قوانين التّعديلات التّركيبيّة للأصوات «يعمد إلى صوتين متماثلين تماماً في كلمة من الكلمات، فيغير أحدهما إلى صوت آخر، يغلب أن يكون من أصوات العلّة الطّويلة، أو من الأصوات المتوسّطة أو المائعة»[3]، وبعكس المماثلة، تؤدّي المخالفة إلى تعديل الصّوت الموجود في سلسلة الكلام بتأثير صوت مجاور بزيادة مدى الخلاف بين الصّوتين[4].

---

[1]- المصدر نفسه.
[2]- ينظر: المصدر السّابق، ص: 33-47.
[3]- المصدر نفسه، ص: 57.
[4]- ينظر: دراسة الصّوت اللغويّ: أحمد مختار عمر، ص: 384.

وأشار "سيبويه" إلى المماثلة في باب التّضعيف، فقال: «اعلم أنّ التّضعيف يثقل على ألسنتهم، وأنّ اختلاف الحروف أخفّ عليهم من أن يكون من موضع واحد»[1].

وذهب "أحمد مختار عمر" إلى «أنّ اللغات تستخدم السّواكن الأنفيّة والتّردّديّة بشكل أكثر لتحقيق عنصر المخالفة، ولهذا يفترض Hurwitz أن تكون الكلمات العربيّة الكبيرة البنية التي تشتمل على راء أو لام أو نون أو ميم قد تولّدت نتيجة عامل المخالفة بين صوتين متماثلين. وهو يمثّل لذلك بالكلمات الآتية: حرجل (حجّل)، وجلمد (جمّد)، وعنكب (عكّب)، وعرقب (عقّب)، وقرمط (قمّط)، وفلطح (فطّح)»[2]، والحقيقة أنّ سبب كثرة استخدام هذه الأصوات راجع بدرجة كبيرة إلى مخرجها الفمويّ الذي يجعلها قريبة من أكثر الأصوات؛ لأنّ «الصّوت لا يمكنه أن ينقلب إلى صوت آخر، بعيد عنه في المخرج جدّا، فلا ينقلب صوت من أصوات الشّفة أو الأسنان مثلا، إلى صوت آخر من أصوات الحلق، وكذلك العكس»[3]، وهذا ينطبق على المماثلة كما المخالفة.

لا تقتصر التّغييرات التّركيبية على الأصوات الصّامتة بل يمكن حدوثها في الصّوائت قصيرها وطويلها؛ فتنشأ تبعا لذلك وحدات صوتيّة جديدة، تختلف تبعا للأصوات المؤثّرة والمتأثّرة، ودرجة التّأثر؛ فتصدر نتيجة لذلك صورة نطقيّة جديدة للصّائت إذا كان التّأثير جزئيّا ضعيفا، بينما قد يتغيّر الصّوت إلى صوت آخر إذا كان التّأثير عليه كبيرا.

وفيما يلي من صفحات نتتبّع الأصوات المشكّلة للعلامات الإعرابيّة داخل التّركيب الصّوائت منها (الفتحة والكسرة والضّمّة) قصارا وطوالا، والصّامت (النّون في الأفعال الخمسة)، من حيث: تغيّراتها التّركيبيّة جزئيّا، فكلّيا، ثمّ مختلف الوظائف التي تؤدّيها داخل التّركيب.

[1]- الكتاب: سيبويه، ج: 04، ص: 417.
[2]- دراسة الصّوت اللغويّ: أحمد مختار عمر، ص: 385.
[3]- التّطوّر اللغويّ: رمضان عبد التّوّاب، ص: 31.

المبحث الأوّل: الصّور النّطقيّة للعلامات الإعرابيّة:

تغيير الصّور النّطقيّة للأصوات اعتمادا على القوانين الصّوتيّة أدّى إلى ظهور أصوات بينيّة في حالات تركيبيّة معيّنة، تمسّ الصّوائت القصار والطّوال كلاهما، يقول "الفارابي": «والمصوّتات الطّويلة، منها أطراف ومنها ممتزجة عن الأطراف، والأطراف ثلاثة، إمّا الطّرف العالي وهو "الألف"، وإمّا الطّرف المنخفض وهو "الياء"، وإمّا المتوسّط وهو "الواو"، والممزوجة، إمّا ممزوجة من "الألف والياء"، وإمّا من "ياء وواو"، وإمّا من "ألف وواو" وكلّ واحد من هذه الثّلاثة الممتزجة، إمّا مائل إلى أحد الطرفين، أو متوسّطة غير مائلة، والمائلة إمّا إلى هذا وإمّا إلى ذاك»[1]، ومثلها الصّوائت القصيرة؛ إذ الفرق بينها كمّي غير كيفي، كما سبق.

ويذكر " ابن جنّي" الصوائت الفرعيّة والمستعملة في اللغة العربيّة فيقول: «اعلم أنّك كما قد تجد هذه المضارعة وهذا التّقارب بين الحروف، فقد تجده أيضا بين الحركات، حتّى إنّك تجد الفتحة مشوبة بشيء من الكسرة أو الضّمّة منحوّا بها إليهما، وتجد الكسرة أيضا مشوبة بشيء من الضّمّة، والضّمّة مشوبة بطرف من الكسرة، ولا تجد الكسرة ولا الضّمّة مشوبة بشيء من الفتحة»[2].

وتمسّ هذه التّغيّرات الصّوتيّة الصّوائت القصار كما الطّوال، فأمّا القصار فينتهون إلى الصّور الآتية:

1-الفتحة المشوبة بالكسر:

أطلق "ابن جنّي" اسم "الفتحة المشوبة بالكسر" على الفتحة الممالة؛ «والإمالة أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء كثيرا وهو المحض. ويقال له الإضجاع، ويقال له البطح، وربّما قيل له الكسر أيضا وقليلا وهو بين اللفظين ويقال له أيضا التّقليل والتّلطيف وبين بين؛ فهي بهذا الاعتبار تنقسم أيضا إلى قسمين إمالة شديدة وإمالة متوسّطة وكلاهما جائز في القراءة جار في لغة العرب»[3]، ويرى اللّغويّون

[1]- كتاب الموسيقى الكبير: أبو نصر بن محمد بن طرخان الفارابي، تح: عطاس عبد الملك خشبة، دار الكتاب العربي للطّباعة والنّشر، القاهرة، دط، دت، ص: 1073-1074.
[2]- سرّ صناعة الإعراب: ابن جنّي، ج: 01، ص: 51-52.
[3]- النّشر في القراءات العشر: ابن الجزري، ج: 02، ص: 30.

الغرض من الإمالة تقريب الأصوات بعضها من بعض لضرب من التّشاكل وتجانس الأصوات[1]؛ فتنشأ حينئذ حركة ثالثة فرعيّة بين الفتحة والكسرة.[2]

وأحصى اللغويّون ثلاثة حالات لإمالة الفتحة:

1- إذا سَبقت ألف الإمالة: يقول "ابن جنّي": «أمّا الفتحة المشوبة بالكسرة فالفتحة التي قبلها الإمالة نحو فتحة عين عابد وعارف، وذلك أنّ الإمالة إنّما هي أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة، فتميل الألف التي بعدها نحو الياء لضرب من تجانس الصّوت، فكما أنّ الحركة ليست فتحة محضة، فكذلك الألف التي بعدها ليست ألفا محضة، وهذا هو القياس؛ لأنّ الألف تابعة للفتحة، فكما أنّ الفتحة مشوبة، فكذلك الألف اللاحقة لها».[3]

2- إذا وقعت قبل الرّاء المكسورة: وسبب الإمالة قبل الرّاء المكسورة خاصّية التّكرار فيه التي زادته قوّة وجعلت من كسرتها أكثر شبها من الياء حسب "سيبويه"؛ الذي قال في هذا الباب: «من الضّرر" و" من البعر" و" من الكبر" و" من الصّغر" و" من الفقر" ، لما كانت الرّاء كأنها حرفان مكسوران وكانت تشبه الياء أمالوا المفتوح كما أمالوا الألف؛ لأن الفتحة من الألف ، وشبه الفتحة بالكسرة كشبه الألف بالياء ، فصارت الحروف هاهنا بمنزلتها إذا كانت قبل الألف وبعد الألف والرّاء وإن كان الذي قبل الألف من المستعلية نحو" ضارب" و" قارب[4]».

ولئن علمنا أنّ الأصوات المستعلية تمنع الإمالة فإنّ أمثلة "سيبويه" ضمّت أصواتا مستعلية بفتحات ممالة على غرار: الضّرر والصّغر والفقر؛ وتعليل ذلك أنّ «هذه الرّاء المكسورة تغلب على المستعلي إذا وقع قبلها نحو قولك من الضّرر والصّغر والبقر كما غلبته في نحو قارب وطارد وغارم».[5]

وساق "ابن جنّي" في هذا الباب مثالين يستدعيان الوقوف عليهما[6]: أحدهما: "ورأيت خبطِ رِياح" في إشارة إلى إمالة الفتحة للرّاء المكسورة بعدها ولو كانتا في كلمتين منفصلتين. والآخر: "مِنْ عَمْرِوْ" وفيه فصلت ميم بين الرّاء المكسورة والفتحة؛ و لأن الميم ساكنة لم يعتدّ بها حاجزا[7]؛ وهذه الحالة ليست قاعدة عامّة إذ لا تمال الفتحة

---

[1]- ينظر: شرح المفصّل: ابن يعيش، ج: 09، ص: 54. وسرّ صناعة الإعراب: ابن جنّي، ج: 01، ص: 52.
[2]- ينظر: سرّ صناعة الإعراب: ابن جنّي، ج: 01، ص: 51.
[3]- سرّ صناعة الإعراب: ابن جنّي، ج: 01، ص: 52.
[4]- الكتاب: سيبويه، ج: 04، ص: 142.
[5]- شرح المفصّل: ابن يعيش، ج: 09، ص: 64-65.
[6]- ينظر: سر صناعة الإعراب: ابن جني، ج: 01، ص: 52.
[7]- ينظر: شرح المفصّل: ابن يعيش، ج: 09، ص: 64-65.

عادة إذا بعدت عن الرّاء المكسورة كما في قولهم: "من المحاذر" أمالوا فتحة الذال للرّاء بعدها ولم يميلوا الألف لأنه قد اكتنفها فتحتان وبعدت من الرّاء.[1]

3- إذا وقعت قبل هاء التّأنيث: إذ «قد يمال ما قبل هاء التّأنيث في الوقف، وتحسن في نحو (رحمة)، وتقبح في الرّاء نحو (كدرة)، وتتوسّط في الاستعلاء نحو (حقّة)»[2] لمشابهة هاء التأنيث ألف التّأنيث لفظا وحكما: أما لفظا؛ فلخفائها كخفاء ألف التّأنيث، وكون كلّ واحدة منهما زائدة، وسكون كلّ واحدة منهما وفتح ما قبل كلّ واحدة منهما. وأما حكما، فلكونها للتّأنيث.[3]

2-الفتحة المشوبة بالضّمّ:

وهي ما يصطلح على تسميته بالفتحة المفخّمة أو الفتحة السّابقة لألف التّفخيم و«التّفخيم من الفخامة وهي العظمة والكثرة فهي عبارة عن ربو الحرف وتسمينه فهو والتّغليظ واحد»[4]، أمّا في الاصطلاح فهو «عبارة عن: سِمَن يدخل على جسم الحرف أي صوته، فيمتلئ الفم بصداه. والتّفخيم والتّسمين والتّجسيم والتّغليظ بمعنى واحد»[5].

ووصف "ابن جنّي" الفتحة المشوبة بالضّمّ قائلا: «وأما الفتحة الممالة نحو الضّمة فالذي تكون قبل ألف التّفخيم، وذلك نحو: الصّلاة، والزّكاة، ودعا، وغزا، وقام، وصاغ. وكما أن الحركة أيضا هنا قبل الألف ليست فتحة محضة، بل هي مشوبة بشيء من الضّمة. فكذلك الألف التي بعدها ليست ألفا محضة لأنّها تابعة لحركةٍ هذه صفتها، فجرى عليها حكمها»[6]، وهو بهذا قصر وجودها قبل ألف التّفخيم، بينما أشار "ابن الجزري" إلى تفخيم الفتحة في أصوات الاستعلاء وإن لم تسبق ألف التّفخيم؛ غير أنّه أضعف فيها[7].

3-الحركة بين الضمّة والكسرة:

---

[1]- ينظر: المصدر نفسه.
[2]- الكافية: ابن الحاجب، ص: 86.
[3]- ينظر: شرح شافية ابن الحاجب: رضيّ الدين محمد بن الحسن الأسترآبادي، تح: محمد نور الحسن ومحمد الزّفزاف ومحمد محيي الدّين عبد الحميد، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1402ه/1982م، ج: 03، ص: 23.
[4]- النّشر في القراءات العشر: ابن الجزري، ج: 02، ص: 90.
[5]- نهاية القول المفيد في علم تجويد القرآن المجيد: محمد مكّي نصر الجريسي، ص: 93. وينظر: جهد المقل: ساجِقلي زاده، ص: 153-154.
[6]- سر صناعة الإعراب: ابن جني، ج: 01، ص: 52.
[7]- ينظر: نهاية القول المفيد في علم تجويد القرآن المجيد: محمد مكّي نصر الجريسي، ص 101.

عمليا في العربيّة حركتان بين الضمّة والكسرة؛ ضمّة مشمّة كسرا، وكسرة مشمّة ضمّا، وهما كالحركة الواحدة عند "ابن الجنّي"، يقول: «... والتي بين الكسرة والضّمّة، كسرة قاف قيل وسين سير فهذه الكسرة المشمّة ضمّا. ومثلها الضّمّة المشمّة كسرا؛ كضمّة قاف المنقر، وضمّة عين مذعور، وباء ابن بور فهذه ضمّة أشربت كسرا؛ كما أنّها في قيل وسير كسرة أشربت ضمّا. فهما لذلك كالصّوت الواحد».[1]

غير أنّ القرّاء اختلفوا في أداء هذه الحركة على ضربين بيّنهما صاحب "الإضاءة" فقال: «وكيفيّة التّلفّظ به أن تلفظ بأولّ الفعل (أي فاؤه) بحركة تامّة مركّبة من حركتين ضمّة وكسرة إفرازا لا شيوعا: جزء الضّمّة مقدّم وهو الأقلّ ويليه جزء الكسرة وهو الأكثر. ومن ثمّ تمحّضت الياء. كذا ذكره الجعبريّ وغيره. والظّاهر من كلام الشّاطبيّ أنّ جزء الكسرة مقدّم. ثمّ إطلاقهم يدلّ على التّساوي في قدرهما. ولم أر من قيّده به غيره وقد قال السّخّاوي في عبارة الشّاطبيّ تنبيها على أنّ الفعل لا يكسر بكسرة خالصة ثمّ قال: وحقيقة هذا الإشمام أن تنحو بكسرة فاء الفعل نحو الضّمّة فتمال كسرة فاء الفعل وتميل الياء السّاكنة بعدها نحو الواو قليلا إذ هي تابعة لحركة ما قبلها. وهذا وجه من عبّر عن الإشمام بالإمالة لأنّ الحركة ليست بضمّة محضة ولا كسرة خالصة كما أنّ الإمالة ليست بكسر محض ولا فتح خالص»[2]؛ أي أنّ منهم من ضمّ فكسر، ومنهم من كسر فضمّ.

وقسّم "ابن جنّي" هذه الحركة قسمين ضمّة مشوبة بالكسر وكسرة مشوبة بالضّمّ تبعا للمدّ بعدها، أمّا الكسرة المشوبة ضمّا فأكثر ما عُرفت في موضعين:

- **الأوّل:** قبل ياء المخاطبة في الفعل النّاقص الواويّ، يقول "الفارسيّ": «وتقول للمرأة: ادعي، اغزي، فتشمّ الزّاي والعين الضّمّة وتضمّ الهمزة لأنّ الضّمّة في حكم الثّبات»[3]، وعلّل "الصّبّان" هذا الوجه بأنّ «... الأصل اغزوي استثقلت الكسرة على الواو فنقلت ثمّ حذفت الواو لاتقاء السّاكنين فالضّمّ نظرا إلى الأصل والكسر نظرا إلى الحالة الرّاهنة ومرجع الوجهين الاعتداد بالعارض وعدم الاعتداد به ولم يجز هذان الوجهان في امشوا لأنّ الأصل كسر الهمزة وقد عضد بأصل كسر العين فألقى العارض لمعارضة

[1]- الخصائص: ابن جنّي، ج: 03، ص: 121.
[2]- الإضاءة في بيان أصول القراءة: علي محمد الضّباع، ملتزم الطّبع والنشر: عبد الحميد أحمد حنفي، مصر، دط، دت، ص: 63-64.
[3]- التّكملة: أبو عليّ الفارسي، تح: حسن شاذلي فرهود، جامعة الرّياض، 1401ه/1981م، ص: 17.

أصلين ولا كذلك اغزي لأنّ هذا العارض داع لأصل هو الكسر فجاز الاعتداد به دون الضّمّ في امشوا».[1]

- **الثّاني:** في الأجوف المبني للمجهول؛ «قال صاحب الكتاب (وتقول فيم لم يسمّ فاعله قيل وبيع بالكسر وقيل وبيع بالإشمام وقول وبوع بالواو وكذلك اختير وانقيد له تكسر وتشمّ وتقول اختور وانقود له وفي فعلت من ذلك عدت يا مريض واخترت يا رجل بالكسر والضّمّ الخالصين والإشمام وليس فيم قبل ياء أقيم واستقيم إلا الكسر الصّريح»[2]، وإشمام ذلك لأنّهم أرادوا نقل حركة العين إلى الفاء إعلالا للفعل ومحافظة على حركة الفاء الأصليّة فلم يمكن الجمع بينهما فأشربوا ضمّة الفاء شيئا من الكسرة فصارت حركة بين حركتين بين الضّمّة والكسرة ومثله انقيد واختير[3]؛ وعلى هذا الأساس علّلوا إشمام الكسرة في هذا البناء على الأصل؛ «قال أبو عمرو: فأمّا الإشمام في قوله: قيل، وسيء، ونظائرهما على مذهب من أشمّ أوّله الضّمّ دلالة على الأصل، فحقّه أن ينحى بكسرة فاء الفعل المنقولة من عينه نحو الضّمّة»[4].

وإذا اتّصل هذا البناء بالضّمير نحو: عدت يا مريض واخترت يا رجل أشبه البناء للفاعل، ومن ثمّ جاز إشمام كسرة فاء الفعل ضمّا، يقول "الفارسيّ": «ومن العرب من يشمّ الضّمّ فيقول: قد خفت يا زيد وهبت يا أسد، وبعت يا عبد ليفصل الفعل المبنيّ للمفعول من الفعل المبنيّ للفاعل».[5]

أمّا الضّمة المشوبة بالكسر فبيّنها "ابن جنّي" بقوله: «وأمّا الضّمّة المشوبة بالكسرة فنحو قولك في الإمالة: مررت بمذعِور، وهذا ابن بِور، نحوت بضمّة العين والباء نحو كسرة الرّاء، فأشممتها شيئا من الكسرة. وكما أنّ هذه الحركة قبل هذه الواو ليست ضمّة محضة، ولا كسرة مرسلة، فكذلك الواو أيضا بعدها هي مشوبة بروائح الياء وهذا مذهب سيبويه، وهو الصّواب لأن هذه الحروف تتبع الحركات قبلها، فكما أن الحركة مشوبة غير مخلصة، فالحرف اللاحق بها أيضا في حكمه. وأما أبو الحسن فكان يقول: مررت بمذعور، وهذا ابن بور، فيشم الضمة قبل الواو رائحة الكسرة ويخلص

---

[1]- حاشية الصّبّان شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تح: طه عبد الرّؤوف سعد، المكتبة التوفيقيّة، مصر، دط، دت، ج: 04، ص: 390.
[2]- شرح المفصّل: ابن يعيش، ج: 09، ص: 73-74. شرح الشّافية: الرّضيّ الأسترآبادي، ج: 03، ص: 155.
[3]- ينظر: شرح المفصّل : ابن يعيش، ج: 09، ص: 74.
[4]- التّحديد: أبو عمر الدّاني، ص: 97.
[5]- التّكملة: أبو عليّ الفارسي، ص: 252.

الواو واوا محضة البت. وهذا تكلف فيه شدة في النّطق، وهو مع ذلك ضعيف في القياس. فهذا ونحوه مما لابد في أدائه وتصحيحه للسمع من مشافهة توضحه، وتكشف عن خاص سره».[1]

والنّحو بالضّمّة والواو بعدها نحو الكسر ليس للدّلالة على الإعلال كما الكسرة المشوبة ضمّا، إنّما للرّاء المكسورة بعدها كما «تمال أيضا الضّمّة التي قبلها نحو من السّمر ومن المنقر، وهو الرّكية الكثيرة الماء، ومن السّرر»[2]، قويت الرّاء لتكرارها وأشبهت كسرتها الياء فأدّى ذلك إلى تنافر بين الضّمّ والكسر فلم يعلّوا لوقوع الرّاء حاجزا بينهما، واختاروا النّحو بالضّمّ نحو الكسر.

تلوّنت الصّوائت القصار فظهرت الصّور النّطقيّة البينيّة النّاتجة عن امتزاج صوتين، آنفة الذّكر، كما ظهرت صور أخرى نتيجة لتغيّر في كمّية الصّوت في سياقات معيّنة، وفيم يلي تفصيلها:

1-الإشمام:

الإشمام عند القرّاء ضرب من الوقف على المتحرّك في الوصل، وهو «عبارة على الإشارة إلى الحركة من غير تصويت وقال بعضهم: أن تجعل شفتيك على صورتها إذا لفظت بالضّمة. وكلاهما واحد، ولا تكون الإشارة إلا بعد سكون الحرف».[3]

ولا يكون الاشمام إلا في الوقف سكونا على المضموم أو المرفوع[4]، والغرض به الفرق بين السّاكن والمسكّن في الوقف وعلامته نقطة قدام الحرف هكذا.[5]

وسبيلك إذا أردت الإشمام «تهيئة العضو للنّطق بالضّم من غير تصويت وذلك بأن تضمّ شفتيك بعد الإسكان وتدع بينهما بعض الانفراج ليخرج منه النّفس فيراهما المخاطب مضمومتين فيعلم أنّا أردنا بضمّهما الحركة فهو شيء يخصّ العين دون الأذن وذلك إنّما يدركه البصير دون الأعمى لأنّه ليس بصوت يسمع وإنّما هو بمنزلة تحريك عضو من جسدك ولا يكون الإشمام في الجرّ والنّصب عندنا لأنّ الكسرة من مخرج

[1]- سر صناعة الإعراب: ابن جني، ج: 01، ص: 53.
[2]- شرح الشّافية: الرّضي الأسترآبادي، ج: 03، ص: 28.
[3]- النّشر في القراءات العشر: ابن الجزري، ج: 2، ص: 121.
[4]- ينظر: التكملة: أبو علي الفارسي، ص: 19.
[5]- ينظر: حاشية الصبان، ج: 04، ص: 294.

الياء ومخرج الياء من داخل الفم من ظهر اللّسان إلى ما حاذاه من الحنك من غير إطباق بتفاجّ الحنك عن ظهر اللسان ولأجل تلك الفجوة لان صوتها وذلك أمر باطن لا يظهر للعيان وكذلك الفتح لأنه من الألف، والألف من الحلق فما للإشمام إليهما من سبيل... »[1].

وعزا "ابن يعيش" وغيره إلى الكوفيّين تجويزَهم الإشمام في الكسر؛ قال: «وذهب الكوفيون إلى جواز الإشمام في المجرور وقالوا لأنّ الكسرة تكسر الشّفتين كما أنّ الضّمة تضمّهما، والصّواب ما ذكرناه للعلّة المذكورة واشتقاق الإشمام من الشّمّ كأنّك أشممت الحرف رائحة الحركة بأن هيّأت العضو للنّطق بها[2]»، وهو ما نفاه "الرّضيّ" قائلا: « وعزا بعضهم إلى الكوفيّين تجويز الإشمام في المجرور والمكسور أيضا، والظّاهر أنّه وهَم؛ لم يجوزه أحد من النّحاة إلا في المرفوع والمضموم؛ لأنّ آلة الضّمة الشّفة، وقصدك بالإشمام تصوير مخرج الحركة للنّاظر بالصّورة التي يتصوّر مخرج ذلك المخرج بها عند النّطق بتلك الحركة؛ والشّفتان بارزتان لعينه، فيدرك نظره ضمّها، وأمّا الكسرة فهي جزء اليّاء التي مخرجها وسط اللسان والفتحة جزء الألف التي مخرجها جزء الحلق، وهما محجوبتان بالشّفتين والسّن، فلا يمكن إدراك تهيئة المخرجين للحركتين».[3]

وسبب هذا الخلط ما ذهب إليه "ابن الجزريّ" من أنّه «حكي عن الكوفيّين أنّهم يسمّون الإشمام روما والرّوم إشماما»[4].

[1]- شرح المفصل: ابن يعيش،ج: 09، ص: 67.

[2]- شرح المفصل: ابن يعيش،ج: 09، ص: 67.

[3]- شرح الشّافية: الرّضي الأسترآبادي، ج: 02، ص: 275- 276.

[4]- النّشر في القراءات العشر: ابن الجزريّ: ج: 02، ص: 121.

2-الرَّوم والاختلاس والإخفاء:

أشار "ابن الجزري" إلى اختلاف بين النّحويّين والقرّاء في هذه المصطلحات، فقال: «... والرّوم عندهم* بعض الحركة. وعلى قول النّحاة يدخل على حركة الفتح كما يدخل على الضّمّ والكسر لأنّ الرّوم عندهم إخفاء الحركة فهو بمعنى الاختلاس. وذلك لا يمتنع في الحركات الثّلاث ولذلك جاز الاختلاس عند القرّاء في هاء ﴿يَهۡدِي﴾ وخاء ﴿ٱيَخِصِّمُونَ ﴾ المفتوحين ولم يجز الرّوم عندهم في نحو ((﴿ لَا رَيۡبَ﴾ ، و ﴿ٱأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ﴾)) وجاز الرّوم والاختلاس عند النّحاة، في نحو ﴿ٱأَن يَضۡرِبَ﴾ فالرّوم وقفا والاختلاس وصلا وكلاهما في اللفظ واحد. قال سيبويه في كتابه: أمّا ما كان في موضع نصب أو جرّ فإنّك تروم فيه الحركة. فأمّا الإشمام فليس إليه سبيل انتهى. فالرّوم عند القرّاء غير الاختلاس وغير الإخفاء أيضا. والاختلاس والإخفاء عندهم واحد ولذلك عبّروا بكلّ منهما عن الآخر كما ذكروا في ((﴿ٱأَرِنَا﴾، و ﴿نِعِمَّا﴾، و ﴿ٱيَهۡدِي ﴾، و﴿ٱيَخِصِّمُونَ ﴾)) وربّما عبّروا بالإخفاء عن الرّوم توسّعا. ووقع في كلام الدّاني في كتابه التّجريد أنّ الإخفاء والرّوم واحد وفيه نظر»[1]، ويفهم من هذا الكلام أنّ:

- الرّوم عند النّحاة إخفاء الحركة فهو بمعنى الاختلاس؛ وهذا اعتمادا على تعاريف النّحاة الرّوم مرّة بأنّه إخفاء، ومرّة بأنّه اختلاس؛ يقول "ابن يعيش": «أمّا الرّوم فصوت ضعيف كأنّك تروم الحركة ولا تتمّها وتختلسها اختلاسا وذلك ممّا يدركه الأعمى والبصير لأنّ فيه صوتا يكاد يكون به متحرّكا ألا تراك تفصل فيه بين المذكّر والمؤنّث في أنتَ وأنتِ فلولا أنّ هناك صوتا لما فصلت بين المذكّر والمؤنّث...»[2]، وقال "الرّضيّ": «الرّوم الإتيان بالحركة خفيّة حرصا على بيان الحركة التي تحرّك بها آخر الكلمة في الوصل، وذلك إمّا حركات إعراب، وإمّا حركات البناء كأين، وأمس، وقيل، وعلامة الرّوم خطّ بين يدي الحرف هكذا- زيد-، وسمّي روما لأنّك تروم الحركة وتريدها حين لم تسقطها بالكلّيّة، ويدرك الرّوم الأعمى الصّحيح السّمع، إذا استمع، لأنّ في آخر الكلمة صويتا خفيفا».[3]

*- يعني النّحاة.
[1]- النّشر في القراءات العشر: ابن الجزريّ، ج: 02، ص: 126.
[2]- شرح المفصّل: ابن يعيش، ج: 09، ص: 64.
[3]- شرح الشّافية: الرّضي الأسترآبادي، ج: 02، ص: 275.

الرّوم وقفا والاختلاس وصلا وكلاهما في اللفظ واحد: وهذه إحدى نقاط التّباين بين الوقف والاختلاس؛ حيث أنّ الرّوم والاختلاس يشتركان في التّبعيض، وبينهما عموم وخصوص؛ فالرّوم أخصّ من حيث إنّه لا يكون في المفتوح والمنصوب على الأصحّ، ويكون في الوقف دون الوصل، والثّابت فيه من الحركة أقلّ من المحذوف، والاختلاس أعمّ لأنّه يتناول الحركات الثّلاث، كما في قوله: ﴿ٱيَهۡدِي﴾ [سورة البقرة/ 258] و﴿نِعِمَّا﴾ [سورة النّساء/58]و ﴿ٱيَأۡمُرُكُمۡ﴾ [سورة البقرة/67] عند بعض القرّاء في الأمثلة الثّلاث، ولا يختصّ بالآخر والثّابت فيه من الحركة أكثر من المحذوف[1]؛ فالرّوم بهذا الاعتبار اختلاس في الوقف؛ غير أنّ صاحب هذا الرّأي خالف النّحاة في كمّية الصّوت فجعل المحذوف من الحركة في الرّوم أكثر من المحذوف منها في الاختلاس.

فالرّوم عند القرّاء غير الاختلاس وغير الإخفاء أيضا، والاختلاس والإخفاء عندهم واحد؛ أمّا الرّوم عند القرّاء فهو حسب "ابن الجزري": «عبارة عن النّطق ببعض الحركة. وقال بعضهم هو تضعيف الصّوت بالحركة حتّى يذهب معظمها وكلا القولين واحد».[2]

والغرض من الرّوم عين الغرض من الإشمام غير أنّ الرّوم أبين؛ فإنّه يدركه الأعمى والبصير، والإشمام لا يدركه إلا البصير، ولذلك جعلت علامته في الخطّ أتمّ وهو خطّ قدّام الحرف هكذا(-) .[3]

أمّا الإخفاء والاختلاس فيعرّفهما "علي محمد الضّبّاع" قائلا: «قيل هما مترادفان، وقيل الاختلاس عبارة عن الإسراع بالحركة إسراعا يحكم السّامع أنّ الحركة قد ذهبت وهي كاملة في الوزن. وقيل هو عبارة عن النّطق بثلثي الحركة، والصّحيح أنّهما مترادفان وأنّهما عبارة عن النّطق بثلثي الحركة، ولذا عبّروا بكلّ منهما عن الآخر وربّما عبّروا بالرّوم عن الإخفاء توسّعا كما فعلوا في تامنا بيوسف*...»[4]، ومن الذين عدّوا الاختلاس ذهاب الحركة للإسراع في أدائها: "سيبويه"[5] من اللغويّين و"أبو عمرو الدّاني"[6] من أهل القراءات.

---

[1]- ينظر: نهاية القول المفيد في علم تجويد القرآن المجيد: محمد مكّي نصر الجريسي، ص: 224.
[2]- النّشر في القراءات العشر: ابن الجزريّ، ج: 02، ص: 121.
[3]- ينظر: حاشية الصّبّان، ج: 04، ص: 294.
*- يشير إلى قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَالَكَ لَا تَأۡمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ﴾ [سورة يوسف/ 11].
[4]- الإضاءة: علي محمد الضّبّاع، ص: 39-40.
[5]- ينظر: الكتاب: سيبويه، ج: 04، ص: 202.
[6]- ينظر: التّحديد: أبو عمرو الدّاني، ص: 95-96.

- وربّما عبّروا بالإخفاء عن الرّوم توسّعا؛ كما في قول "الدّاني": «وأمّا المرام حركته من الحروف عند الوقف أو في حال الوصل فحقّه أن يضعّف الصّوت بحركته، أيّ حركة كانت، ولا يتمّ النّطق بها، فيذهب بذلك معظمها، ويسمع لها صويت خفيّ يدركه الأعمى بحاسّة سمعه، وهو مع ذلك في الوزن محرّك»[1]؛ حيث جعل الرّوم في الحركات الثّلاث، وهو عند القرّاء في الضّمّ والكسر دون الفتح، واحتجّ له بالتّوسّع في استعمال المصطلح؛ ولئن جاز التّوسّع في استعمال المصطلحات للقرّاء فهو للنّحاة أولى، حيث أنّ اللغة العربيّة عامّة والقراءات خاصّةّ، وللإنصاف فإنّ «مذهب الفرّاء من النّحاة لأنّه لا يجوز روم الفتح فيه؛ لأنّ الفتح لا جزء له لخفّته، وجزؤه كلّه، وعند سيبويه وغيره من النّحاة يجوز فيه الرّوم كما في المرفوع والمجرور».[2]

وكالصّوائت القصار تعرف الصّوائت الطّوال في اللغة العربيّة تنوّعات نطقيّة في سياقات معيّنة، منها التّغيّرات الكيفيّة التي تنشأ عنها امتدادات للصّور الصّوتيّة البينيّة القصيرة سالفة الذّكر؛ فالصّوائت الطّوال امتدادات للقصار من جنسها، وهي:

1- ألف الإمالة:

بيّن "ابن يعيش" في تعريفه الإمالة أنّ معناها لم يخرج عن حدود المعنى اللغويّ للاسم فقال: «اعلم أن الإمالة مصدر أملته أميله إمالة والميل الانحراف عن القصد يقال منه مال الشّيء ومنه مال الحاكم إذا عدل عن الاستواء وكذلك الإمالة في العربيّة عدول بالألف عن استوائه وجنوح به إلى الياء فيصير مخرجه بين مخرج الألف المفخمة وبين مخرج الياء وبحسب قرب ذلك الموضع من الياء تكون شدّة الإمالة وبحسب بعده تكون خفّتها»[3]، وهكذا ينتج صوت يتردّد بين الألف والياء كأنه حرف ثالث بينهما[4] وصفه "ابن جنّي" بالفرعيّ المستحسن[5]، وعرّفه قائلا: «وأما ألف الإمالة التي تجدها بين الألف والياء نحو قولك في عالم وخاتم: عالم وخاتم».[6]

---

[1]- المصدر نفسه، ص: 96.
[2]- شرح الشّافية: الرّضي الأسترآبادي، ج: 02، ص: 275.
[3]- شرح المفصّل: ابن يعيش، ج: 09، ص: 53-54.
[4]- ينظر: المصدر نفسه، ج: 09، ص: 54.
[5]- ينظر: سر صناعة الإعراب: ابن جني، ج: 01، ص: 51.
[6]- المصدر نفسه، ج: 01، ص: 50.

والغرض من إمالة الألف وتقريب الألف من الياء تجانس الصّوت؛ « لأن الألف تطلب من الفم أعلاه والكسرة تطلب أسفله وأدناه فتنافرا ولما تنافرا أُجنحت الفتحة نحو الكسرة والألف نحو الياء فصار الصّوت بين بين فاعتدل الأمر بينهما وزال الاستثقال الحاصل بالتّنافر فاعرفه».[1]

وأرجع "ابن الجزري" الإمالة إلى اثني عشر سببا، لخّصها في قوله: «أسباب الإمالة قالوا هي عشرة ترجع إلى شيئين: أحدهما الكسرة. والثّاني الياء وكلّ منهما يكون متقدّما على محلّ الإمالة من الكلمة ويكون متأخّرا ويكون أيضا مقدّرا في محلّ الإمالة وقد تكون الكسرة والياء غير موجودتين في اللفظ ولا مقدّرتين محلّ الإمالة ولكنّهما ممّا يعرض في بعض تصاريف الكلمة، وقد تمال الألف أو الفتحة لأجل ألف أخرى أو فتحة أخرى ممالة وتسمّى هذه إمالة لأجل إمالة وقد تمال الألف تشبيها بالألف الممالة وتمال أيضا بسبب كثرة الاستعمال وللفرق بين الاسم والحرف فتبع الأسباب اثني عشر سببا»[2]؛ وهي أسباب تجوّز الإمالة لا توجبها؛ إذ ليس في العربيّة سبب يوجب الإمالة.[3]

وحقيق بنا التّنبيه إلى ملاحظة أوردها "سيبويه" وهي «أن ليس كلّ من أمال الألفات وافق غيره من العرب ممّن يميل، ولكنّه قد يخالف كلّ من الفريقين صاحبه، فينصب بعض ما يميل صاحبه ويميل بعض ما ينصب صاحبه، وكذلك من كان النّصب في لغته لا يوافق غيره ممّن ينصب، ولكنّ أمره وأمر صاحبه كأمر الأوّلين في الكسر فإذا رأيت عربيّا كذلك فلا ترينّه خلط في لغته، ولكن هذا من أمرهم».[4]

في المقابل تمنع الأصوات المستعلية الإمالة، وهو ما يشرحه "سيبويه" بقوله: «والحروف التي تمنعها من الإمالة هذه السبعة : الصاد والضاد والطاء والظاء والغين والقاف والخاء إذا كان حرف منها قبل الألف والألف تليه ، وذلك قولك : قاعد وغائب وخامد وصاعد وطائف وضامر وظالم. وإنما منعت هذه الحروف الإمالة ، لأنّها حروف مستعلية إلى الحنك الأعلى ، فالألف إذا خرجت من موضعها استعلت إلى

[1]- شرح المفصّل: ابن يعيش، ج: 09، ص: 55.
[2]- النّشر في القراءات العشر: ابن الجزري، ج: 02، ص: 34. وينظر: الكتاب: سيبويه، ج: 04، ص: 117. شرح كتاب سيبويه: أبو سعيد السّيرافي، ج: 04، ص: 494. شرح المفصّل: ابن يعيش، ج: 09، ص: 55. النّشر في القراءات العشر: ابن الجزري، ص: 35.
[3]- ينظر: شرح المفصّل: ابن يعيش، ج: 09، ص: 55. توضيح المقاصد والمسالك: المرادي،ج: 05، ص: 1491.
[4]- الكتاب: سيبويه، ج: 04، ص: 125.

الحنك، فلما كانت مع هذه الحروف المستعلية غلبت عليها كما غلبت عليها الكسرة في مساجد ونحوها فلما كانت مع هذه الحروف مستعلية وكانت الألف تستعلي وقربت من الألف كان العمل من وجه واحد أخف عليهم، كما أن الحرفين إذا تقارب موضعهما كان رفع اللسان من موضع واحد أخفّ عليهم فيدغمونه»[1]، وأضاف "ابن مالك" الرّاء غير المكسورة تشبيها لها بالمستعلية لتكرارها.[2]

[1]- المصدر نفسه، ج: 04، ص: 128-129.
[2]- ينظر: توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك: المرادي، ص: 1497.

2-ألف التّفخيم:

عدّ "ابن جنّي" ألف التّفخيم من الأصوات المستحسنة، وعرّفها بقوله: «وأما ألف التفخيم فهي التي تجدها بين الألف وبين الواو، نحو قولهم: سلام عليك، وقام زيد»[1]؛ حيث ينحى بها نحو الواو[2]، فينتج صوت ألف يخالط لفظها تفخيما يقرّبها من لفظ الواو[3]، وإلى هذا أرجأ بعض النّحويّين كتابة ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ في المصحف بالواو؛ أي على لغة الذين فخّموا الألف.[4]

وذهب بعض أئمّة القراءات إلى أنّ الصّحيح في الألف «أنّها لا توصف بترقيق ولا تفخيم بل بحسب ما يتقدّمها فإنّا تتبعه ترقيقا وتفخيما»[5]، وذلك أنّها «تابعة لما قبلها، فإذا وقعت بعد الحرف المفخّم تفخّم، وإذا وقعت بعد الحرف المرقّق ترقّق؛ لأنّ الألف ليس فيه عمل عضو أصلا حتّى يوصف بالتّفخيم أو التّرقيق»[6].

وهو رأي ردّه "أبو عبد الله محمد بن بصخان" فيها نقله "ابن جزري" قائلا: «ورأيت في ذلك تأليفا للإمام أبي عبد الله محمد بن بصخان سمّاه: التّذكرة والتّبصرة لمن نسي تفخيم الألف أو أنكره قال فيه: اعلم أيّها القارئ أنّ من أنكر تفخيم الألف فإنكاره صادر عن جهله أو غلط طباعه، أو عدم اطّلاعه، أو تمسّكه ببعض كتب التّجويد التي أهمل مصنّفوها فيها التّصريح بذكر تفخيم الألف»[7].

وبرهن على ذلك بقوله: «والدّليل على جهله أنّه يدّعي أنّ الألف في قراءة ورش: طال وفصالا وما أشبههما مرقّقة وترقيقها غير ممكن لوقوعها بين حرفين مغلّظين. والدّليل على غلط طبعه أنّه لا يفرّق في لفظه بين ألف (قال) وألف (حال) حال التّجويد والدّليل على عدم اطّلاعه أنّ أكثر النّحاة نصّوا في كتبهم على تفخيم الألف»[8] ثمّ ساق نصوص أئمّة اللسان في ذلك.

3-الصّائتان بين الواو والياء:

---

[1]- سر صناعة الإعراب: ابن جني، ج: 01، ص: 50.
[2]- ينظر: شرح الشّافية: الرّضي الأسترآبادي، ج: 03، ص: 255.
[3]- ينظر: الرّعاية: مكّي بن أبي طالب، ص: 52-53.
[4]- ينظر: المصدر نفسه، ص: 53. وشرح الشّافية: الرّضيّ الأسترآبادي، ج: 03، ص: 255.
[5]- النّشر في القراءات العشر: ابن الجزري، ج: 01، ص: 215.
[6]- نهاية القول المفيد في علم تجويد القرآن المجيد: محمد مكّي نصر الجريسي، ص: 93-94.
[7]- النّشر في القراءات العشر: ابن الجزري، ج: 01، ص: 216.
[8] - المصدر السّابق.

وهما عبارة عن مدين تابعين للحركتين البينيتين:

- الكسرة المشوبة ضمّة؛ يقول "ابن جنّي": «وأما الكسرة المشوبة بالضمّة فنحو: قيل، وبيع، وغيض، وسيق، وكما أن الحركة قبل هذه الياء مشوبة بالضم، فالياء بعدها مشوبة بروائح الواو، على ما تقدم في الألف»[1].
- والضّمّة المشوبة كسرا؛ يقول "الرّضي": «تميل فتحة مِن عَمر وضمّة مِن عُمر وكذا إذا كان السّاكن وواوا نحو ابن أمّ مذعور وابن نور، قال سيبويه: "تميل الضّمّة وتشمّها شيئا من الكسرة؛ فتصير الواو مشمّة شيئا من الياء، وتتبع الواو حركة ما قبلها في الإشمام كما تبعت الألف ما قبلها في الإمالة ؛ فإنّ هذا الإشمام هو الإمالة»[2]، وللطّوال أحكام القصار نفسها[3]، غير أنّهما أطول.

4-المد:

المقصود بالمدّ هنا «إطالة الصّوت بحرف من حروف المدّ واللين أو من حروف اللين فقط –فالمراد به هنا: طول زيادة حروف المدّ واللين أو اللين فقط عن مقدارها الطّبيعي الذي تقوم ذواتها بدونه».[4]

واتّفق النّحاة والقرّاء على أنّ للمدّ سببان: لفظيّ، ومعنويّ؛ أمّا اللفظيّ فإمّا أن يكون همزا أو مدّا، أمّا الهمزة فإمّا أن تكون قبل المدّ نحو: آدم، أوتي، خاطئين، وإمّا أن تكون بعده، وهي في ذلك على قسمين: أحدهما أن يكون معها في كلمة واحدة ويسمّى متّصلا نحو: يشاء، أولئك، سيئت، والثّاني: أن يكون حرف المدّ آخر كلمة والهمز أوّل كلمة أخرى ويسمّى منفصلا نحو: بما أنزل، قالوا آمنّا، اتبعوني أهدكم عند من أثبت الياء وسواء كان حرف المدّ ثابتا رسما أم ساقطا منه.

وأمّا السّاكن فإمّا أن يكون لازما وإمّا أن يكون عارضا وهو في قسميه إمّا مدغم أو غير مدغم؛ فالسّاكن اللازم المدغم نحو: الضّالّين، الذّاكرين، والسّاكن العارض المدغم نحو: قال لهم، فيه هدى، والسّاكن اللازم غير المدغم نحو: لام ميم محياي في قراءة من

[1]- سر صناعة الإعراب: ابن جني، ج: 01، ص: 52-53.
[2]- شرح الشّافية: الرّضيّ الأستراباذي، ج: 03، ص: 29.
[3]- ينظر: سرّ صناعة الإعراب: ابن جنّي، ج: 01، ص: 53.
[4]- الإضاءة: علي محمد الضّبّاع، ص: 18.

سكّن الياء، والسّاكن العارض غير المدغم نحو: الرحمن الدين، نستعين، يوقنون[1]، وذكر "ساجِقلي زاده" أنّ «بعضهم بالغ بذكره أنواعا كثيرة للمدّ حتّى أوصلها إلى تسعة وعشرين نوعا، فالمرعشيّ علّق على هذا الاتّجاه بقوله: "الاشتغال بمعرفة تلك الأسامي قليل الجدوى"، وهي ملاحظة ذات قيمة عالية، فهو لم يطلق هذه الدّعوى إلا بعد دراسة لكلّ نوع من تلك الأنواع، فتحقّق له أنّها ترجع إلى الأصل الذي يعتمد عليه المدّ، أي أسبابه وهي مجاورة حروف المدّ للهمزة والسّكون».[2]

وفي أداء المدّ «أجمع الأئمّة على مدّ نوعي المتّصل وذي السّاكن اللازم وإن اختلفت آراء أهل الأداء أو آراء بعضهم في قدر ذلك المد... مع إجماعهم على أنّه لا يجوز فيهما ولا في واحد منهما القصر واختلفوا في مدّ النّوعين الآخرين وهما المنفصل وذو السّاكن العارض وفي قصرهما».[3]

وأمّا السّبب المعنويّ للمدّ فالمبالغة في النّفي لغرض التّعظيم كقولك: "لا إله إلا الله" وفي هذه الحالة يجتمع سببان: المبالغة في التّعظيم والهمز، أو لغرض المبالغة في التّبرئة؛ ويكون بعد النّفي بلا،[4] نحو: ﴿لَا رَيۡبَۛ فِيهِۖ﴾ [سورة آل-عمران/25] ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ﴾ [سورة البقرة/71] وأضاف النّحاة المدّ عند الوقف للتّذكّر[5]، نحو قولك: "أخواك ضربا" إذا وقفت تتذكّر المفعول تريد أن تقول: "أخواك ضربا زيد".

النّون الخفيّة:

ويقال الخفيفة؛ وقال "الرّضي" «إنّ الرّواية عن سيبويه "الخفيفة" قال السّيرافي يجب أن يقال "الخفيّة" لأنّ التّفسير يدلّ عليه، إذ هي نون ساكنة غير ظاهرة مخرجها من الخيشوم فقط، وإنّما تجيء قبل الحروف الخمسة عشر التي تذكر عند ذكر أحوال النّون، قال السيرافي: ولو تكلّف متكلّف إخراجها من الفم مع هذه الخمسة عشر لأمكن بعلاج وعسر».[6]

[1]- ينظر: النّشر في القراءات العشر: ابن الجزري، ج: 01، ص: 313-314.
[2]- جهد المقل: ساجِقلي زاده، ص: 76.
[3]- النّشر في القراءات العشر: ابن الجزري، ج: 01، ص: 314.
[4]- ينظر: النّشر في القراءات العشر: ابن الجزري، ج: 01، ص: 344-345.
[5]- ينظر: الخصائص: ابن جنّي، ج: 03، ص: 125.
[6]- شرح الشّافية: الرضي الأسترآبادي، ج: 03، ص: 254-255.

ويشترط في النّون المخفاة «أن يكون بعدها حرف من حروف الفم ليصحّ إخفاؤها، فإن كان بعدها حرف من حروف الحلق أو كانت آخر الكلام وجب أن تكون الأولى»[1]؛ أي التي من الفم.

إنّ الصّور النّطقيّة آنفة الذّكر ضبطها النّحاة والقرّاء وحفظتها القراءات القرآنيّة من التّغيّر؛ لذا لا نجد في كتب المحدثين لغويّين وقرّاء ومجوّدين ما يخالف حقيقتها الصّوتيّة وطريقة أدائها إضافة ولا نقصانا ولا تغييرا؛ يقول "حنفي ناصف": «الحركات قسمان أصليّة ومتفرّعة. فالأصليّة هي الفتحة والكسرة والضّمّة وهي المصطلح على تصويرها هكذا: ـَ ـِ ـُ ـْ كما قدّمنا.

والمتفرّعة ثلاث اثنتان منها مستحسنتان. أولاهما حركة بين الفتحة والكسرة ينطق بها بدل الفتحة الخالصة في نحو عماد وعالم وبيان وشيبان وباع وخاف وحبلى والضّحى ورحمة وتسمّى فتحة ممالة كما مرّ. والأخرى حركة بين الفتحة والضّمّة ينطق بها في لغة الحجاز بدل الفتحة الخالصة في نحو الصّلاة والزّكاة والحياة كما سبق. وواحدة مستحسنة في موضع مستهجنة في آخر وهي حركة بين الضّمّ والكسر ينطق بها استحسانا بدل الضّمّة الخالصة أو الكسرة الخالصة في نحو قيل وبيع واختير كما سلف واستهجانا بدل الضّمّة الخالصة في نحو ابن بور ومذعور».[2]

ويذهب "عبد الغفّار حامد هلال" إلى أنّ الحركات الفرعيّة لا يمكن وصفها، ومقارنتها بالمعياريّة؛ لأنّ هذا يتطلّب الرّجوع إلى اللهجات العربيّة القديمة، والبحث فيها للوقوف على طبيعة هذه الأصوات، وذلك من الأمور الشّاقّة العسيرة، ولكنّنا نكتفي بما شاع بين القرّاء[3]، وهذا يؤكّد أنّ المحدثين وقفوا على الصّوائت البينيّة (الفرعيّة) كما جاءت عند القرّاء وقدماء النّحاة دون زيادة؛ لبعد عهدهم باللهجات العربيّة النّاطقة بها.

وتركّزت دراسات المحدثين على إسقاط قاعدة "ابن الجزريّ" القائلة: «إنّ الفتحة لا توصف في في ذاتها بتفخيم أو ترقيق إنّما هي تابعة للصّامت قبلها»[4] على الصّائتين الآخرين؛ يقول "كمال بشر": «الفتحة قد تكون مفخّمة أو مرقّقة أو بين التّفخيم

---

[1]- المنح الفكريّة: ملا علي القاري، ص: 95-96.
[2]- حياة اللغة العربيّة: حنفي ناصف، مكتبة الثّقافة الدّينية، مصر، ط: 01، 1423ه/2002م، ص: 21.
[3]- ينظر: أصوات اللغة العربيّة: عبد الغفّار حامد هلال، مكتبة وهبة، مصر، ط: 03، 1416ه/1996م، ص: 118.
[4]- النّشر في القراءات العشر: ابن الجزري، ج: 01، ص: 215.

والتّرقيق. فهي مفخّمة مع أصوات الإطباق، وهي الصّاد والضّاد والطّاء والظّاء. وهي في حالة وسطى بين التّفخيم والتّرقيق مع القاف والخاء والغين، ولكنّها مرقّقة في المواقع الصّوتية الأخرى. فلدينا إذن بحسب النّطق الفعليّ ثلاث صور للفتحة القصيرة ومثلها للفتحة الطّويلة، فهي إذن ستّ صور نطقيّة للفتحة قصيرة وطويلة»[1]، وهو بهذا لم يخرج عمّا جاء به القدماء، غير أنّه أضاف قائلا: «وما قلناه على الفتحة ينطبق على الكسرة والضّمّة (قصيرة وطويلة) فهما مفخّمتان مع أصوات الإطباق وبين التّفخيم والتّرقيق مع القاف والغين والخاء. ولكنّهما مرقّقتان مع الأصوات الأخرى. فلدينا ثلاث كسرات قصار وثلاث طوال وثلاث ضمّات قصار وثلاث طوال»[2]؛ أجرى الضّمّة والكسرة مجرى الفتحة، كما أجرى القدماء الواو والياء مجرى الألف.

ويرى اللغويّون أنّ «هذا التّغيير في صوت اللين غير مقصود لذاته، بل يحتّمه انتقال اللسان من موضعه الأماميّ الضّيّق إلى ما تتطلّبه أصوات الإطباق من صعوده إلى الحنك الأعلى متّخذا شكلا مقعّرا»[3]؛ أي أنّ هذه التّلون في الصّوائت «يأتي بشكل إجباريّ لا اختيار فيه. بمعنى أنّ وضع الآلة المصوّتة (واللسان على الأخصّ) أثناء النّطق بالصّامت الذي يجاوره يحتّم تلوّنه باللون النّطقيّ لهذا الصّامت ويسبغ عليه بعضا من خصائصه النّطقيّة، من حيث موضع اللسان وانتقاله إلى الأمام أو إلى الخلف»[4].

وتوسّع اللغويون المحدثون في الصّور النّطقيّة للصّوائت لتتنوّع عندهم تبعا لما يوضّحه الشّكل الآتي:

[1]- علم الأصوات: كمال بشر، ص: 462.
[2]- المصدر السابق، ص: 462.
[3]- الأصوات اللغويّة: إبراهيم أنيس، ص: 42-43.
[4]- علم الأصوات العام: بسّام بركة، ص: 133-134.

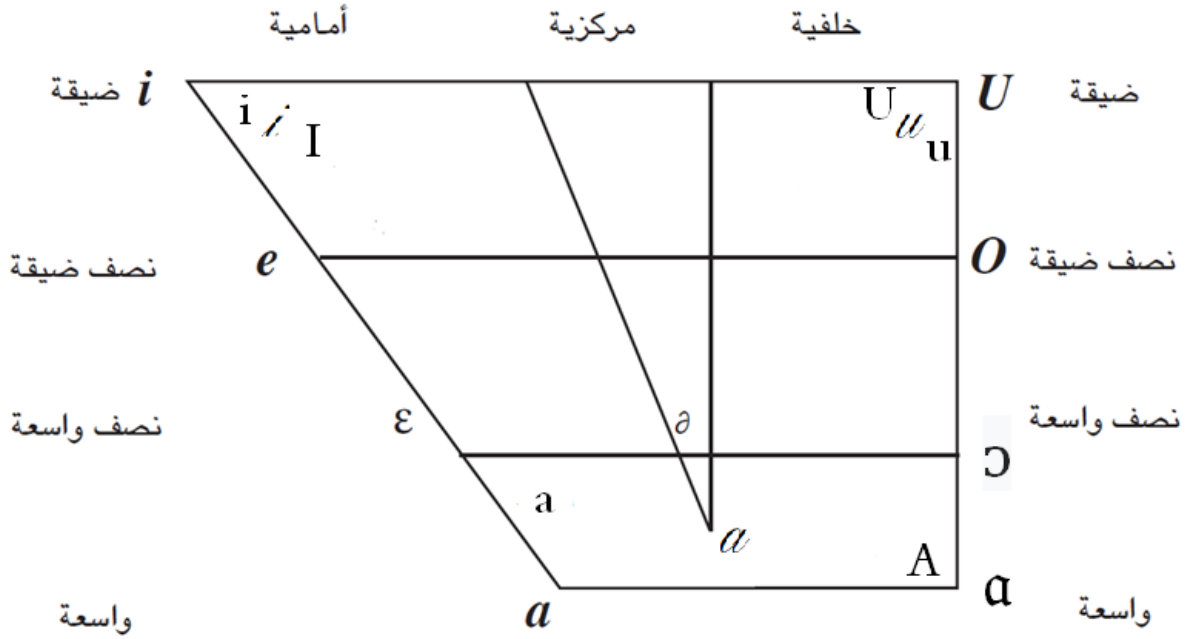

الشّكل رقم (06): رسم تخطيطي يوضّح إسقاط الصّوائت العربيّة على مخطّط دانيال جونز.

أوّلا: الكسرة العربيّة i:

1-الكسرة القصيرة الخالصة المرقّقة i:

تمثّل هذه الصّورة الكسرة العربيّة الأصليّة؛ إذ الأصل في الكسرة التّرقيق، وهذه الصّورة من الياء أقرب ما تكون إلى الحركة المعياريّة رقم (1): i[1]؛ مع فارقين هما:

أ-يكون مقدّم اللسان عند إنتاج الصّائت العربيّ أقلّ ارتفاعا منه عند إنتاج الصّائت المعياري، وهذا ما يجعل من الكسرة العربيّة صائتا منخفضا ولكن بدرجة أقلّ من الصّائت المعياري.

ب-أثناء النّطق بهذا الصّائت العربيّ، تنحو أعلى نقطة في الجزء الأماميّ من اللسان نحو الخلف قليلا، بمعنى أنّ أعلى نقطة في مقدّم اللسان حين النّطق بالصّائت العربيّ تكون خلف أعلى نقطة في هذا الجزء من اللسان حال النّطق بالصّائت المعياري رقم (1): i. فالكسرة إذن صائت أماميّ ولكن ليس بالدّرجة التي يوصف بها هذا الصّائت[2].

2-الكسرة القصيرة المتوسّطة ɪ:

بيّن "محمد جواد النّوري" طبيعة وسياق هذه الحركة فقال: «نعني بها الكسرة التي تصاحب نطق الصّوامت ذات التّفخيم الجزئي في العربيّة، وهي: الخاء والغين والقاف. ويتمّ إنتاج هذه الحركة بالكيفيّة التي يتمّ بها إنتاح حركة الكسر القصيرة المرقّقة، مع فارق يتمثّل في أنّ مقدّم اللسان يكون في وضع أقلّ ارتفاعا نحو الغار، وأكثر رجوعا إلى الخلف منه مع الكسرة القصيرة المرقّقة»[3]؛ والكسرة القصيرة المتوسّطة بهذا الاعتبار توسّطت بين التّرقيق والتّفخيم، ويمكن ان نقول إنّها حركة مفخّمة جزئيّا.

---

[1]- ينظر: الأصوات اللغويّة: عبد الغفّار حامد هلال، ص: 112. وعلم الأصوات العربيّة محمد جواد النّوري، ص: 193.

[2]- ينظر: علم الأصوات: كمال بشر، ص: 466.

[3]- علم الأصوات العربيّة: محمّد جواد النّوي، ص: 194.

3-الكسرة القصيرة المفخّمة I:

تميل الكسرة قليلا نحو ذلك المقياس الذي يرمز له بالرّمز (e) إذا تأثّرت بأصوات التّفخيم وبخاصّة مع حروف الإطباق التي تتطلّب اتّخاذ اللسان شكلا مقعّرا[1]، ووصف "إبراهيم أنيس" هذه الحركة لدى قرّاء مصر فقال: «أمّا نسبة الكسرة كما نسمعها من قرّاء مصر حين يلتزمون قراءة حفص، فهي تشبه كلّ الشّبه ذلك الرّمز الذي يرمز إليه بالرّمز (i)؛ غير أنّه حين تتأثّر بأصوات التّفخيم (الصّاد. الضّاد. الطّاء. الظّاء) وربّما أيضا (الخاء. الغين. القاف) نلحظ ميل هذا الصّوت قليلا نحو ذلك المقياس الذي يرمز إليه بالرّمز (e). ويحدث هذا بصفة خاصّة مع أصوات الإطباق (الطّاء، الظّاء، الصّاد، الضّاد). وهذا التّغيير في صوت اللين غير مقصود لذاته؛ بل يحمله انتقال اللسان من وضعه الأماميّ الضّيّق إلى ما تتطلّبه أصوات الإطباق من صعوده نحو الحنك الأعلى متّخذا شكلا مقعّرا».[2]

وتأثّرا بإطباق الحروف شديدة التّفخيم «يتمّ إنتاجها بالكيفية التي تنطق بها حركة الكسر السّابقة، مع فارق يتمثّل في أنّ مقدّم اللسان يكون أقلّ ارتفاعا نحو الغار، وأنّ أعلى نقطة في الجزء الأمامي من اللسان تبتعد إلى الخلف قليلا بالنّسبة للكسرتين السّابقتين».[3]

ثانيا: الفتحة العربيّة (a):

1-الفتحة القصيرة الخالصة المرقّقة a:

وصف "عبد الغفّار حامد هلال" الفتحة القصيرة المرقّقة فقال: «إذا هبط أقصى اللسان من أقصى ما يمكن أن يصل إليه في الفم بحيث يستوي في قاعه مع انحراف قليل في أقصى اللسان نحو أقصى الحنك، والشّفتان –أيضا- في حالة انفراج تامّ، فإنّه يبرز المقياس الثّاني، ويرمز إليه في اللغات الأجنبيّة بالحرف (a) ويقابل في العربيّة الفتحة المرقّقة قصيرة وطويلة».[4]

---

[1]- ينظر: الأصوات اللغويّة: عبد الغفّار حامد هلال، ص: 117.
[2]- الأصوات اللغويّة: إبراهيم أنيس، ص: 42-43.
[3]- علم الأصوات العربيّة: محمّد جواد النّوي، ص: 194.
[4]- الأصوات اللغويّة: عبد الغفّار حامد هلال، ص: 113.

وبيّن اللغويّون المحدثون أنّ الفتحة القصيرة المرقّقة تقع بين أقصى ما يصل إليه اللسان في صعوده، وهبوطه، على مرحلتتن صوتيتين يتكوّن عند كلّ منهما صوت لين خاص، فاللسان في هبوطه من وضع (i) إلى وضع (a) ينتج صوتين رمز لهما بالتّدريج e، ɛ. ويماثل الصّوت الأوّل في العربيّة الفتحة الطّويلة إذا أميلت إمالة خفيفة، ويماثل الثّاني تلك الحركة إذا أميلت إمالة شديدة وكذلك الكسرة المفخّمة.[1]

وأشاروا إلى أنّهم اعتمدوا في وصفهم على ما شاع بين القرّاء، يقول :"إبراهيم أنيس": « أمّا أصوات اللين الممالة فنكتفي هنا بقياس الفتحة الممالة نحو الكسرة، وتلك هي اللغة الشّائعة في اللهجات العربيّة قديمها وحديثها، والتي استحقّت كلّ العناية من جمهور القرّاء. فإذا كانت الإمالة شديدة، أمكن أن تكون الفتحة قريبة الشّبه بالمقياس (e). أمّا في الإمالة الخفيفة فيظهر أنّ الفتحة حينئذ تشبه إلى حدّ كبير المقياس(ɛ)».[2]

وتوصف الفتحة بأنواعها بالاتّساع، إلا إذا كانت ممالة إمالة شديدة[3]؛ فحينئذ تشبه إلى حدّ كبير الكسرة المفخّمة، فتخرج بقربها الشّديد فتضيق. و«عند النّطق بهذه الحركة، تكون أعلى نقطة في اللسان أماميّة، وبعيدة عن الغار، كما أنّ الفم، مع هذه الحركة، يكون مفتوحا بنسبة أكبر من نسبة فتحه مع حركة الكسرة السّابقة، وتقع هذه الحركة بين الحركتين المعياريتين رقم: (3) ورقم (4)؛ أي أنّها حركة وسط بين الحركة الأمامية نصف الواسعة، والحركة الأماميّة الواسعة، ومن أمثلتها حركة الفتحة القصيرة في كلمة مَن وكلمة: سأل، وغيرها».[4]

2-الفتحة القصيرة المتوسّطة a:

عرّف "محمد جواد النّوري": هذه الحركة فقال: «نعني بها الحركة التي تصاحب نطق الصّوامت ذات التّفخيم الجزئي. ويتمّ إنتاجها بحيث يكون الجزء الأوسط من اللسان، تقريبا، هو الجزء الفعّال في عمليّة نطق هذه الحركة، ومن أمثلتها: حركة الفتحة القصيرة المتوسّطة في كلمة: غلب، وكلمة: خيال، وغيرهما»[5]، والصّوائت ذات التّفخيم الجزئي هي: الغين، والخاء، والقاف، كما سبقت الإشارة.

---

[1]- ينظر: المصدر نفسه، ص: 113.
[2]- الأصوات اللغويّة: إبراهيم أنيس، ص: 43. وينظر: الأصوات اللغويّة: عبد الغفّار حامد هلال، ص: 113.
[3]- ينظر: نفسه، ص: 43. ونفسه، ص: 118.
[4]- علم الأصوات العربيّة: محمد جواد النّوري، ص: 195.
[5]- المصدر السابق.

3-الفتحة القصيرة المفخّمة A:

تتأثّر الفتحة بالأصوات المفخّمة فتنحو نحو المقياس (ɑ)[1]، وبيّن "محمّد جواد النّوري" أنّ الفتحة إذا تأثّرت بالأصوات شديدة التّفخيم (الأصوات المطبقة) فإنّها تكون أقرب ما يكون إلى الحركة المعياريّة رقم (5): (ɑ)؛ فقال: «ترد هذه الفتحة مصاحبة للصّوائت المفخّمة تفخيما كلّيا، وعند النّطق بها تكون أعلى نقطة في اللسان خلفيّة، وبعيدة عن الطّبق، كما أنّ الفم يكون مفتوحا، وتكون الشّفتان غير مستديرتين. وتعدّ هذه الحركة أقرب الحركات العربيّة إلى الحركة المعياريّة رقم (5)، إلا أنّ الجزء الخلفيّ من اللسان يكون أكثر ارتفاعا، كما أنّ أعلى نقطة من هذا الجزء الخلفيّ من اللسان تكون مقدّمة بالقياس إلى الحركة المعياريّة رقم (5). ومن أمثلتها حركة الفتحة المفخّمة، في كلمة: صبيح، وكلمة: طريق، وغيرهما».[2]

ثالثا: الضّمّة العربيّة u:

1-الضّمّة القصيرة الخالصة المرقّقة u:

بيّن اللغويّون أنّ هذه الصّورة لنطق الضّمّة تمثّل الصّوت الأصلي لنطق هذه الحركة وأشاروا أنّه «عند النّطق بهذه الحركة، يرتفع الجزء الخلفيّ من اللسان تجاه المنطقة الخلفيّة من سقف الحنك الأعلى؛ وهي منطقة الطّبق، دون أن يؤدّي هذا الارتفاع إلى إعاقة مجرى الهواء، أو إحداث احتكاك من أيّ نوع؛ إذ لو تمّ ذلك، وارتفع اللسان أكثر نحو الطّبق؛ لسمع، بسببه حفيف مسموع، وكانت النّتيجة حدوث صوت الواو (w)»[3]، فهي بهذا التّوصيف أقرب ما تكون إلى الحركة المعياريّة رقم (8)، «أو هي مثلها مع فرقين:

- **الأوّل:** أنّ الجزء الخلفي من اللسان حين النّطق بالضّمّة العربيّة يكون أقلّ ارتفاعا منه مع المعياريّة رقم (8)، فالضّمّة العربيّة حركة ضيّقة ولكن ليس بالدّرجة التي تصل إليها المعياريّة في ذلك.
- **الثّاني:** أعلى نقطة في هذا الجزء الخلفي من اللسان تنحو نحو الأمام قليلا، أو بعبارة أخرى، إنّ أعلى نقطة في الجزء الخلفيّ من اللسان مع الحركة

[1]- ينظر: الأصوات اللغويّة: إبراهيم أنيس، ص: 43.
[2]- من لسانيات اللغة العربية-علم الأصوات: محمد جواد النّوري، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط: 01، 1440ه/2018م، ص: 278-280.
[3]- علم الأصوات العربيّة: محمد جواد النّوري، ص: 196.

العربيّة (الضّمّة) تكون أمام أعلى نقطة في هذا الجزء نفسه حال النّطق بالمعياريّة رقم (8). ومع ذلك فالضّمّة العربيّة حركة خلفية، ولكنّها لا تبلغ مبلغ المعياريّة رقم (8) في هذا الشّأن».[1]

2-الضّمّة القصيرة المتوسّطة ʊ:

تماما كأختيها في التّوسّط ترد هذه الحركة مصاحبة للصّوامت ذات التّفخيم الجزئي، التي ذكرناها غير مرّة. ويتمّ إنتاجها بالكيفيّة التي يتمّ بها إنتاج الضّمّة القصيرة المرقّقة غير أنّها؛ أي الضّمّة المتوسّطة، أكثر خلفية، وأقلّ ضيقا منها، ومن أمثلة ذلك الضّمّة القصيرة المتوسّطة في كلمة: خلفاء، وكلمة غراب.[2]

3-الضّمّة القصيرة المفخّمة U:

تتأثّر الضّمّة بالصّوائت المفخّمة فتنحو نحو المقياس (o)، يقول "محمد جواد النّوري": «تعدّ هذه الحركة، أكثر قربا إلى الحركة المعياريّة رقم (7) منها إلى الحركة المعياريّة رقم: (8) وإن كانت تختلف عن الحركة المعياريّة رقم (7) في أنّ الجزء الخلفيّ من اللسان يكون معها أكثر ارتفاعا نحو الطّبق».[3]

وفي شرحه لآلية إنتاج هذه الصّورة النّطقيّة يقول: «ترد هذه الحركة مصاحبة للصّوامت المفخّمة تفخيما كلّيا، وهي، كما ذكرنا غير مرّة، الصّاد، والضّاد، والطّاء والظّاء، ويتمّ إنتاجها بالكيفيّة التي يتمّ بها إنتاج الحركة السّابقة، إلا أنّها أكثر خلفيّة، وأقلّ ضيقا منها. ومن أمثلتها حركة الضّمّة المفخّمة في كلمة: طموح، وكلمة: صعود».[4]

أمّا "إبراهيم أنيس" فيرى أنّ الضّمّة لا تتأثّر بالأصوات المستعلية؛ يقول: «أمّا الضّمّة العربيّة فهي تنطبق تمام الانطباق على المقياس الذي يرمز إليه بالرّمز (u) غير متأثّرة بالأصوات المستعلية»[5]، وهو بهذا يخالف "كمال بشر" ومن تبعه فيما يخصّ تفخيم الضّمّة.

---

[1]- علم الأصوات: كمال بشر، ص: 466-467.
[2]- ينظر: علم الأصوات العربيّة: محمد جواد النّوري، ص: 197.
[3]- من لسانيات اللغة العربية-علم الأصوات: محمد جواد النّوري، ص: 280-283.
[4]- علم الأصوات العربيّة: محمد جواد النّوري، ص: 167.
[5]- الأصوات اللغويّة: إبراهيم أنيس، ص: 43.

ويرى بعض الباحثين أنّه حين يوجد صوت صامت مفخّم في داخل المقطع فالمقطع كلّه خاضع للتّفخيم ثمّ يمتدّ هذا التّفخيم إلى المقاطع المجاورة[1]؛ وهذا يوافق قياس "زيد خليل فلاح القرالة" تأثير الأصوات المستعلية في تفخيم الصّوائت على تأثير الرّاء المكسورة في إمالتها لها؛ حيث ذهب إلى أنّ التّفخيم لا يتوقّف في درجته على طبيعة الصّامت للحركة بل يتأثّر بطبيعة الصّامت المجاور، بل وتتأثّر درجة التّفخيم بطبيعة الصّائت نفسه[2]؛ وهذا راجع إلى الخصائص الصّوتيّة المتمايزة للصّوائت.

أمّا الصّور النّطقيّة للصّوائت الطّوال فذهب المحدثون فيها مذهبين: منهم من عاد إلى الحروف الفرعيّة (ألف الإمالة وهمزة التّفخيم) وشرحها[3]، ومنهم من رأى أنّ لكلّ صورة نطقية من الصّور السّابقة والخاصّة بالصّوائت القصار نظير طويل لا يختلف عنها إلا في صفة الطّول، أو الكمّيّة[4]؛ على مذهب "ابن جنّي" الذي رأى أنّ المدّ بعد هذه الصّوائت الفرعيّة امداد لها.[5]

النّون:

والمقصود هنا النّون المخفاة التي عدّها اللغويّون القدامى صوتا مستقلا يحمل اسم النّون لمشابهته النّون الفمويّة في الخصائص الصّوتيّة، «هذه النّون قال سيبويه عن مخرجها "ومن الخياشم مخرج النّون الخفيفة" ولا عمل للسان في هذه النّون. وبالخبرة نعرف أنّ اللسان يبقى في نطق النّون المخفاة ممتدّا في وسط تجويف الفم أي يرتفع قليلا فلا يصل إلى سقف الحنك ولا يرقد في قاعه، وهي في صفاتها كالنّون المظهرة (أمّا في الإدغام بغنّة فإنّ اللسان يرتفع أكثر من ذلك لكنّ اللسان لا يصل إلى سقف الحنك)».[6]

رأى المحدثون أنّ النّون صوت واحد خلافا للقدامى «ولكنّ هذه النّون من أكثر الأصوات العربيّة الصّامتة قابليّة للتّغيير في الأداء النّطقي الفعلي. إنّ سماتها الأصليّة قد

---

[1]- ينظر: في الأصوات اللغويّة دراسة في أصوات المدّ العربيّة: غالب فاضل المطلبين ص: 51.
[2]- ينظر: الحركات في اللغة العربيّة دراسة في التّشكيل الصّوتي: أطروحة جامعية لنيل شهادة الماجيستير في اللغة العربيّة وآدابها/ إعداد: زيد خليل فلاح القرالة، كلّية الدّراسات العليا في الجامعة الأردنية، 1994م، الأردن، ص: 58.
[3]- ينظر: المحيط: الأنطاكي: ص: 42 وما بعدها. واللغة العربيّة معناها ومبناها: تمام حسان، دار الثّقافة، المغرب، 1994م، ص: 53. والأصوات العربيّة المتحوّلة وعلاقتها بالمعنى: عبد المعطي نمر موسى، ص: 168 وما بعدها.
[4]- ينظر: من لسانيات اللغة العربية-علم الأصوات: محمد جواد النّوري، ص: 276 وما بعدها
[5]- ينظر: سر صناعة الإعراب: ابن جنّي، ج: 01، ص: 52 و53.
[6]- المختصر في أصوات اللغة العربيّة: محمد حسن جبل، ص: 112.

يشوبها شيء من التّغيير بحسب السّياق الذي تقع فيه، فتظهر لها صور فرعيّة، أو تنوّعات مختلفة. يظهر هذا بوجه خاص إذا وقعت ساكنة متلوّة بأصوات مثل القاف والياء والجيم إلخ في نحو "من قال-من يك-من جاء"».[1]

الصّور النّطقيّة جميعها تنتج عن تأثّر جزئيّ بأصوات مجاورة، وإذا كان الصّوت المجاور قويّا كفاية للتّأثير في الحركات الإعرابيّة، فإنّه يقلبها إلى حركة أخرى أكثر مناسبة.

[1]- علم الأصوات: كمال بشر، ص: 349.

المبحث الثّاني: إبدال* العلامات الإعرابيّة:

كثيرا ما تجاوز تأثّر الأصوات بعضها ببعض حدّ نشوء صوت فرعيّ مختلط إلى إبدالها صوتا آخر، وهذه ظاهرة تطرّق إليها اللغويّون وهم يعالجون الميزان الصّرفي؛ فحدّدوا صيغ الأفعال وصيغ الأسماء وبنوا الفروق الدّقيقة بين كلّ صيغة وأخرى تحت ما سمّوه بمعاني حروف الزّيادة، وحروف الزّيادة في الواقع هي اللواصق التي تكسب البنية دلالة إضافيّة مع المعنى الأصليّ.

ويرى " محمّد حماسة عبد اللطيف" أنّ نظرة اللغويّين إلى البنى انطلاقا من الميزان الصّرفيّ اطّردت، واستقامت لهم لأنّ طبيعة اللغة مواتية لهذا الفهم واحتجّ لذلك بتصنيف المعاجم العربيّة بحيث تذكر المادّة اللغويّة المكوّنة من ثلاثة أصوات أو حروف على الأقلّ ويندرج تحت هذه المادّة جميع الصّيغ الممكن أو قل جميع القوالب التي يمكن أن تصبّ فيها هذه المادّة الصّوتيّة الثّلاثيّة لتشكّل بأشكال مختلفة تتفق في معنى أساسيّ ويفترق بعضها عن بعض بفروق دقيقة مضافة إلى المعنى الأساسيّ عن طريق اختلاف الصّيغ أو المقاييس أو الأبنية أو الموازين وإن شئت عن طريق المورفيمات أو اللواحق الصّرفيّة بمعناها الأعمّ.[1]

وإذا ما سأل أحدهم عن تلك البُنى كيف عرفوا الأصل منها وما تفرّع، يجيبب "ابن جنّي" في باب في "الخصائص" أسماه "باب في مراتب الأشياء، وتنزيلها تقديرا وحكما لا زمانا ووقتا" بأنّها افتراضات واعتقادات وتخيّلات، وشرح ذلك فقال: «وإنّما معنى قولنا: إنّه كان أصله كذا: أنّه لو جاء مجيء الصّحيح ولم يعلّل لوجب أن يكون مجيئه على ما ذكرنا. فأمّا أن يكون استعمل وقتا من الزّمان كذلك، ثمّ انصرف عنه فيما بعد إلى هذا اللفظ فخطأ لا يعتقده أحد من أهل النّظر».[2]

وفي العصر الحاضر جرت محاولات لتعليل مسألة الإعلال على يد دارسين عرب وأجانب، وهي:

---

*- استعملنا في العنوان مصطلح الإبدال لعمومه بحيث يشمل إعلال الحركات وإبدال النّون، وإلا فإنّ الصّوائت غالبا يستعمل للدّلالى على إبدالها مصطلح الإعلال.

[1]- ينظر: ظاهرة الإعلال في اللغة العربيّة بين القدماء والمحدثين: محمّد حماسة عبد اللطيف، مجلّة مجمع اللغة العربيّة، الجزء الثّامن والأربعون، محرّم 1406/نوفمبر 1981، ص: 165.

[2]- الخصائص: ابن جنّي، ج: 01، ص: 257.

- **الرّأي الأوّل:** رأى فريق من علماء السّاميات أنّ الأفعال المعتلّة ذات أصول ثنائيّة وليست ثلاثيّة وأنّ أصل (قال) هو (قَلَ) وأصل (يقول) هو (يقُل) وإنّما جاءت الألف في (قال) والواو في (يقول) من إطالة الصّوت الدّاخليّ القصير –أي حركة القاف- ممّا جعل هذه الأفعال تدخل في نظام الفعل الثّلاثي.
- **الرّأي الثّاني:** قال به بعض علماء السّاميات ولا يبتعد كثيرا عن موقف علماء الصّرف العرب. لقد رأى هذا الفريق أنّ الأفعال المذكورة كانت منذ البدء ثلاثية وأنّ المصوّتات الطّويلة (حروف العلّة) فيها جاءت نتيجة القلب أو الحذف: إنّ أصل (قال) هو (قَوَلَ) وأصل (قيل) هو (قُولِ) وأصل (يقول) هو (يقْوُل). وواضح أنّ كلا الفريقين قد اعتمد على الظّنّ والتّخمين وأنّ نظرياتهم لم تخرج عن كونها محض افتراض قد يصحّ وقد لا يصحّ، ولذلك لا يمكن الرّكون إلى أقوالهم مهما أظهرت من الحذق والاتّساق المنطقيّ.
- **الرّأي الثّالث:** أخيرا جرت محاولة ثالثة على يد "عبد الصّبور شاهين" جمع فيها بين الرّأيين السّابقين واقترب بذلك كثيرا من الحقيقة. لقد وجد أنّ أصل (قال) هو (قول) وإنّما سقطت الواو في الأصل ممّا أدّى إلى التحام المصوّتين القصيرين –الفتحة على القاف والفتحة التي على الواو- في مصوّت طويل واحد هو الألف باعتبار أنّ المصوّت الطّويل يعادل مصوّتين قصيرين.[1]
- **الرّأي الرّابع:** خالف "أحمد الحمّو" سابقيه في اعتمادهم الأصل الثّلاثي للأفعال المعتلّة؛ محتجّا بأنّ اللسانيات الحديثة تخالف الدّرس اللغويّ العربيّ في منهجيّة التّعامل مع هذه الظّاهرة أعني الإبدال والإعلال، إذ رفضوا بناء قواعد اللغة على ما هو خارج اللغة أو ليس منها، فكيف إذا كان قائما على مجرّد وهم أو افتراض[2]، ولذلك رأى أنّ كل بناء جاءت عليه الكلم هو أصل، وبملاحظته لتصريف الفعل (قال) لاحظ تكرار المقطع (قل) مع جميع الضّمائر تقريبا فذهب إلى أنّه الأصل وتضاف إليه لواحق تدلّ على

[1]- ينظر: محاولة ألسنية في الإعلال: أحمد الحمو: ص: 171.
[2]- ينظر: المصدر نفسه، ص: 170.

الشّخص والعدد والجنس[1]، وصاحب هذا الرّأي فيما يبدوا ينظر إلى اللغة نظرة وصفيّة محضة تبعده عن التّأويل وبالتّالي ينكر الإعلال والإبدال.

ويبدوا أنّ أكثر رأي يجمع بين نظريات العرب واللسانيات الحديثة: الرّأي الثّالث؛ حيث قدّم تعليلات صوتيّة للظّاهرة، بينما اتّكأ الرّأيين الأوّلين على الكتابة، وهذه نقطة الاختلاف بين اللسانيات الحديثة والدّرس اللغويّ التّقليديّ؛ إذ «تمتار الألسنيّة الحديثة على علم القواعد التّقليدي في نظرتها إلى اللغة باعتبارها في المقام الأوّل أصواتا لغويّة تألّفت ضمن نسق معيّن، وهذه الصّفة الصّوتيّة للغة هي التي تحضى باهتمام الباحثين الألسنيّين. أمّا الكتابة فهي أمر طارئ على اللغة وحديث العهد نسبيّا».[2]

وفيما يلي عرض للظّواهر الثّلاثة للإعلال بين الدّرس التّقليدي واللسانيات الحديثة ممثّلة في رأي "عبد الصّبور شاهين":

I. الإعلال بالقلب:

أوّلا: مواضع قلب الواو والياء همزة:

1- إذا تطرّفتا ووقعتا بعدد ألف زائدة:

تقلب الواو والياء همزة إذا تطرّفتا بعد ألف زائدة وهو الظّاهر من كلام "ابن مالك":

..... فَأَبْدِلِ الهَمْزَةَ مِنْ واوٍ وَيا

آخِرا إثْرَ أَلِفٍ زيـــــــدَ... .....[3]

وذهب "ابن عصفور" إلى أنّ حروف العلّة تقلب ألفا في مثل كساء وسقاء؛ وأصلها كساو من كسوت وسقاي من سقيت، قلبتا ألفا «لوقوعهما في محلّ التّغيير -وهو الآخر- مع أنّ ما قبلهما مفتوح، وليس بين الفتحة وبينهما إلا حرف ساكن زائد من جنس الفتحة. فكأنّه لم يقع بينهما وبين الفتحة حاجز. فكما أنّ الياء والواو يقلبان إلى الألف، إذا انفتح ما قبلهما وكانا في الطّرف، فكذلك قلبا في هذا الموضع»[4]، فتصبحان: كسااا

[1]- ينظر: المصدر السّابق، ص: 173.
[2]- المصدر نفسه، ص: 167.
[3]- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفيّة ابن مالك: المرادي ، ص: 1565.
[4]- الممتع: ابن عصفور، ص: 348.

وسقاا؛ وللالتقاء السّاكنين تقلب الألف الثّانية حرفا قابلا للحركة ولا مجال لقلبهما واوا وياء لأنّه إنّما فُرّ منهما؛ فقلبتا همزة. وتشاركهما في ذلك الألف في نحو: حمراء[1]، إذ الأصل فيها حمرى ككسرى فزيدت الألف قبلها للمد، فأبدلت الثّانية همزة.[2]

2-إذا وقعتا عينا لاسم فاعل:

تبدل الياء والواو همزة إذا وقعت عينا لاسم فاعل لفعل معتلّ العين[3]، قيل: بل أبدلتا ألفا وهو رأي الأكثرين ولالتقاء ألفين «وهما ساكنان فحرّكت العين لأنّ أصلها الحركة، والألف إذا تحرّكت صارت همزة»[4]؛ وإذا صح حرف العلّة في الفعل صحّ في اسم الفاعل نحو: عور عاور[5]؛ ومثال ما أعلّت عينه همزة عن واو: قائل، ومثاله عن ياء: بائع؛ الأصل فيهما قاول وبايع قلبتا ألفا حملا على الفعل؛ ولالتقاء السّاكنين أعلّت الألف الثّانية حرفا قابلا للتّحريك ولا مجال لقلبها واوا أو ياء إذ نُفر منهما فقلبت همزة، فتقول: قائل، وبائع.

3-إذا وقعتا بعد ألف مفاعل، وشبهه (صيغة منتهى الجموع)، وقد كانتا مدّتين زائدتين في المفرد:

وذلك نحو: صحيفة وعجوز وتشاركهما الألف في نحو قلادة إذا جمع نحو ذلك ممّا ثالثه ألف زائدة على مثال مفاعل نحو قلائد وصحائف وعجائز أبدلت الألف الزّائدة فيهنّ همزة[6]؛ وتعليل ذلك «أنّك لمّا جمعت قلادة على مفاعل وقعت ألف الجمع ثالثة ووقع بعدها ألف قلادة فاجتمع ألفان فلم يكن بدّ من حذف إحداهما أو تحريكها فلو حذفوا الأولى فاتت الدّلالة على الجمع ولو حذفوا الثّانية تغيّر بناء الجمع لأنّ هذا الجمع لابدّ أن يكون بين ألفه وحرف إعرابه حرف مكسور ليكون كمفاعل والألف إذا حرّكت قلبت

[1]- ينظر: حاشية الصّبّان، ج: 04، ص: 399.
[2]- ينظر: المصدر نفسه، ج: 04، ص: 399.
[3]- ينظر: الممتع: ابن عصفور، ص: 218.
[4]- حاشية الصّبّان، ج: 04، ص: 403.
[5]- ينظر: الممتع: ابن عصفور، ص: 218.
[6]- ينظر: توضيح المقاصد والمسالك: المرادي، ص: 1569.

همزة ثمّ شبّهت واو عجوز وياء صحيفة بألف قلادة لسكونهما إثر حركة من جنسهما كالألف...».[1]

4-أن تقعا ثانية حرف لين بعد ألف (مفاعل):

فإذا وقعت ألف التّكسير بين حرفي لين وجب إبدال ثانيهما همزة شرط ألا يفصل من الطّرف؛ و«لو فصل بمدّة ظاهرة نحو طواويس، أو مقدّرة كقول الرّاجز":

..... وَكَحَّلَ العَيْنَيْنِ بِالعَواوِرِ

يريد العواوير، لأنّه جمع عوّار –وهو الرّمد- فحذف الياء ضرورة، فهذا مفصول عن الطّرف تقديرا ولو اضطرّ شاعر ففصل بمدّة زائدة في مثال مفاعل لم يتعدّ بها ووجبت الهمزة كقوله:

..... فيها عَيائيلُ أَسودٌ وَنُمُر

وهو عكس عواور»[2]؛ ومثال ما أعلّ من هذا أوائل عن واو وبوائع عن ياء؛ أبدلت الواو والياء ألفا، ثمّ أبدلت الثّانية همزة لالتقاء السّاكنين.

ولخّص "الرّضيّ" هذا الباب؛ قال: «كلّ ما في هذا الفصل قد تقدّم ذكره بتعليله، وقول النّحاة في هذا الباب: تقلب الواو والياء همزة، ليس بمحمول على الحقيقة، وذلك لأنّه قلبت العين ألفا ثمّ قلبت الألف همزة، فكأنّه قلبت الياء والواو همزة».[3]

أمّا "عبد الصّبور شاهين" فيرى أنّ الهمزة في الحالات السّابقة ضرب من تصحيح المقاطع، ولاحظ أنّ «الواو والياء قد جاءت كلّ منهما في سياق صوتيّ واحد، رغم اختلاف القواعد. فالواو والياء قد وقعتا بعد فتحة طويلة، زائدة، في المواضع الأربعة، وعلى ذلك فإنّ سبب وجود الهمزة في أمثلتها واحد، وما تعدّد القواعد سوى عمليّة تصنيف للأمثلة فيما نرى. فمن الممكن إذن القول بأنّ الواو أو الياء إذا وقعت إحداهما بعد فتحة طويلة، زائدة، سقطت وحلّت محلّها الهمزة».[4]

---

[1]- حاشية الصّبّان، ج: 04، 404.
[2]- توضيح المقاصد والمسالك: المرادي، ص: 1571-1572.
[3]- شرح الرّضي على كافية ابن الحاجب: ، ج: 03، ص: 127.
[4]- المنهج الصّوتي للبنية العربيّة –رؤية جديدة في الصّرف العربي: عبد الصّبور شاهين، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، 1400ه/1980م، ص: 176-177.

وميّز بين الحالة الأولى حيث الوقوف عليه؛ ففسّره قائلا: «وفي أمثلة القاعدة الأولى يمكن تفسير الهمزة بخاصّة الوقف العربيّ، الذي لا يكون على حركة في مثل: كساو Kisaa-u، فحذفت الضّمّة المولّدة للواو، بازدواجها مع الفتحة الطّويلة، وأقفل المقطع بصوت صامت، وهو الهمزة، التي تستعمل هنا قفلا مقطعيّا، تجنّبا للوقف على مقطع مفتوح»[1]. وبين الحالات الثّلاث الباقية؛ إذ «في أمثلة القواعد الثّلاثة الباقية فإنّ المقطع الأخير في (قا/ول – با/يع – عجا/وز – صحا/يف – نيا/يف)- يبدأ بحركة مزدوجة، تالية لحركة طويلة، وهذا ضعف في البناء المقطعي، فسقط الانزلاق، وحلّت محلّه الهمزة النّبريّة، كوسيلة صوتيّة لتصحيح المقاطع، لا على سبيل الإبدال، لعدم وجود العلاقة المبيحة له»[2]، والملاحظ في هذا الضّرب من الإعلال وجوده في المقطع الأخير من الكلم.

وتختصّ الواو بقلبها همزة:

1-إذا تصدّرت وذلك إذا كانت الواو قبل الواو متحرّكة مطلقا:

يقول "سيبويه": «إذا التقت الواوات أوّلا أبدلت الأولى همزة، ولا يكون فيها إلا ذلك، لأنّهم لمّا استثقلوا التي فيها الضّمّة فأبدلوا، وكان ذلك مطّردا، إن شئت أبدلت وإن شئت لم تبدل، لم يجمعوا في الواوين إلا البدل، لأنّهما أثقل من الواو والضّمّة. فكما اطّرد البدل في المضموم كذلك لزم البدل في هذا»[3]، وذلك نحو أواصل، وأصلها وواصل.

2-إذا كانت متحرّكة والثّانية ساكنة متأصّلة الواويّة:

شرح "ابن جنّي" هذه الحالة بقوله: «إن كانت الواو الثّانية من أصل الكلمة همزت الأولى لا محالة. ألا ترى إلى قولهم "الأولى" في تأنيث "أوّل"، ألزموه الهمز؛ لأنّ الواو الثّانية، عين الفعل بمنزلة الصّاد من "القصوى" والنّون من "الدّنيا" وليست منقلبة عن ألف»[4]؛ فاستثقل تلازم الواو الأولى والسّاكنة الثّانية، فقلبت الأولى همزة.

---

[1]- المصدر نفسه.
[2]- المصدر نفسه.
[3]- الكتاب: سيبويه، ج: 04، ص: 333.
[4]- المنصف: ابن جنّي، ج: 01، ص: 219.

ويرى "عبد الصّبور شاهين" أنّه «لا يصحّ أن يقال: إنّ هذا النّوع من الكلمات اجتمعت فيه واوان، بل هي واو، وحركتها، وهو ما ينفي أصلا القول بأنّ الواو ساكنة، فهي حركة في ذاتها كما أكّدناه مرارا».[1]

ليخلص هذا الأخير إلى «أنّ هذه المسألة بصورتيها ممّا ثبتت به وجهة نظرنا إلى وظيفة الهمز في الكلام، فقد تعرّضت هذه الكلمات وأشباهها لصعوبة البدء بحركة مزدوجة، وهو ما تتجنّبه العربيّة كما سبق أن قلنا، فجيء بالهمزة في موقعها هذا تصحيحا لبداية المقطع، حتّى يصير عربيّا سليما، وأمارة على أنّ النّبر في اللغة قد يتّخذ صورة الضّغطة الحنجريّة».[2]

وتبدل الهمزة من الواو جوازا في موضعين:

1-إذا كانت مضمومة ضمّا لازما غير مشدّد:

نحو قولهم في وُجوه: أُجوه، وفي وُلد: أُلد؛ وعلّل "سيبويه" هذا القلب فقال: «إنّما كرهوا الواو حيث صارت فيها ضمّة كما يكرهون الواوين فيهمزون نحو قؤول ومؤونة. وأمّا الذين لم يهمزوا فإنّهم تركوا الحرف على أصله، كما يقولون: قوول فلا يهمزون. ومع ذلك أنّ هذه الواو ضعيفة تحذف وتبدل، فأرادوا أن يضعوا مكانها حرفا أجلد منها. ولمّا كانوا يبدلونها وهي مفتوحة في مثل وَناة وأَناة، كانوا في هذا أجدر أن يُبدلوا حيث دخله ما يستثقلون، فصار الإبدال فيه مطّردا حيث كان البدل يدخل فيما هو أخفّ منه».[3]

2-إذا كانت مكسورة في أوّل الكلمة:

ذهب "سيبويه إلى أنّ «أناسا كثيرا يجرون الواو إذا كانت مكسورة مجرى المضمومة، فيهمزون الواو المكسورة إذا كانت أوّلا، كرهوا الكسرة فيها، كما استثقل في يَيْجَل وسيّد وأشباه ذلك. فمن ذلك قولهم: إسادة وإعادة».[4]

[1]- المنهج الصّوتي للبنية العربيّة: عبد الصّبور شاهين، ص: 179.
[2]- المصدر نفسه، ص، 178.
[3]- الكتاب: سيبويه: ج: 04، ص: 331.
[4]- المصدر نفسه، ج: 04، ص: 331.

وذكر "سيبويه" حالات لإبدال الواو همزة إذا كانت مفتوحة في أوّل الكلمة حيث قالوا: وَجَم وأَجَم، ووَناة وأَناة. وقالوا أَحَد وأصله وَحَد، لأنّه واحد. أبدلوا الهمزة لضعف الواو عوضا لما يدخلها من الحذف والبدل. وليس ذلك مضطردا في المفتوحة.[1]

[1]- ينظر: الكتاب: سيبويه، ج: 04، ص: 331.

وتبدل الهمزة من الياء جوازا في موضع واحد:

1-إذا وقعت الياء بعد ألف، وقبل ياء مشدّدة:

وذلك نحو: غائيّ ورائيّ: في النّسبة لغاية وراية[1]، وإنّما قلبها من قلب لزوال التّاء؛ فلولا التّاء في هذا الباب لانقلبت الياء والواو فيهما همزتين[2]، أمّا من لم يقلب فالرّاجح أنّه أجرى ياء النّسب مجرى تاء التّأنيث المربوطة؛ فلم يقلب.

ثانيا: مواضع قلب الهمزة ياء أو واوا:

1-في باب الجمع الأقصى (مفاعل):

في هذا الباب موضعين تسهّل فيهما الهمزة، الأوّل قبل ألف الجمع والثّاني بعده؛ فأمّا الأوّل: إذا كانت قبل الألف في الجمع الذي لا نظير له في الآحاد، بشرط أن يكتنف ألف الجمع همزتان، نحو ذوائب، في جمع ذؤابة. أصله "ذآئب"، فأبدلت الهمزة واوا هروبا من ثقل البناء، مع ثقل اجتماع الهمزتين والألف، لأنّ الألف قريبة من الهمزة لأنّها من الحلق، كما أنّ الهمزة كذلك. فكأنّه قد اجتمع في الكلمة ثلاث همزات، فالتزموا لذلك إبدال الهمزة واوا.[3]

وأمّا الثّاني الواقع بعد ألف الجمع ففصّله "المرادي" بقوله: «المراد الهمز المبدل ممّا بعد ألف الجمع المشاكل مفاعل في النّوعين –أعني ما استحقّ الهمز لكونه مدّا مزيدا في الواحد، وما استحقّ الهمز لكونه ثاني ليّنين اكتنفا مدّ مفاعل، فيجب في هذين النّوعين إذا اعتلّت لامهما أن يخفّفا بإبدال كسرة الهمزة فتحة، ثمّ إبدالها ياء فيما لامه ياء أو واو أو همزة لم تسلم في الواحد، مثل ما لامه ياء هديّة وهدايا، ومثال ما لامه واو لم تسلم في الواحد مطيّة ومطايا ومثال ما لامه همزة نحو خطيئة وخطايا والأصل في جميع ذلك أن تجمع على فعائل بالهمز نحو صحيفة وصحائف والأصل في هدايا هدايي بإبدال مدّة الواحد همزة مكسورة فاستثقل ذلك فخفّف بإبدال الكسرة فتحة فصار هدائي ثمّ قلبت الياء ألفا لتحرّكها وانفتاح ما قبلها فصار هداءا، فاستثقل وقوع همزة عارضة في جمع بين ألفين وهي من مخرج الألف فأبدلت الهمزة ياء فصار هدايا. وأمّا خطايا

[1]- ينظر: شذى العرف: أحمد بن محمّد بن أحمد الحملاوي، دار الكيان للنّشر والتّوزيع، السّعودية، ط: 01، دت، ص: 205.
[2]- ينظر: المنصف: ابن جنّي، ج: 02، ص: 127.
[3]- ينظر: الممتع: ابن عصفور، ص: 240.

ونحوه ممّا لامه همزة فأصله خطائئ، -بهمزتين- الأولى مبدلة من مدّة الواحد والثّانية لام الكلمة فوجب إبدال الثّانية ياء، لاجتماع همزتين ثمّ فتحت الأولى ثمّ قلبت الثّانية ألفا ثمّ أبدلت الأولى ياء كما سبق في هدايا».[1]

وذهب "عبد الصّبور شاهين" إلى افتراض صيغ أخرى تغني عن كلّ تلك المراحل في هذا الجمع فقال: «عذّب الصّرفيون أنفسهم، وعذّبوا الدّارسين معهم في تصوّر هذه المراحل الافتراضيّة، مع أنّ القضيّة في ذلك كلّه تخضع لملاحظتين: الأولى: أنّ هذه الكلمات لا علاقة لها بالهمزة، بالنّسبة إلى (قضيّة، ومطيّة، وهراوة)، ولسنا نجد الهمزة في شيء من تصاريفها مطلقا. كذلك يمكن القول بالنّسبة إلى (خطايا): أنّها جمع (خطيّ)، بالياء المشدّدة، على طريقة من لا ينطقون الهمزة من الفصحاء، فلامها حينئذ كلام قضيّة. والثّانية: لماذا لم نفترض أنّ جمعها في الأصل على مثال (مفاعل)؟؟ وما ذا الذي حتّم هذا المثال في هذه الكلمات؟ أليس من الأيسر أن يقال: إنّ وزنها جميعا: (فَعالى). كعذارى، وصحارى، ومدارى؟... وبذلك نتفادى مواجهة احتمالات التّغيّر المفترضة. كما يتوحّد نموذج الجمع في هذا الباب، بحمل المعتلّ على الصّحيح!!. ».[2]

2-في باب الهمزتين الملتقيتين في كلمة واحدة:

إذا اجتمعت الهمزتان في كلمة فلها ثلاثة أحوال:

- إذا تحرّكت الأولى وسكنت الثّانية، وجب في غير نذور إبدال الثّانية حرف مدّ يجانس حركة ما قبلها، فتبدل بعد الفتحة ألفا نحو آثر، وواوا بعد الضّمّة نحو أوثر، وياء بعد كسرة نحو إيثار[3]، ومثله: آمن، أومن، إيمان، التي حلّلها "عبد الصّبور شاهين" فأكّد التّحليل الصّوتي: «أنّ النّاطق أسقط الهمزة الثّانية في هذه الأمثلة الثّلاثة، وعوّض مكانها حركة قصيرة مجانسة لما قبلها، فتحوّلت حركة الهمزة الأولى من قصيرة إلى طويلة، كما يتّضح من كتابة الأمثلة صوتيّا:
  - ’aa/man< ’a ’man
  - ’uu/min<’u’min

[1]- توضيح المقاصد والمسالك: المرادي، ص: 1573.
[2]- المنهج الصّوتي للبنية العربيّة: عبد الصّبور شاهين، ص: 181.
[3]- ينظر: توضيح المقاصد والمسالك: المرادي، ص: 1577.

➢ ’ii/maan< ’i’maan

وهذا النّوع من التّعويض إيقاعيّ، يحافظ على كمّية المقطع دون نظر إلى نوعه، فهو في كلتا الحالتين طويل، ولكنّه في الحالة الأصليّة مقفل (ص ح ص)، وفي البديلة مفتوح (ص ح ح)، ولكنّ كمّية الأصوات واحدة، فلذلك ثبت إيقاع الكلمة، وتحقّقت الصّيغة المرادة. والملاحظ على أيّة حال تعويض الهمزة لم يكن إلا بحركة قصيرة، فتحة، أو كسرة، أو ضمّة، وهو ما يزلزل قاعدة الصّرفيين، فضلا عن أنّنا لا نقول بالإبدال، كما قالوا، بل بمجرّد التّعويض الموقعي للمحافظة على الإيقاع، الذي هو جوهر عمليات التّصريف للبنية العربيّة».[1]

- إذا سكنت الأولى وتحرّكت الثّانية، أبدلت الثّانية ياء إن كانت موضع اللام، وصحّحت إن كانت موضع العين، فالأوّل كبناء قِمْطر من قرأ، فإنّك تقول قِرَأْئٌ، والأصل قِرَاْاٌ، فالتقى همزتان فوجب إبدال الثّانية ياء لأنّها موضع اللام[2]، وهذه الحالة وافق "عبد الصّبور شاهين" القدماء في عدم وجود تغيير حالة وقوع الهمزة الثّانية عينا أمّا اللام فيرى أنّ هذا الاحتمال يأتي في أمثلة مصنوعة، أو نادرة، ولا سبيل إلى معرفتها إلا أن تحفظ.[3]
- إذا كانتا متحرّكتين: في هذه الحالة إمّا أن تكون ثانيتهما موضع اللام أو لا، فهذان ضربان؛ فأمّا الأوّل منهما فيشترط تطرّف ثاني الهمزتين لوجوب إبداله ياء سواء كان قبله فتح أو كسر أو ضمّ، و«لا يجوز إبداله واوا، لأنّ الواو الأخيرة، لو كانت أصليّة ووليت كسرة أو ضمّة لقلبت ياء ثالثة فصاعدا، وكذا تقلب رابعة فصاعدا بعد الفتحة، فلو أبدلت الهمزة الأخيرة واوا فيما نحن بصدده لأبدلت بعد ذلك ياء فتعيّنت الياء»[4]، وأمّا الثّاني فله تسعة أنواع، لأنّ الثّانية إمّا مفتوحة أو مكسورة أو مضمومة، وعلى كلّ من هذه الأحوال الثّلاث فالأولى إمّا مفتوحة أو مكسورة أو مضمومة، فهذه تسعة؛ منها أربعة تبدل ياء، وهي المفتوحة بعد كسرة والمكسورة بعد فتحة

[1]- المنهج الصّوتي للبنية العربيّة: عبد الصّبور شاهين، ص: 182-183.
[2]- ينظر: توضيح المقاصد والمسالك: المرادي، ص: 1577.
[3]- ينظر: المنهج الصّوتي للبنية العربيّة: عبد الصّبور شاهين، ص: 184.
[4]- توضيح المقاصد والمسالك: المرادي، ج: 06، ص: 1581.

أو كسرة أو ضمّة، وخمسة تبدل واوا، وهي المفتوحة بعد فتحة أو ضمّة، والمضمومة بعد فتحة أو كسرة أو ضمّة.[1]

وردّ "عبد الصّبور شاهين" أحكام القدماء في قلب الهمزة واوا؛ فقال: «نلاحظ على أحكامهم في الأمثلة السّابقة أنّ قلب الهمزة واوا في (أوادم)، ليس مسلّما، لأنّ اللغة تعتبر هذا جمعا لكلمة (آدم) بعد إسقاط الهمزة، فيكون على مثال: (خاتم وطابع)، حين يجمعان على (فواعل) فيقال: خواتم، وطوابع، وكذا: أوادم، فالواو فيها جميعا واو الصّيغة، لا بدل عن همزة. أو ألف كما تراءى لهم[2]»، ورأى أن لا إبدال إلى الياء في (أيمّة) كذلك إنّما سقطت الهمزة، فما حدث هو إسقاط للهمزة ليس إلا، وحينئذ تتّصل الفتحة بالكسرة هكذا:

’ayimmat<’a-immai<’a’immat

فالياء كما رأينا هي نتيجة الانزلاق بين الفتحة والكسرة. وقد حافظ هذا الانزلاق على إيقاع الجمع بوزنه المراد. وكذلك جرى الأمر في تصغير (آدم) على (أُويدم)، فقد اتّصلت ضمّة التّصغير بالفتحة العوض، فكانت الواو، هكذا <’u-aydim <’uwaydim[3] ’u’aydim

ثالثا: قلب الألف ياء:

1-إذا وقعت بعد كسرة:

وذلك في التّكثير والتّصغير «كقوله في جمع مصباح مصابيح، وفي تصغيره مصيبيح، لأنّه لمّا كسر ما قبلها للجمع والتّصغير لم يمكن سلامتها لتعذّر النّطق بالألف بعد غير فتحة فردّت إلى حرف يجانس حركة ما قبلها فصارت ياء»[4]؛ ويرى "عبد الصّبور شاهين" «أنّ الألف في (مصباح)، وهي فتحة طويلة لم تقلب ياء في (مصابيح)، ولكنّها قلبت كسرة طويلة، في الجمع والتّصغير، فالتّبادل واقع بين

[1]- ينظر: المصدر نفسه، ج: 06، ص: 1578.
[2]- المنهج الصّوتي للبنية العربيّة: عبد الصّبور شاهين، ص: 184.
[3]- ينظر: المصدر نفسه، ص: 184.
[4]- توضيح المقاصد والمسالك: المرادي، ص: 1582.

الحركات فقط... إنّ الألف في مصباح هي ألف صيغة (مفعال) اسم آلة، والكسرة الطّويلة في (مصابيح) هي كسرة صيغة منتهى الجموع، وهي تأتي حتّى في جمع ما لا ألف فيه مثل: سفاريج – جمعا لسفرجل».[1]

2-إذا وقعت بعد ياء التّصغير:

وذلك «كقولك في تصغير غزال غزيّل، لأنّ ياء التّصغير لا تكون إلا ساكنة، فلم يمكن النّطق بالألف بعدها، فقلبت ياء مكسورة. ثمّ أدغمت ياء التّصغير فيها»[2]. ويرى "عبد الصّبور شاهين" أنّ مشكلة الألف في (غزال) تخضع لملاحظتين:

- أنّها غير مسبوقة بفتحة، كما يتردّد كثيرا في كتب الصّرف، ولكنّها هي ذاتها حركة اللام.
- وحين تطرأ حالة التّصغير على الكلمة، فإنّ القاعدة تفرض وضع ضمّة بعد الصّامت الأوّل، وفتحة بعد الصّامت الثّاني، وهاتان الحركتان (الضّمّة والفتحة) تسقطان الحركتين السّابقتين قبلهما في الكلمة، ففي (رجل rajul) – يقال: (رُجَيْل rujayl).

وهكذا ينبغي أن نتصوّر سقوط الألف في (غزال) لتحلّ محلّها فتحة التّصغير، ثمّ تجيء ياء التّصغير بعد ذلك، فيقال: (غُزَيْل) - ولكن تصغير الكلمة على هذا النّحو لا يفترق عن تصغير الثّلاثي، إلى جانب أنّه يفقدها إيقاعها النّبري، الذي اتّخذ شكل الطّول في (غزال)، فحوّلت اللغة نبر الطّول إلى نبر توتّر. بتضعيف ياء التّصغير فقيل: غزيّل، أي أنّ الياء الثّانيى ياء نبريّة. على حين أنّ تصغير (غَزْل) هو (غُزَيْل). فالفرق بين الكلمتين في حالة التّكبير هو طول الفتحة أو قصرها، وهو الذي فرض التّفرقة بينهما في حالة التّصغير.[3]

رابعا: مواضع قلب الواو ياء:

1- إذا وقعت بعد كسرة في الطّرف:

[1]- المنهج الصّوتي للبنية العربيّة: عبد الصّبور شاهين، ص: 186.
[2]- توضيح المقاصد والمسالك: المرادي، ص: 1582.
[3]- ينظر: المنهج الصّوتي للبنية العربيّة: عبد الصّبور شاهين، ص: 186-187.

ويكون ذلك في كلّ اسم متمكّن؛ إذ «تنقلب الضّمّة كسرة كما انقلبت في: التّرامي، والتّجاري فيصير في باب قاض، مثل: أدل، وقلنس»[1]؛ وهما من جموع القلّة على حدّ أفلس وأكعب في جمع فلس وأكعب ولكنّه لمّا وقعت الواو طرفا بعد ضمّة وليس ذلك في الأسماء المتمكّنة عدلوا عنه إلى أن أبدلوا من الضّمّة كسرة فانقلبت الواو ياء فصار من قبيل المنقوص، فأبدلوا من الضّمّة كسرة ومن الواو ياء على ما تقدّم.[2]

و «أمّا "غاز" فالياء فيه من الواو لأنّه من غزا يغزو وإنّما وقعت الواو طرفا وقبلها كسرة والطّرف في حكم السّاكن لأنّه بعرضة الوقف والموقوف عليه ساكن فقلبت ياء على حدّ قلبها في ميزان وميعاد ونظائر ذلك كثيرة نحو داع ودان وما أشبه ذلك فأمّا "غازية" و"محنية" فأصلها غازوة ومحنوة وإنّما قلبت الواو وإن كانت متحرّكة من قبل أنّها وقعت لاما فضعفت وكانت التّاء كالمنفصلة».[3]

[1]- الشّافية في علم التّصريف: جمال الدّين أبو عمرو عثمان الدّويني النّحويّ المعروف بابن الحاجب، تح: حسن أحمد العثمان، المكتبة المكّية، لبنان، ط: 01، 1415ه/1995م، ص: 105-106.
[2]- ينظر: شرح المفصّل: ابن يعيش، ج: 10، ص: 21-24.
[3]- المصدر نفسه.

2- إذا وقعت عينا لمصدر أعلّت فيه:

هذا الإعلال «يجب للواو الواقعة عينا لمصدر فعل معتلّ العين بشرط أن يكون بعدها ألف نحو صام صياما، أصله صوام، لكنّه لمّا اعلّت عينه في الفعل استثقل بقاؤه في المصدر بعد الكسرة، وقبل حرف يشبه الياء، فاعتلّت بقلبها ياء –حملا للمصدر على فعله-، ولولا ذلك لم يجب الاعتلال لتحرّك الواو ووقوعها حشوا ألا ترى أنّه لمّا صحّت العين في لاوذ صحّت في لواذ فكذلك لمّا اعتلّت في قام وجب اعتلالها في قيام وكذلك انقياد اعتلّت العين في المصدر لاعتلال العين في انقاد، واحترز (بالمعتلّ عينا) من المصحّح نحو لاوَذَ لواذا من قوله تعالى:﴿لَا يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا﴾ [سورة النّور/63]؛ لأنّ مصدره لا يُعلّ. والأولى أن يقال في مصدر المعلّ عينا، لأنّ نحو لاوذ يطلق عليه معتلّ، إذ كلّ ما عينه حرف علّة، فهو معتلّ وإن لم يعلّ.[1]

3- إذا وقعت عينا لجمع صحيح اللام، وقبلها كسرة وهي في المفرد:

وتكون في المعتلّة كديار واللّيّنة كحوض؛ بحيث «إذا وقعت الواو مكسورا ما قبلها وهي عين جمع أعلّت في واحد أو سكنت وجب قلبها ياء بشرط وقوع الألف بعد الواو. فالأوّل نحو ديار أصله دوار، لكن لمّا انكسر ما قبل الواو في الجمع، وكانت في الإفراد معلّة بقلبها ألفا، ضعفت فسلّطت الكسرة عليها، وقوّى تسلّطها وجود الألف، والثّاني نحو ثياب أصله ثواب، ولكن لمّا انكسر ما قبل الواو في الجمع، وكانت في الإفراد ساكنة ضعفت أيضا، فتسلطت الكسرة عليها وقوّى تسلّطها وجود الألف».[2]

ونقل "ابن يعيش" عن "ابن جنّي" شروط هذا الإعلال، قال: «إنّما قلبت الواو في نحو حياض لأمور خمسة منها أنّ الواو الواحد فيها ضعيفة ساكنة ومنها أنّ قبل الواو كسرة لأنّ الأصل ثواب وحواض ومنها أنّ بعد الواو ألفا والألف قريبة الشّبه بالياء ومنها أنّ اللام صحيحة غير معتلّة والجيّد أن تكون هذه الأمور مأخوذة في الشّبه بدار وديار ولذلك لم يعلّوا نحو طوال لتحرّك الواو في نحو طويل ولم يعلّوا نحو عود وعودة وزوج وزوجة لأنّ الجمع ليس على بناء فعال كديار ولم يعلّوا نحو طواء ورواء في جمع طيّان وريّان لاعتلال لامه فاعرفه».[3]

4- إذا وقعت طرفا رابعة فصاعدا بعد فتح نحو زكيت:

---

[1]- ينظر: شرح المفصّل: ابن يعيش، ج: 10، ص: 21-24. وتوضيح المقاصد والمسالك: المرادي، ص: 1583.
[2]- توضيح المقاصد والمسالك: المرادي، ص: 1584.
[3]- شرح المفصّل: ابن يعيش، ج: 10، ص: 23.

تبدل الياء واوا وجوبا إذا تطرّفت بعد فتحة رابعة فصاعدا، لأنّ ما هي فيه إذ ذاك لا يعدم نظيرا يستحقّ الإعلال، سواء كانت في اسم كقولك "المعطيان" فإنّ أصله المعطوان، فقلبت الواو ياء حملا لاسم المفعول على اسم الفاعل، أم فعل قولك "يُرضيان" أصله يرضَوان، لأنّه من الرّضوان، فقلبت الواو ياء حملا لبناء المفعول على بناء الفاعل، وكذلك حملوا الماضي على المضارع فقالوا: "أعطيت" وأصله أعطوت –حملا على يعطي[1].

وإنّما قلبوها في المضارع لانكسار ما قبلها وذلك مقيس مطّرد وقد أبدلوا الياء من الواو إذا وقعت الكسرة قبل الواو وإن تراخت عنها بحرف ساكن لأنّ السّاكن لضعفه ليس حاجزا قويّا فلم يعتدّ حاجزا فصارت الكسرة كأنّها باشرت الواو وذلك قولهم "صبية" و"صبيان" والأصل صبوة وصبوان لأنّه من صبوت أصبو فقلبت الواو ياء لكسرة الصّاد قبلها ولم تفصل الياء بينهما لضعفها بالسّكون وربّما قالوا صبوان فأخرجوها على الأصل وقد قال بعضهم صبيان بضمّ الصّاد مع الياء وذلك أنّه ضمّ الصّاد مع الياء بعد أن قلبت الواو ياء في لغة من كسر فأقرّت الياء على حالها.[2]

5- إذا وقعت الواو إثر كسرة، وهي ساكنة مفردة:

تبدل الواو ياء إذا سكنت وانكسر ما قبلها ولم تكن مدغمة نحو ميقات وميزان لأنّه من الوقت والوزن ومن ذلك ريح وديمة لأنّه من الرّوح ودومت السّحاب[3]، «وإنّما كرهوا ذلك كما كرهوا الواو مع الياء في ليّة وسيّد ونحوهما، وكما يكرهون الضّمّة بعد الكسر حتّى إنّه ليس في الكلام أن يكسروا أوّل حرف ويضمّوا الثّاني نحو فِعُلَ؛ ولا يكون ذلك لازما في غير الأوّل أيضا إلا أن يدركه الإعراب، نحو قولك: فخِذٌ كما ترى وأشباهه. وترك الواو في موزان أثقل، من قبل أنّه ساكن فليس يحجزه عن الكسر شيء. ألا ترى أنّك إذا قلت وَتِدٌ قوي البيان للحركة؛ فإذا أسكنت التّاء لم يكن إلا الإدغام، لأنّه ليس بينهما حاجز؛ فالواو والياء بمنزلة الحروف التي تدانى في المخارج، لكثرة استعمالهم إيّاهما، وأنّهما لا تخلوا الحروف منهما ومن الألف، أو بعضهنّ فكان العمل من وجه واحد أخفّ عليهم، كما أنّ رفع اللسان في موضع واحد أخفّ عليهم في

[1]- ينظر: توضيح المقاصد والمسالك: المرادي، ص: 1587.
[2]- ينظر: شرح المفصّل: ابن يعيش، ج: 10، ص: 21-24.
[3]- ينظر: المصدر نفسه.

الإدغام؛ وكما أنّهم إذ أدنوا الحرف من الحرف كان أخفّ عليهم، نحو قولهم: ازدان، واصطبر؛ فهذه قصّة الواو والياء»[1].

وعلّل "ابن جنّي" هذا التّنافر بين الكسرة والواو فقال: «أمّا استكراههم الخروج من كسر إلى ضمّ بناء لازماً، فليس ذلك شيئا راجعا إلى الحروف، إنّما هو استثقال منهم للخروج من ثقيل إلى ما هو أثقل منه. وأنت لو رمت أن تأتي بكسرة أو ضمّة قبل الألف لم تستطع ذلك البتّة، وكذلك لو تكلّفت الكسرة قبل الواو السّاكنة المفردة، أو الضّمّة قبل الياء السّاكنة المفردة لتجشّمت فيه مشقّة وكلفة لا تجدها مع الحروف الصّحاح، وذلك نحو "فِعْلٍ" من القَوْل والطَّوْل، أصله أن تقول: قِوْل وطِوْل، ثمّ تستثقل ذلك فتقلب الواو للكسرة قبلها ياء فتقول: قيل وطيل، وقد قالتهما العرب مقلوبين هكذا...».[2]

6- إذا كانت الواو لاما لفعلى وصفا:

ذهب "ابن مالك" إلى أنّ لام فُعلى إذا اعتلّت «تارة تكون لامها ياء، وتارة تكون واوا، فإن كانت ياء سلمت في الاسم نحو الفتيا، وفي الصّفة نحو القصيا تأثيث الأقصى، فلم يفرّقوا في فعلى من ذوات الياء بين الاسم والصّفة، كما لم يفرّقوا في فعلى –بالفتح- من ذوات الواو كما سبق، وإن كانت واوا سلمت في الاسم نحو حزوى -اسم موضع- وقلبت ياء في الصّفة نحو الدّنيا والعليا»[3].

وعلّق الشّارح على كلام "ابن مالك" بأنّ «ما ذكره المصنّف من أنّ لام فعلى إذا كانت واو تبدل ياء في الصّفة وتسلم في الاسم مخالف لقول أهل التّصريف، فإنّهم يقولون: إنّ فعلى إذا كانت لامها واوا تقلب في الاسم دون الصّفة ويجعلون "حزوى" شاذّا، وقال المصنّف في بعض كتبه: النّحويون يقولون هذا الإعلال مخصوص بالاسم ثمّ لا يمثّلون إلا بصفة محضة أو بالدّنيا، والاسميّة فيها عارضة، ويزعمون أنّ تصحيح حزوى شاذّ كتصحيح "حيوة"، وهذا قول لا دليل على صحّته، وما قلته مؤيّد بالدّليل وموافق لقول أئمّة اللغة».[4]

7- إذا اجتمعت الواو والياء في كلمة واحدة، والسّابق منهما متأصّل ذاتا وسكونا:

جمع صاحب "توضيح المقاصد" أربعة شروط لهذا الإعلال هي:

---

[1]- الكتاب: سيبويه، ج: 04، ص: 335.
[2]- سرّ صناعة الإعراب: ابن جنّي، ج: 01، ص: 18-19.
[3]- توضيح المقاصد والمسالك: المرادي، ص: 1594.
[4]- المصدر السّابق، ص: 1595.

- اتّصال الواو والياء؛ أي أن يكونا في كلمة واحدة، فلو كانا في كلمتين نحو "فو يوسف" وهذا "فو يزيد" لم يجز الإبدال والإدغام.
- أن يكون سكون السّابق أصليّا، فلو كان عارضا نحو قَوْي مخفّف قوي لم تبدل ولم تدغم.
- ألا يكون السّاكن بدلا غير لازم نحو رُوَيّة مخفّف رؤية، فلا يبدل لعروضه، فإن كانت بدلا لازما نحو أيّم وهو مثال أُيْلُم من الأيمّة أصله أؤيم، فأبدلت الهمزة الثّانية واوا، لانظمام التي قبلها فصار أويم، وهذا بدل لازم فقلبت الواو ياء وأدغمت في الياء فصار أيم.
- ألا يكون الثّاني واوا تحرّكت لفظا في إفراد وتكسير غير لازم بعد ياء التّصغير نحو جدول، فلك في تصغيره وجهان: أحدهما: جديّل بالإبدال والإدغام على القياس وهو الأرجح. والآخر جديول –بالتّصحيح.[1]

ومثال هذا الإعلال: «"سيّد وليّة" فأصل سيّد سيود فيعل من سادة يسود وأصل ليّة لوية فعلة من لوى يده ولوى غريمه إذا مطله فاجتمعت الواو والياء وهما بمنزلة ما تدانت مخارجه وهما مشتركان في المدّ واللين والأولى منهما ساكنة فقلبت الواو ياء ثمّ أدغمت الياء في الياء لأنّ الواو تقلب إلى الياء ولا تقلب الياء إلى الواو ولأنّ الياء أخفّ والإدغام نقل الأثقل إلى الأخفّ».[2]

[1]- ينظر: المصدر نفسه، ج: 06، ص: 1596-1597.
[2]- شرح المفصّل: ابن يعيش، ج: 10، ص: 21-24.

8- أن تكون الواو لام (مفعول) الذي ماضيه على فعِل بكسر العين لازما كان أو متعدّيا:

مثّل "ابن مالك" بهذا الضّرب من الإعلال فيما توفّرت فيه الشّروط السّابقة: فقال: «فمثال ما اجتمعت فيه الشّروط سيّد وأصله سيود، لأنّه فيعل من ساد يسود، ومرمى أصله مرموي لأنّه مفعول من رمى يرمي فأبدلت الواو فيهما ياء ثمّ أدغمت أولى الياءين في الأخرى»[1]، فهذا الإعلال لاجتماع الواو والياء في كلمة واحدة، والسّابق منهما متأصّل ذاتا وسكونا، غير أنّ الواو هنا واو البناء للمفعول، والياء ياء الفعل النّاقص اليائيّ.

9- إذا كانت الواو لام فُعول بضمّ الفاء جمعا:

وذلك نحو: «عُصيّ وحقيّ ودليّ ونحوها فإنّ عقد ذلك أنّ كلّ جمع يكون على فعول ولامه واو فإنّ اللام تنقلب ياءاً فيصير عصويّ فيجتمع الواو والياء والأوّل ساكن فتقلب الواو ياء وتدغم الواو في الياء على حدّ طيّ وليّ والعلّة في ذلك قريبة من حديث رداء وكساء وذلك أنّ الواو فيها طريقان أحدهما أنّ الواو الأولى مدّة زائدة فلم يعتدّ بها كما كانت الألف في كساء كذلك فصارت الواو التي هي لام الكلمة كأنّها وليت الضّمّة وصارت في التّقدير عُصُو فقلبوا الواو ياء على حدّ قلبها في أحقّ وأدل والآخر أنّهم نزلوا الواو الزّائدة منزلة الضّمّة فكمل قلبوا في أدل وأحق كذلك قلبوا في نحو عصي ودلي وانضاف إلى ذلك كون الكلمة جمعا والجمع مستثقل فصار عصيّا ومنهم من يتبع ضمّة الفاء العين ويكسرها ويقول عصيّ بكسر العين والصّاد ليكون العمل من وجه واحد ولو كان المثال عصوّا اسما واحدا غير جمع لم يجب القلب لخفّة الواحد ألا تراك تقول مغزوّ ومدعوّ وعتوّ مصدر عتّا يعتو فيقرّ الواو هذا هو الوجه ويجوز القلب فتقول مغزيّ ومدعيّ، قال الشّاعر:

وَهَل عَلِمَتْ عَرْسي مَليكَة أَنَّني ... أَنا اللَيْثُ مَدْعُوّاً عَلى معادِيا

يروى بالوجهين معا فأمّا نحو عصيّ وحقيّ فلا يجوز فيهما إلا القلب لكونها جموعا».[2]

[1]- توضيح المقاصد والمسالك: المرادي، ص: 1596.
[2]- شرح المفصّل: ابن يعيش، ج: 10، ص: 21-24.

10-أن تكون الواو عينا لوزن (فُعَّل) بضمّ الفاء وتشديد العين جمعا صحيح اللام غير مفصولة بألف بين العين واللام:

وذلك أنّه «كثر في فعّل جمع فاعل الذي عينه واو الإعلال، فيقال في نوّم جمع نائم نيّم وفي صوّم جمع صائم صيّم وفي جوّع جمع جائع جيّع ... ووجه ذلك أنّ العين شبّهت باللام لقربها من الطّرف، فأعلّت كما تعلّ اللام فقلبت الواو الأخيرة ياء (ثمّ قلبت الواو الأولى ياء)، وأدغمت الياء في الياء، والتّصحيح في ذلك هو الأصل، وأمّا فعّال – بالمدّ- نحو صوّان وقوّام، فالتّصحيح فيه متعيّن لبعد عينه عن الطّرف بسبب زيادة الألف».[1]

وأجمل "عبد الصّبور شاهين" علل الإعلال في هذا الباب كلّه في سببين:

- **الأوّل:** وقوع الواو بعد كسرة، كما في القواعد الأربعة الأولى: والحقيقة أنّ الإبدال في القواعد الثّلاثة الأولى هو هروب من ثلاثيّة الحركة إلى ثنائيتها؛ أي: أنّه عدول عن تتابع الكسرة والضّمّة والفتحة (i-u-a) بإسقاط الضّمّة، والاقتصاد على الكسرة والفتحة، نظرا لصعوبة الضّمّة بعد الكسرة، أولا، ولأنّ الحركة المزدوجة أيسر نطقا -ثانيا. وبهذا رأى "عبد الصّبور شاهين" أنّ عنصر الضّمّة قد أسقط في هذه الأمثلة، فاتّصلت الكسرة بالفتحة مباشرة، فكانت الياء نتيجة الانتقال بينها، دون أن تكون بدلا من الواو، كما قيل. (هكذا: radi-u-a> radi-a). وأمّا القاعدة الرّابعة في مثل: مِوْزان، فإنّ قلب الواو ياء ليس إلا وهما، جسّدته الكتابة العربيّة في كلمة ميزان -والواقع أنّ اللغة العربيّة لمّا كانت تكره تتابع الكسرة والضّمّة، فقد أسقطت عنصر الضّمّة، وعوّضت مكانها كسرة قصيرة، تصبح بالإضافة إلى سابقتها كسرة طويلة بعد الميم، هي التي كتبت في صورة الياء، فالأولى أن تقول، قلبت الضّمّة كسرة، تخلّصا من الصّعوبة، ونزوعا إلى الانسجام؛ وتوضيحا للصّورة نضع ازدواج الحركة في ميزان إلى جانب ثلاثيّة الحركة في صوام، ثمّ ننظر نتيجة إسقاط الضّمّة في كلا التّرتيبين: فالتّركيب i-a<i+u+a، ولكنّ التّركيب ii<i+u وهو تركيب (ميزان)، وبهذا تهرب اللغة من الحركة الثّلاثيّة إلى الثّنائيّة، ومن الثّنائيّة إلى الحركة الواحدة. وتأتي بعد ذلك القاعدة الخامسة، وهي تقوم على أساس تتابع مزدوجين في كلمة سيود،

[1]- توضيح المقاصد والمسالك: المرادي، ص: 1616-1617.

هكذا: (sa+i+u+id)، وهذا التّتابع أشبه بتتابع الكسرة والضّمّة، حيث تقع فيه الواو إثر الياء، ونظرا لصعوبة هذا التّركيب، وكراهة اللغة له مالت إلى إحداث الانسجام في هذا المثال وأشباهه، بتغليب عنصر الكسرة على عنصر الضّمّة، وهما يمكن أن يقال: إنّ الواو قلبت ياء فعلا.

- **الثّاني:** خضوع الواو لحكم الصّيغة، وذلك متمثّل في القواعد الخمس الأخيرة؛ التي قلبت فيها الواو ياء نظرا لكون الياء أيسر نطقا من الواو. وبخاصّة في نهاية الكلمة، إلى جانب أنّ الياء من خصائص النّطق الحضريّ، كما أنّ الكسرة كذلك، في مقابل ما تعوده البدو من إيثار الواو والضّمّة.[1]

خامسا: مواضع قلب الألف واوا:

1- إذا وقعت الألف إثر ضمّة:

وهي الحالة الوحيدة في هذا الباب، شرحها "ابن يعيش" بقوله: «أمّا إبدالها من الألف ففي نحو فاعل وفاعل وفاعول وفاعال وذلك نحو ضارب وخاتم وعاقول وساباط فمتى أردت تحقير شيء من ذلك أو تكسيره قلبت ألفه واوا وذلك نحو ضويرب وضوارب وخويتم وخواتم وعويقيل وعواقيل وسوييبط وسوابيط فأمّا علّة قلبها في التّحقير فظاهرة وذلك لانظمام ما قبل الألف وأمّا قلبها في التّكسير فبالحمل على التّحقير وذلك أنّك إذا قلت ضوارب وخواتم فلا ضمّة في الضّاد والخاء توجب انقلاب الألف إلى الواو لكنّك لمّا كنت تقول في التّحقير خويتيم قلت في التّكسير خواتم»[2]، وهذا الإعلال بشرحه مردود عند "عبد الصّبور شاهين" من قبل أنّ الألف في هذه الأبنية هي الحركة وليست مسبوقة بضمّ إنّما الواو في التّصغير والتّكسير مورفيم يدلّ على التّكسير أو التّصغير.[3]

سادسا: قلب الياء واوا:

1- إذا كانت الياء ساكنة مفردة قبلها ضمّة سواء كانت في اسم غير جمع أم في فعل:

[1]- ينظر: المنهج الصّوتي للبنية العربيّة: عبد الصّبور شاهين، ص: 188-190.
[2]- شرح المفصّل: ابن يعيش، ج: 10، ص: 29.
[3]- ينظر: المنهج الصّوتي للبنية العربيّة: عبد الصّبور شاهين، ص: 190.

وكانت هذه الياء «متوسّطة فلا يخلوا، إمّا أن تكون قريبة من الطّرف أو بعيدة منه. فإن كانت بعيدة منه بأن يكون بعدها حرفان قلبت الياء واوا، سواء كانت زائدة كما في بوطر* أو أصليّة كما في كوال، على وزن سودد من الكيل، وكذا فُعْلِل يُفَعْلَل منه، نحو كوال يكيال، وسواء كانت الياء فاء كموقن وأوقن، أو عينا نحو كوال»[1]، فإن تحرّكت الواو أو زالت الضّمّة التي قبلها عادت الكلمة إلى أصلها من الياء وذلك نحو قولك في التّصغير مميقن ومييسر وفي التّكسير موازين ومواعيد[2]، احترز بالسّاكنة من المتحرّكة نحو: "هيام" فإنّها تحصّنت بحركتها فلا تقلب إلا فيما سيأتي بيانه.[3]

هذا البناء حسب "عبد الصّبور شاهين" شبيه لبناء وقوع الواو ساكنة بعد كسر في مثل: موزان، كلاهما ناشئ عن تتابع ضمّة وكسرة، أو كسرة وضمّة، ونظرا لثقل هذا التّتابع، فقد تخلّص النّاطق العربيّ منه بإسقاط العنصر الثّاني، وإطالة العنصر الأوّل: muuqin<mu-iqinكما أنّ: miizaan<mi-uzaan فالتّبادل في هذه الأمثلة بين الحركات، لا بين أحرف العلّة.[4]

2- أن تقع الياء بعد ضمّة؛ وهي:

أ-إمّا لام (فَعُل): في بناء الفعل النّاقص «تبدل الياء المتحرّكة بعد الضّمّة واوا إذا كانت لام فعل نحو: "قضو الرّجل ورمُوَ" وهذا مختصّ بفعل التّعجّب، ولم يجئ مثل ذلك في فعل متصرّف إلا ما نذر من قولهم: "نهو الرّجل فهو نهيّ" إذا كان كامل النّهية، وهو العقل».[5]

ب- وإمّا لام اسم مختوم بتاء للتّأنيث بنيت الكلمة عليها من أوّل الأمر ولم يسبق لها حذف، فإذا دخلت التّاء بعد بناء الكلمة يجب حينئذ قلب الضّمّة كسرة لتسلم الياء: أي إذا كانت الياء «لام اسم مبنيّ على التّأنيث بالتّاء كمرموَة مثال مقدرة من رمى، فلو كانت التّاء عارضة بأن يقدّر بناء الكلمة على التّذكير ثمّ يعرض لحاق التّاء وجب إبدال

*- زيدت للإلحاق بدحرج.
[1]- شرح المفصّل: ابن يعيش، ج: 10، ص: 85-86.
[2]- ينظر: شرح المفصّل: ابن يعيش، ج: 10، ص: 30.
[3]- ينظر: توضيح المقاصد والمسالك: المرادي، ص: 1587.
[4]- ينظر: المنهج الصّوتي للبنية العربيّة: عبد الصّبور شاهين، ص: 191.
[5]- توضيح المقاصد والمسالك: المرادي، ص: 1590.

الضّمّة كسرة، وتصحيح الياء كما يجب ذلك مع التّجريد»[1]؛ ويشترك هذا القلب في علّة نحو التّقوى والبقوى وهو تعويض الواو من كثرة دخول الواو عليها.[2]

ج- وإمّا أن تقع الياء اسم مختوم بالألف والنّون الزّائدتين: وذلك إذا بنيت من اسم مختوم بواو على فعلان .«مثاله "شجيان" وهو مثال ضربان، من الشّجو، أصله شجوان، فقلبت الواو ياء؛ لأنّ الألف والنّون في حكم الانفصال أيضا مثل تاء التّأنيث».[3]

يرى "عبد الصّبور شاهين" أنّ ما حدث في هذه الحالات ثلاثتها اختصار للحركة الثّلاثيّة إلى الثّنائيّة دون اجتلاب أيّ عنصر بديل؛ فنهُوَ مثلا أصلها (نَهُيَ) (nahuia) وقعت الواو إثر كسرة، فأسقط النّاطق عنصر الكسرة، لتصبح الحركة مزدوجة فقط، وبذلك تنشأ الواو نتيجة الانتقال من الضّمّة إلى الفتحة.[4]

[1]- المصدر نفسه، ص: 1590.
[2]- ينظر: شرح المفصّل: ابن يعيش، ج: 10، ص: 32.
[3]- توضيح المقاصد والمسالك: المرادي، ص: 1583.
[4]- ينظر: المنهج الصّوتي للبنية العربيّة: عبد الصّبور شاهين، ص: 191-192.

3-إذا كانت الياء لاما لوزن فَعْلى بفتح الفاء اسما لا صفة:

أشار اللغويّون إلى أنّه «إذا اعتلّت لام فعلة -بفتح الفاء- فتارة تكون لامها واوا، وتارة تكون ياء فإذا كانت واوا سلمت في الاسم كالدّعوى وفي الصّفة نحو نشوى فلم يفرّقوا في ذوات الواو بين الاسم والصّفة، وإن كانت ياء سلمت في الصّفة نحو خزيا وصديا، وقلبت واوا في الاسم كالتّقوى والفتوى والبقوى فرقا بين الاسم والصّفة، وأوثر بهذا الإعلال لأنّه اخفّ، فكان أحمل، وأكثر النّحويّين يجعلون هذا مطّردا»[1].

وعلّل "ابن يعيش" هذا الضّرب من الإعلال بقوله: «وأمّا بقوى ونحوه ممّا هو من الأسماء على فعلى معتلّ اللام فما كان من ذلك من الياء فإنّك تقلب ياءه إلى الواو نحو التّقوى والرّعوى والشّروى من شريت والصّفة تترك على حالها نحو خزيا صديا وريّا ولو كانت ريّا اسما لقلت روّا كأنّهم فرّقوا بين الاسم والصّفة وإنّما قلبوا الواو إلى الياء ههنا لأنّ الياء أخت الواو وقد غلبت الياء الواو في أكثر المواضع من نحو سيّد وميّت وشويته شيّا وطويته طيّا فأرادوا أن يعوّضوا الواو من كثرة دخول الياء عليها فيكون ذلك كالقصاص فقلبوا الياء واوا ههنا وإنّما اختصّوا هذا القلب بالاسم دون الصّفة وذلك لأنّ الواو أثقل من الياء فلمّا عزموا على قلب الأخفّ إلى الأثقل لضرب من الاستحسان جعلوا ذلك في الأخفّ لأنّه أعدل من أن يجعلوا الأثقل في الأثقل والأخفّ هو الاسم والأثقل هو الصّفة لمقاربتها الفعل وتضمّنها ضمير الموصوف»[2]، وتلحق هذه القاعدة بالقاعدة الأولى في بابها إذ وقع تتابع الضّمّة والكسرة فحذفت الثّانية ومدّت الأولى.[3]

4-إذا كانت الياء مضموم ما قبلها عينا لفُعلى بالضّمّ في فاء الكلمة اسما:

ومثال ذلك "طوبى" الواو فيه مبدلة من الياء لأنّه فعلى من الطّيب قلبوا ياءه واوا للضّمّة قبلها مع سكونها[4]؛ وتعليل ذلك أنّه «إذا انضمّ ما قبل الياء فإن كانت ساكنة متوسّطة فلا يخلوا، إمّا أن تكون قريبة من الطّرف أو بعيدة منه. فإن كانت بعيدة منه بأن يكون بعدها حرفان قلبت الياء واوا، سواء كانت زائدة كما في بوطر أو أصليّة كما في كوكل، على وزن سودد من الكيل، وكذا فُعْلِل يُفَعْلَل منه، نحو كوكل يكيكل، وسواء كانت الياء فاء كموقن وأوقن، أو عينا نحو كوكل، إلا في فُعلى صفة نحو كيصى وضيزى وفي فعلان جمعا نحو بيضان، كما يجيء حكمها، ولا تقلب الضّمّة لأجل الياء

[1]- توضيح المقاصد والمسالك: المرادي، ص: 1593.
[2]- شرح المفصّل: ابن يعيش، ج: 10، ص: 32.
[3]- ينظر: المنهج الصّوتي للبنية العربيّة: عبد الصّبور شاهين، ص: 192.
[4]- ينظر: شرح المفصّل: ابن يعيش، ج: 10، ص: 30.

كسرة، وذلك لأنّ الياء بعيدة من الطّرف، فلا يطلب التّخفيف بتبقيتها بحالها، بل تقلب واوا إبقاء على الضّمّة، إذ الحركات إذا غُيّرت تغيّر الوزن، وبإبدال الحرف لا يتغيّر، والإبقاء على الوزن أولى إذا لم يعارض ذلك موجب لإبقاء الياء على حالها»[1]؛ و«تقلب ياء فُعلى –اسما- واوا في نحو: طوبى، وكوسى، ولا تقلب في الصّفة، ولكن يكسر ما قبلها فتسلم الياء، نحو: (مشية حيكى)، و﴿ٱقِسۡمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾، وكذلك باب بيض»[2].

وقيل يجوز الوجهان «وإن تكن الياء المضموم ما قبلها عينا لفعلى وصفا جاز فيها وجهان: أحدهما إبدال الضّمّة كسرة فتصحّ الياء، والآخر إبقاء الضّمّة فتقلب الياء واوا فتقول في أنثى الأكيس والأضيق الكيسى والضّيقى على الأوّل، والكوسى والضّوقى على الثّاني، قال الشّارح: ترديدا بين حمله على مذكّره تارة وبين رعاية الزّنة أخرى»[3]، وأشار "عبد الصّبور شاهين" إلى حالة أخرة من قلب الياء واوا، تبعا للمأثور من كلام العرب.[4]

سابعا: قلب الياء والواو ألفا:

إبدال الياء والواو ألفا لا يكون إلا في حالة واحدة هي تحرّكهما مع انفتاح ما قبلهما، وبشروط:

- **الأوّل:** أن يكون التّحريك أصليّا، احترازا من أن يكون عارضا نحو جَيَل وتَوَم مخفّفي جيئل وتوأم.
- **الثّاني:** أن يكون الفتح متّصلا احترازا من أن يكون منفصلا يحرف نحو زاي وواو، فإنّ الألف فاصلة، أو يكون من كلمة أخرى نحو إن يزيد ومق، فإنّه لا يؤثّر.
- **الثّالث:** أن يكون اتّصاله أصليّا احترازا من نحو بناء من عُلَبِط من الرّمي أو الغزو فتقول رُمَي وغُزَو –منقوصا- ولا تقلب الواو والياء ألفا، لأنّ اتّصال الفتحة بها عارض بسبب حذف الألف، إذ الأصل رُماييٌّ وغُزاويٌّ؛ لأنّ عُلَبطاً أصله عُلابِط.[5]

---

[1]- شرح المفصّل: ابن يعيش، ج: 10، ص: 85-86.
[2]- الشّافية: ابن الحاجب، ص: 100.
[3]- توضيح المقاصد والمسالك: المرادي، ص: 1591.
[4]- ينظر: المنهج الصّوتي للبنية العربيّة: عبد الصّبور شاهين، ص: 192.
[5]- ينظر: توضيح المقاصد والمسالك: المرادي، ص: 1597-1598.

وهذه الشّروط لا بدّ من اعتبارها في الاعتلال المذكور ولا يشترط معها في إعلال اللام إلا شرط واحد وهو ألا يتّصل بها ألف ولا ياء مشدّدة. وأمّا العين فيشترط في إعلالها مع هذه الشّروط الثّلاثة شروط أخر:

- **أوّلها:** ألا يسكن بعدها، وثانيها: ألا يكون ما هي فيه فعلا على فعل ذا أفعل أو متصرّفا منه، وثالثها: ألا يكون ما هي فيه فعلا واويّا على افتعل بمعنى تفاعل أو مصرفا منه. ورابعها: ألا يعلّ ما وليها، وخامسها: ألا يكون ما هي فيها اسما مختوما بزيادة تختصّ بالأسماء، وسادسها: ألا تكون هي بدلا من حرف لا يعلّ -وسيأتي الكلام على هذه الشّروط مفصّلا.[1]

والأصل في هذا الإعلال أن يكون في الفعل؛ لثقله، فتليق به الخفّة أكثر، أو يكون في آخر الكلمة: إمّا لفظا كرباً، أو تقديرا كغزاة، وذلك بأن يكون بعد الأخير حرف أصله عدم اللزوم: اسما كانت الكلمة، أو لا؛ لأنّ الكلمة تتثاقل إذا انتهت إلى الأخير، فتليق به الخفّة، وإن كانت علّتها ضعيفة. فنقول: الفعل في هذا الإعلال على ضربين: أصل، ومحمول عليه؛ والأصل ما يتحرّك واوه أو ياؤه وينفتح ما قبلهما، نحو قول وبيع وغزو ورمي في الماضي الثّلاثي، وذلك: إمّا في المضارع المبنيّ للفاعل كيخاف ويهاب، أو المبنيّ للمفعول كيخاف ويهاب ويقال ويباع، أو الماضي ممّا بني من ذي الزّيادة: أفعَل نحو أقام وأبان، واستفعل نحو استقام واستبان، أو ما بني للمفعول من مضارعهما، نحو يُقام ويستبان، «وأمّا إذا كانت الواو والياء المتحرّكتان المفتوح ما قبلهما في آخر الكلمة فإنّهما تقلبان ألفا، وإن كان ذلك في اسم لا يشابه الفعل بوجه، نحو ريّا ورُبّا فإنّهما لا يوازنان الفعل؛ فإن وازنه كفتى وعصا فإنّهما كضرب، وكمِرْدى ومِبْرًى فإنّهما كاعلم، فلا كلام في القلب».[2]

وشرح "ابن يعيش" ضعف علّة هذا الضّرب من الإعلال فقال: «اعلم أنّ علّة قلب الواو والياء المتحرّكتين المفتوح ما قبلهما ألفا ليست في غاية المتانة، لأنّهما قلبتا ألفا للاستثقال، على ما يجيء، والواو والياء إذا انفتح ما قبلهما خفّ ثقلهما، وإن كانتا أيضا متحرّكتين، والفتحة لا تقتضي مجيئ الألف بعدها اقتضاء الضّمّة للواو والكسرة للياء؛ ألا ترى إلى كثرة نحو قَول وبَيع، وعدم قول قُيل وبُيع بضمّ الفاء، وقِول وبِوع بكسرها، لكنّهما قلبتا ألفا –مع هذا- لأنّهما وإن كانتا أخفّ من سائر الحروف الصّحيحة لكن كثرة

[1]- ينظر: المصدر نفسه، ص: 1598.
[2]- شرح الشّافية: الرّضيّ الأسترآبادي، ج: 03، ص: 100.

دوران حروف العلّة، وهما أثقلها، جوّزت قلبهما إلى ما هو أخفّ منهما من حروف العلّة: أي الألف، ولاسيما مع تثاقلهما بالحركة وتهيؤ سبب تخفيفهما بقلبهما ألفا، وذلك بانفتاح ما قبلهما؛ لكون الفتحة مناسبة للألف».[1]

وبين "الرّضي الأسترآبادي" أنّ هذا الإعلال لا يكون إلا إذا تطرّف حرف العلّة؛ فقال «ولوهن هذه العلّة لم تقلب ألفا إلا إذا كانا في الطّرف: أي لامين، أو قريبين منه: أي عينين، ولم يقلبا فائين نحو أودّ وأيلّ، وإن كانت الحركة لازمة بعد العروض؛ لأنّ التّخفيف بالآخر أولى، ولوهنها تقف عن التّأثير لأدنى عارض، كما يكون هناك حرف آخر هو أولى بالقلب، لكن لم يقلب لاختلال بعض شروط إعلاله، فلا يقلب إذن الحرف الذي ثبت علّة قلبه لعدم قلب ما هو أولى منه بالقلب لولا اختلال شرطه، وذلك نحو طَوِيَ وحيِي، كان اللام أولى بالقلب لو انفتح ما قبلهما كما في روى ونوى، فلمّا انكسر ما قبلهما لم تعلّ، فلم تقلب العين ألفا أيضا، وإن اجتمع شرائط قلبها».[2]

ويرى "عبد الصّبور شاهين" أنّ هذا الإعلال أعقد أنواع الإعلال لتشعّبه وتعدّد شروطه. ودعا إلى أخذها بملاحظتين:

- **الأولى:** الشّروط العشرة مرّت بكلّ واو أو ياء بعدها حركة وقبلها فتحة، وهذه القاعدة لا تصدق إلا على الكلمات التي عينها أو لامها حرف علّة، وأكثر ما يكون في مثل: (قام- باع- باب- ناب- غزا- دعا- رمى- بكا- يخشى- يرضى)، وأصل هذه الكلمات يوقع حرف العلّة بين فتحة سابقة وحركة لاحقة، وهذا يحتّم قلبها واوا: قَوَمَ> قام. ولو قلنا إنّ الواو والياء في هذا النّوع من الكلمات تقلب ألفا لخرج كلّ ما نفته هذه الشّروط.
- **الثّانية:** إذا علمت أنّ اللغة تميل دائما إلى جعل الحركة الثّلاثيّة ثنائيّة أو آحاديّة، ولو تأمّلنا الأمثلة المقدّمة لوجدناها من هذا القبيل؛ وانظر مثلا:
  - قوم (qa+u+ama) تسقط الضّمّة فتتحد الفتحتان وتصبح قام (qaama)
  - باع (ba+i+a‘a) تسقط الكسرة فتتحد الفتحتان وتصبح باع (baa‘a)
  - رمي (ra/ma+i+a) ودعو (da/‘a+u+a) سقطت الياء والواو فاتّحدت الفتحتان فصارت رمى ودعا. وذلك هروبا من ثلاثية الحركة.

[1]- المصدر نفسه، ج: 03، 95-97.
[2]- المصدر نفسه.

وألحق بها بعد نقل الحركة نحو: استقوام (’is/tiq/u+aam) واستبيان (’is/tib/i+aan) فبسقوط الضّمّة في المثال الأوّل والكسرة في المثال الثّاني اختفى الانزلاق وبقيت الفتحة الطّويلة[1].

الإعلال بالنّقل:

أوّلا: النّقل في معتلّ العين:

تنقل حركة العين وجوبا إلى ما قبلها إذا كانت واوا أو ياء وقبلها حرف لاستثقالها على حرف العلّة، نحو "يقوم ويبين" والأصل يقوم ويبين –بضمّ الواو وكسر الياء- فنقلت حركة الواو والياء إلى السّاكن قبلهما. أعني القاف في يقوم والياء في يبين فسكنت الواو والياء[2].

وإنّما كان هذا الاعتلال في الياء والواو لكثرة استعمالهم إيّاهما وكثرة دخولهما في الكلام، وليس يُعرّى منهما ومن الألف أو من بعضهنّ. فلمّا اعتلّت هذه الأحرف جعلت الحركة التي في العين محوّلة على الفاء، وكرهوا أن يُقرّوا حركة الأصل حيث اعتلّت العين، كما أنّ يَفْعَل من غزوت لا تكون حركة عينه إلا من الواو، وكما أنّ يفعل من رميت لا تكون حركة عينه إلا من الياء حيث اعتلّت؛ فكذلك هذه الحروف حيث اعتلّت جعلت حركتهنّ على ما قبلهنّ، كما جعلت من الواو والياء حركة ما قبلها، لئلا تكون في الاعتلال على حالها إذا لم تعتلّ. ألا ترى أنّك تقول: خِفت وهِبت فَعِلت، فألقوا حركتها على الياء وأذهبوا حركة الفاء، فجعلوا حركتها الحركة التي كانت في المعتلّ الذي بعدها، كما لزم ما ذكرت لك الحركة ممّا بعدها؛ لئلا يجري المعتلّ على حال الصّحيح.[3]

ثانيا الاسم المشبّه للفعل المضارع في وزنه دون زيادته، أو في زيادته دون وزنه:

فالاسم المضاهي للمضارع –وهو الموافق له في عدد الحروف والحركات_ يشارك الفعل في وجوب الإعلال المذكور، وبشرط أن يكون فيه وسم يمتاز به الفعل، فاندرج في ذلك نوعان: اختلف فيهما "سيبويه" و "الأخفش" على النّحو الآتي:

[1]- ينظر: المنهج الصّوتي للبنية العربيّة: عبد الصّبور شاهين، ص: 193-195.
[2]- ينظر: توضيح المقاصد والمسالك: المرادي، ص: 1605-1607.
[3]- ينظر: الكتاب: سيبويه، ج: 04، ص: 339.

أمّا ما وافق المضارع في وزنه دون زيادته كمقام، فإنّه موافق للفعل في وزنه وفيه زيادة تنبئ عن أنّه ليس من قبيل الأفعال وهي الميم؛ فأعلّ، وذلك نحو مُقيم ومُبين ولو بنيت من البيع مفعلة –بالفتح- قلت: مباعة أو مَفْعِلَة –بالكسر- قلت مبيعة أو مَفْعُلَة – بالضّمّ- فعلى مذهب "سيبويه" تقول مبيعة أيضا، وعلى مذهب "الأخفش" تقول مبوعة.

وأمّا ما وافق المضارع في زيادته دون وزنه، كبناء مثل تحلئ من البيع فتقول تبيع بالإعلال المذكور لكونه موافقا للفعل في عدد حروفه وحركاته وزيادته إلا في وزنه؛ لأن تفعلا –بكسر التّاء- ليس من الأبنية المخصوصة بالأسماء، وإذا بنيت من البيع مثل تُرْتُب قلت تُبيع على مذهب سيبويه، وتبوع على مذهب الأخفش لأن لا تفعلا –بضمّ التّاء- ليس من أوزان الأفعال، بل هو من الأوزان المخصوصة بالأسماء كتفعل –بكسر التّاء، وأمّا ما شابه المضارع في وزنه وزيادته معا، فيجب تصحيحه نحو ابيضّ واسودّ وأطول منه وأبين، ولو بنيت من البيع مثل تضرب أو تقتل قلت: تَبيع بالتّصحيح لموافقته للفعل في الأمرين معا.[1]

ثالثا: المصدر الموازن لإفعال أو استفعال:

يحمل على فعله المضارع إذا كان ممّا أعلّت عينه في النّقل والإعلال؛ فتنقل حركة عينه إلى فائه، ثمّ تقلب ألفا لتجانس الفتحة، فيلتقي ألفان، فتحذف إحداهما لالتقاء السّاكنين، تمّ تعوّض عنها تاء التّأنيث، وذلك نحو إقامة واستقامة أصلهما إقوام واستقوام، فنقلت فتحة الواو إلى القاف، ثمّ قلبت الواو ألفا لتحرّكها في الأصل وانفتاح ما قبلها، فالتقى ألفان الأولى بدل العين والثّانية ألف إفعال واستفعال فوجب حذف إحداهما.[2]

رابعا: صيغة مفعول:

إذ بني المفعول من ثلاثيّ معتلّ العين فعل به ما فعل بإفعال واستفعال من نقل حركة عينه وحذف مدّته، للبسه بباب يخاف[3]، ومثاله بناء المفعول من قال وباع فيقال: مقول ومبيع، والأصل مقوول ومبيوع، نقلت حركة الواو والياء إلى السّاكن قبلهما، فالتقى ساكنان الأوّل عين الكلمة والثّاني واو مفعول الزّائدة فوجب حذف إحداهما.

[1]- ينظر: توضيح المقاصد والمسالك: المرادي، ص: 1605-1607.
[2]- ينظر: المصدر نفسه، ص: 1609.
[3]- ينظر: الشّافية: ابن الحاجب، ص: 102.

وجاء في "توضيح المسالك" أنّ النّحاة اختلفوا «في أيّهما حذف، فذهب الخليل وسيبويه إلى أنّ المحذوف واو مفعول، لزيادتها ولقربها من الطّرف، وذهب الأخفش إلى أنّ المحذوف عين الكلمة؛ لأنّ واو مفعول لمعنى، ولأنّ السّاكنين إذا التقيا في كلمة حذف الأوّل. فأمّا ذوات الواو نحو مقول، فليس فيها عمل غير ذلك، لأنّه لمّا حذفت منه إحدى الواوين بقي مقول على لفظه. وأمّا ذوات الياء فإنّه لمّا حذفت واوه على رأي سيبويه بقي مبيع بياء ساكنة بعد ضمّة، فجعلة الضّمّة المنقولة كسرة لتصحّ الياء، وأمّا على رأي الأخفش فإنّه لمّا حذفت ياؤه كسرت الفاء وقلبت الواو ياء فرقا بين ذوات الواو وذوات الياء».[1]

ويجب بعد النّقل في المسائل الأربع ما يلي:

1. أن يبقى الحرف المعتلّ إن جانس الحركة المنقولة.
2. أن يقلب حرفا يجانس حركة ما قبله.[2]

ويمتنع النّقل في حالات:

1. إن كان السّاكن قبل العين حرف علّة
2. إذا كان السّاكن مشدّدا.
3. إذا كان فعل تعجّب مثل ما أبينه وأبين به لأنّهم حملوه على نظيره (أفعل التّفضيل) في الوزن والدّلالى على المزيّة.
4. إذا كان مضعّف اللام.
5. إذا كان معتلّ اللام:
6. إذا كان من فَعَلَ الذي بمعنى افعلّ كعور.[3]

الإعلال بالحذف:

تحذف فاء الفعل المضارع، والأمر والمصدر منه إذا كان بزنة فِعْلة؛ إذا كان الماضي واويّ الفاء مفتوح العين: فالواو من مضارع ثلاثيّ فاؤه واو تحذف استثقالا، لوقوعها ساكنة بين ياء مفتوحة وكسرة لازمة، ولأنّ الكسر يستثقل في الواو على حدّ

[1]- توضيح المقاصد والمسالك: المرادي، ص: 1610-1611.
[2]- ينظر: المصدر نفسه، ص: 1605-1607.
[3]- ينظر: المصدر نفسه.

تعبير "سيبويه"[1]، وذلك كقولك في مضارع وعد يعد والأصل يوعد، فحذفت الواو لما ذكر.

وحمل على ذي الياء أخواته، نحو أعد ونعد وتعد، والأمر نحو عد والمصدر الكائن على فِعل –بكسر الفاء وسكون العين- نحو عدة فإنّ أصله وِعد على وزن فِعْل، فحذفت فاؤه حملا على المضارع، وحرّكت عينه بحركة الفاء وهي الكسرة؛ ليكون بقاء كسرة الفاء دليلا عليها، وعوّضوا منها تاء التّأنيث؛ ولذلك لا يجتمعان.[2]

وتحذف لام الفعل النّاقص واويّا كان أم يائيّا مع ياء المخاطبة وواو الجماعة [3]؛ لما يلزم ذلك من ثقل توالي الواوات والضّمّ في نحو اغزُوُوا، أو الياءات والكسر في نحو امميِي أو الضّم والواو والكسر والياء في نحو اغزُوِي وارمِيُوا. وهي صور مستثقلة.

وآخر علامة إعرابية؛ صوت النّون الصّامت، وله هو الآخر في باب الإبدال حالات؛ فتراها تقلب عن واو ولام من جهة، وتقلب إلى: وميم، ولام، وراء، وواو، وياء، وألف. وفيما يلي بيان ذلك:

1-إبدال الواو واللام نونا:

وذلك في نحو صنعانيّ وبهرانيّ ولعن بمعنى لعل، قال "ابن يعيش" شارحا: «القياس "في صنعاء وبهراء" أن يقال في النّسب إليهما صنعاويّ وبهراويّ كما تقول في صحراء صحراويّ وفي خنفساء خنفساويّ تبدل من الهمزة فرقا بينها وبين الهمزة الأصليّة...وقد قالوا "صنعانيّ وبهراني" على غير قياس واختلف الأصحاب في ذلك فمنهم من قال النّون بدل من الهمزة في صنعاء وبهراء ومنهم من قال النون بدل من الواو كأنّهم قالوا صنعاويّ كصحراويّ ثمّ أبدلوا من الواو نونا وهو رأي صاحب هذا الكتاب وهو المختار لأنّه لا مقاربة بين الهمزة والنّون لأنّ النون من الفم والهمزة من أقصى الحلق وإنّما النون تقارب الواو فتبدل منها، وأمّا "لعل" فقد قالوا فيها لعل ولعن فالنون بدل من اللام وذلك لكثرة لعل وعموم استعمالها والنون تقارب اللام في المخرج...».[4]

---

[1]- ينظر: الكتاب: سيبويه: ج: 04، ص: 336.
[2]- ينظر: توضيح المقاصد والمسالك: المرادي، ص: 1631.
[3]- ينظر: الشّافية: ابن الحاجب، ص: 108.
[4]- شرح المفصّل: ابن يعيش، ج: 10، ص: 36.

2-إبدال النون ميما:

تبدل النون السّاكنة ميما في حالتين: الحالة الأولى إذا كانت ساكنة قبل ميم؛ نحو: ممّا والأصل من ما، و﴿آفِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ﴾ [سورة عبس/13]؛ حيث تدغم نون التّنوين في الميم وتنطق ميما مشدّدة كما في رسم الآية.

والحالة الثّانية يسمّيها علماء التّجويد الإقلاب؛ حيث «أبدلت إبدالا مطّردا في كلّ نون ساكنة وقعت بعدها باء فإنّها تقلب ميما نحو "عمبر وشمباء" وعم بكر وذلك من قبل أنّ النّون حرف ضعيف رخو يمتدّ في الخيشوم بغنّة والباء حرف شديد مجهور مخرجه من الشّفة وإذا جئت بالنّون السّاكنة قبل الباء خرجت من حرف ضعيف إلى حرف يضادّه وينافيه وذلك ممّا يثقل فجاء النين مكان النّون لأنّها تشاركها في الغنّة وتوافق الباء في المخرج لكونهما من الشّفة فيتجانس الصّوت بهما ولا يختلف...وإن تحرّكت هذه النّون نحو الشّنب والعنب وعنابر قويت بالحركة وصار مخرجها من الفم وبعدت عن الميم».[1]

8-إبدال النون راء أو لاما:

تبدل النون راء أو لاما اطّرادا متى سكنت وسبقت بأحدهما؛ لتقارب المخارج إذ تشكّل معا مجموعة الأصوات الذّلقية.

وأبدلت اللام من النّون على غير قياس في قول النّابغة الذّبياني [من البسيط]:

وَقَفْتُ فيها أُصَيْلالاً أُسائِلُها ... عيت جوابا وما بالرّبع من أحد

والمراد أصيلانا تصغير أصيل على غير قياس.[2]

3-إبدال النون ياء أو واو أو ألفا:

تبدل النون ياءا أو واوا اطّرادا لاشتراكها في الخصائص الصّوتية كما سبقت الإشارة، وتبدل ألفا في الوقف؛ «وإبدالها من النّون في الوقف خاصّة على ثلاثة أشياء: المنصوب: المنوّن وما لحقته النّون الخفيفة المفتوح ما قبلها، وإذن كقولك رأيت زيدا، ولنسفعا، وفعلتها إذا»[3]؛ والسّبب وراء اطّراد هذا الإبدال في الياء والواو وقصوره في

[1]- المصدر نفسه، ج: 10، ص: 34-35.
[2]- ينظر: المصدر نفسه، ج: 10، ص: 45-46.
[3]- المصدر السّابق، ج: 10، ص: 20.

الألف على الوقف أنّها تبدل في الأوّلين للإدغام ولا يمكن إدغام الألف لضعفها إنّما تبدل في الوقت للاستراحة تشبيها لها بالتّنوين.

المبحث الثّالث: وظائف العلامات الإعرابيّة:

أوّلا الوظيفة الصّوتيّة:

من يريد تبيّن تأليفَ أصواتِ الكلمَ؛ فحسبه أن يطرق باب مقدّمة "الخليل" لمعجم العين؛ ونحن إذ نتتبّع العلل والنّون، وجدنا لها من الخفّة في التّركيب ما يميّزها عن غيرها، وهذا ناتج عن خصائصها الصّوتيّة تؤكّده طريقة بنائها.

تبنى الكلم في اللغة العربيّة من الثّلاثيّ أو الرّباعيّ أو ما يزيد عنهما؛ «قال الخليل: الاسم لا يكون أقلّ من ثلاثة أحرف. حرف يبتدأ به. وحرف يحشى به الكلمة، وحرف يوقف عليه، فهذه ثلاثة أحرف مثل سعد وعمر ونحوهما من الأسماء. بدئ بالعين وحشيت الكلمة بالميم ووقف على الرّاء. فأمّا زيْد وكيْد فالياء متعلّقة لا يعتدّ بها»[1]، ووصفه الياء "بالمتعلّقة لا يعتدّ بها" لسكونها وضعفها، وإعلالها متى توفّرت شروط الإعلال، وشرح "الخليل" الثّلاثيّ المعتلّ فقال: «والثّلاثيّ المعتلّ مثل: ضرا، ضَرِيَ، ضرُو، خَلا، خَلي، خَلُو لأنّه جاء مع الحرفين ألف أو واو أو ياء».[2]

ولخفّة العلل قد تحذف من الثّلاثيّ فإمّا يظهر البناء ثنائيّا، وهذه الأبنية «تجيء أسماء لفظها على حرفين وتمامها على ثلاثة أحرف مثل يد ودم وفم، وإنّما ذهب الثّالث لعلّة أنّها جاءت سواكن وخلقتها السّكون مثل ياء يدي وياء دمي في آخر الكلمة، فلمّا جاء التّنوين ساكنا اجتمع ساكنان فثبت التّنوين لأنّه إعراب وذهب الحرف السّاكن، فإن أردت معرفتها فاطلبها في الجمع والتّصغير كقولهم: أيديهم في الجمع، ويُديّة في التّصغير، ويوجد أيضا في الفعل كقولهم: دميت يده، فإذا ثنّيت الفم قلت: فموان، كانت تلك الذّاهبة من الفم الواو».[3]

أو يضعّف البناء ليلحق بالرّباعي، و«ما يشتقّون من المضاعف من بناء الثّلاثيّ المعتلّ، فنحو قول "العجّاج":

وَلَوْ أَنَخْنَا جَمْعَهُمْ تَنَخْنَخُوا

وقال في بيت آخر:

---

[1]- العين: الخليل بن أحمد، ج: 01، ص: 49.
[2]- المصدر نفسه، ج: 01، ص: 60.
[3]- المصدر نفسه، ج: 01، ص: 50.

لِفَحْلِنَا إِنْ سَرَّهُ التَّنَّوخُ

ولو شاء قال في البيت الأوّل (ولو أَنَخْنا جَمْعُهمْ تَنَوَّخوا) ولكنّه اشتقّ (التّنّوخ) من تنوّخناها فتنوّخت، واشتقّ (التّنَخنُخ) من أَنَخْناهَا، لأنّ أناخ لمّا جاء مخفّفا حسن إخراج الحرف المعتلّ منه، وتضاعف الحرفين الباقيين في (تنخنخنا تنخنخا)، ولمّا ثقّلت قويت الواو فثبتت في التّنّوخ فافهم».[1]

وأمّا النّون فإحدى الأصوات السّتّة الواجب تواجدها في تكوين ما زاد عن الثّلاثي؛ إذ «لمّا ذلقت الحروف السّتّة، ومذل بهنّ اللسان، وسهلت عليه في المنطق كثرت في أبنية الكلام، فليس شيء من بناء الخماسيّ التّام يعرّى منها أو من بعضها. قال الخليل: فإن وردت عليك كلمة رباعيّة أو خماسيّة معرّاة من حروف الذّلق أو الشّفويّة ولا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف حرف واحد أو اثنان أو فوق ذلك فاعلم أنّ تلك الكلمة محدثة مبتدعة، ليست من كلام العرب لأنّك لست واجدا من يسمع من كلام العرب كلمة واحدة رباعيّة أو خماسيّة إلا وفيها من حروف الذّلق والشّفويّة واحد أو اثنان أو أكثر».[2]

أمّا المحدثون –عربا وأجانب- فإنّ «معظمهم شرح الفونيم مشيرا إلى وظيفته الأساسيّة في التّفريق بين المعاني، كقول "ترنكا": "كلّ صوت قادر على إيجاد تغيير دلاليّ"، ومن التّعريفات التي قدّمت بهذا الخصوص: "أصغر وحدة صوتيّة، عن طريقها يمكن التّفريق بين المعاني"».[3]

وعلى الأساس ذاته «يقوم التّمييز بين الوحدات الصّوتيّة والصّور الصّوتيّة في التّحليل الفونولوجي عند تروبتسكوي على أساس التّقابل. فإذا ما اختلف صوتان من ناحية الخصائص النّطقيّة أو الفيزيائيّة أو السّمعيّة فإن كان هذا الاختلاف يمكن أن يكون مؤثّرا في تغيير الدّلالة ويمكن ألا يكون كذلك، فإذا قارنّا كلمتين تشتركان في كلّ الأصوات عدا صوتا واحدا، على نحو الكلمتين العربيّتين (سائر وصائر) فإنّنا نلاحظ أنّ معنى الأولى يخالف معنى الثّانية، والعنصر الرّمزيّ الصّوتيّ الذي جعل دلالة الكلمة الأولى تختلف عن الثّانية هو وجود صوت السّين في إحداهما والصّاد في

[1]- المصدر السّابق، ج: 01، ص: 57.
[2]- المصدر نفسه، ج: 01، ص: 52.
[3]- دراسة الصّوت اللغوي: أحمد مختار عمر، ص: 179.

الأخرى، ومعنى هذا أنّ إحلال أحدهما محلّ الآخر يعني تغيير المعنى، ومن ثمّ نقول بأنّ السّين وحدة صوتيّة والصّاد وحدة صوتيّة أخرى»[1].

استخدم نيكولاي تروبتسكوي (Nikolay Trubetskoy) هنا مصطلح الوحدة الصّوتيّة في مقابل ما يطلق عليه في اللغات الأوروبّية Phonem، وهكذا حدّد عن طريق التّقابل وجود السّين وحدة صوتيّة متميّزة ووجود الصّاد وحدة صوتيّة متميّزة أخرى في العربيّة[2].

ويشترط أن يكون هذا التقابل بين وحدات اللغة الواحدة فـ «هذا التّمييز على أساس اختلاف الصّوت واختلاف المعنى، والمعنى أمر مرتبط بالنّظام اللغوي الواحد، فالكلمة لا تؤدّي إلى معناها إلا في لغتها. شبيه بهذا مقارنة الكلمتين (تين، طين)، اختلافهما في المعنى يقوم على اختلاف الكلمتين في الصّوت الأوّل، ومعنى هذا أنّ إبدال أحدهما محلّ الآخر يغيّر المعنى، لأنّ ذلك يؤدّي إلى تكوّن كلمة أخرى بمعنى مغاير. ولو قال أحد النّاس تين وهو يريد طين أو العكس لحدث لبس في الفهم. ومن هنا نقول بأنّ التّاء في العربيّة وحدة صوتيّة والطاء وحدة صوتيّة مستقلّة أخرى»[3].

وتمثّل الحركة جزءا من الوحدات الصّوتيّة التي تشارك في تحديد الدلالة، والحركة التي تأتي مصاحبة لأصوات الكلمة تسمّى حركة البناء أو الشّكل، وهي التي يصبح الكلام بها مشكولا، وأمّا الحركة التي تقع في أواخر الكلمة، فتسمّى حركة الإعراب، وهي الحركة التي تبيّن وظيفة الكلمة في التّركيب، فالحركات وحدات صوتيّة لها وظيفة معيّنة في التّركيب الصّوتي[4]، وبائتلافها والصّوامت ننتقل إلى الدّرجة الثّانية في السّلّم الهرميّ للوحدات الصّوتيّة بعد الفونيمات وهي : المقاطع المكوّنة من فونيمات بترتيب معيّن.

وتكمن أهمّية المقاطع في الإنتاج الشّفهي للغة في أنّه من غير الممكن النّطق بالفونيمات ما لم تأتلف والصّوائت ضمن نظام مقطعيّ ما، فاللغة كلام، والمتكلّمون لا يستطيعون نطق أصوات الفونيمات كاملة بنفسها، أو هم لا يفعلون ذلك إن استطاعوا،

[1]- مدخل إلى علم اللغة: محمود فهمي حجازي، دار قباء، مصر، دط، دت، ص: 37-38.
[2]- ينظر: المرجع نفسه.
[3]- المرجع نفسه.
[4]- ينظر: التّنوّعات الدّلالية للصّوائت العربيّة في المستويات اللغوية، أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الدّكتوراه، تخصّص لسانيات/ إعداد: سفيان جحافي، قسم اللغة العربيّة وآدابها، كلّية الآداب والفنون، 1437ه-1438ه/2016م- 2017م، جامعة وهران، ص: 02.

وإنّما ينطقون الأصوات في شكل تجمّعات هي المقاطع، ولذا يقال إنّه في المقطع يخرج الفونيم إلى الحياة[1]، و«يرى Stetson أنّ المقطع هو الوحدة الصّغرى لأنّه يرفض تقسيم الكمّ المتّصل إلى أصوات، لأنّ الأصوات في رأيه "ليس لها وجود مستقلّ في الكلام"».[2]

وعُرّف المقطع على أنّه «وحدة صوتيّة تتكوّن من عدّة أصوات، ولكن يمكن أن تتكوّن من صوت واحد فقط بشرط أن يكون صائتا. ولكلّ مقطع نواة تأخذ النّبرة المناسبة. وقد يكون المقطع كلمة مثل (قف) أو جزءا من كلمة تتكوّن من مقطعين أو أكثر مثل (اجلس). وللمقطع في كلّ لغة نظام خاص يحكم عدد وترتيب الصّوامت والصّوائت».[3]

ونظرا لاختلاف النّظام المقطعي من لغة لأخرى اختلفت تعاريفه، ومن اللغويّين من يرى أنّ «تعريف المقطع الذي يتلاءم مع طبيعة النّظام المقطعي في اللغة العربيّة الفصحى هو: "عبارة عن قمّة إسماع –حركة، وهذه القمّة قد تكون مقطعا مستقلا، وقد تكون جزءا من مقطع يتكوّن منها ومن صامت قصير، أو صامتين قصيرين، أو ثلاثة صوامت قصار، أو صامت قصير وصامت طويل، أو صامتين قصيرين وصامت طويل"».[4]

والنّطق بمقطع صوتيّ يتطلّب القيام بطائفة من عمليات الانفتاح والانغلاق في جهاز التّصويت والفترة الفاصلة بين عمليتين من عمليات غلق جهاز التّصويت (سواء أكان الغلق كاملا أو جزئيّا) هي التي تمثّل المقطع[5]، وله ثلاثة أقسام هي: المطلع، والقمّة أو النّواة أو المركز، والخاتمة. ويطلق على المطلع والخاتمة معا اسمي طرفي المقطع، أمّا النّواة والخاتمة، فيطلق عليهما اسم اللب. ويشكّل اللبّ العنصر الأساس في تحديد الخصائص الفونولوجيّة للمقطع.[6]

---

[1]- ينظر: دراسة الصّوت اللغوي: أحمد مختار عمر، ص: 281-282.
[2]- المصدر نفسه، ص: 161.
[3]- معجم علم الأصوات: خولي، ص: 160.
[4]- دراسات في علم الأصوات: حازم علي كمال الدّين، ص: 88.
[5]- ينظر: دروس في علم أصوات العربيّة: جان كانتينو، ترجمة: صالح القرمادي، نشريات مركز الدّراسات والبحوث الاقتصاديّة والاجتماعية، الجامعة التّونسيّة، دط، دت، ص: 188.
[6]- ينظر: علم الأصوات العربيّة: محمد جواد النّوري، ص: 234.

والمقاطع أنواع ذكر "الفارابي" نوعين منها: الطّويل والقصير وعرّفهما بأنّ كلّ حرف غير مصوّت أتبع بمصوّت قصير قرن به، فإنّه يسمّى "المقطع القصير"، والعرب يسمّونه "الحرف المتحرّك، من قبل أنّهم يسمّون المصوّتات القصيرة حركات. وكلّ حرف غير مصوّت قرن به مصوّت طويل، فإنّا نسمّيه المقطع الطّويل.[1]

وحقيقة المقاطع في اللغة العربيّة: ثلاثٌ أساسيّة هي:

1. المقطع القصير ص ح، مثل: رَ، حُ، بِ.
2. المقطع الطّويل المفتوح ص ح ح، مثل: وا، لا، يا.
3. المقطع الطّويل المقفل ص ح ص، مثل: من، عن.

ومقطعين في حالة الوقف هما:

1. المقطع المديد المقفل بصامت ص ح ح ص، مثل: نام ، ونات من بنات.
2. المقطع المديد المقفل بصامتين ص ح ص ص، مثل: مجد، وشهد.

وهذان المقطعان الأخيران يختفيان عند وصل الكلام. غير أنّ في العربيّة كلمات تضمّنت مقطعا من النّوع الرّابع في وصل الكلام، وهي كلمات قليلة الاستعمال نسبيّا، مثل: الضّالّين، والصّافّات، والحاقّة ...إلخ.[2]

وكما لم يستصغ العربيّ توالي فونيات استثقل النّطق بها، نحو سص، وطس، وظث، وثظ، وضش، وشض[3]، استثقلت الضّمّة في الياء وفي الواو، وإن كانت في الواو أثقل[4]، وفي مقابل ذلك كان «الفتح أخفّ عليهم من الضّمّ والكسر، كما أنّ الألف أخفّ من الواو والياء»[5]، وممّا يدلّك على ذلك فتح عين الفعل إذا كان حلقيّ العين أو اللام، لما في الحروف الحلقيّة من مشقّة وازنتها خفّة الفتحة.

حتّى أنّ فتح الحروف الحلقيّة ونظرا لخفّته تجاوز القاعدة الصّوتيّة سابقة الذّكر ليصبح مظهرا لهجيّا نسب إلى بني عقيل، في كلّ اسم وقع فيه أحد الحروف الحلقيّة بعد

[1]- ينظر: الموسيقى الكبير: الفارابي، ص: 1075.
[2]- ينظر: علم الأصوات: برتيل مالبرج، ص: 166.
[3]- ينظر: الخصائص: ابن جنّي، ج: 01، ص: 55.
[4]- ينظر: الكتاب: سيبويه، ج: 03، ص: 590.
[5]- المصدر نفسه، ج: 04، ص: 115.

فتح؛ نحو: الدَّهَر[1]، وعلّل سيبويه ذلك بقوله: «هذا باب ما يكون يفعل من فَعَل فيه مفتوحا: وذلك إذا كانت الهمزة، أو الهاء، أو العين، أو الحاء، أو الغين، أو الخاء، لاما أو عينا»[2]؛ وعلّل ذلك بقوله: «وإنّما فتحوا هذه الحروف لأنّها سفلت في الحلق، فكرهوا أن يتناولوا حركة ما قبلها بحركة ما ارتفع من الحروف، فجعلوا حركتها من الحرف الذي في حيّزها وهو الألف، وإنّما الحركات من الألف والياء والواو».[3]

ولا يقتصر تعليل استعمال الصّوائت في البناء اللغويّ على المناسبة الصّوتيّة المعنوية بالميل إلى الخفّة في النّطق، فجلّ المسألة يوحي بشيء أدقّ من هذا التّعليل؛ لأنّنا نجد في كثير من الاستعمالات الثّقل في استعمال حركة ما من دون أخرى ولكنّ الاستعمال يلتزم الثّقل، وذلك لأنّه يُؤْثِر شيئا يرتبط بهذه الحركة وهو ما لا يمكن تجاهله لارتباطه بأغراض من مصاديقها المعنى.[4]

وذهب "الأنباري" إلى أنّ المعنى الذي توحي به هذه الحركات له علاقة بخصائصها الصّوتيّة، فقال في وصف الكسرة: «هي وسط بين الفتحة والضّمّة مخرجا ومعنى، وبين الاتّساع والضّيق، وهي تدلّ على التّواضع واللين والرّقة وإظهار الضّعف. يدلّ على ذلك أنّها حركة المؤنّث قصيرة كانت كما في نحو: أنتِ ورأيت الأمّهات، وطويلة نحو: أنتِ تقومين وتركعين وتسجدين»[5].

وفي الأفعال تحتكم دلالة الصّيغة الصّرفيّة إلى حركة عينه بحيث كانت حركة الفتح بمعنى التّأثير على العالم الخارجيّ وهو عمل صادر عن الإرادة، مثل ضرب وقتل وخرج ونطح وقطع وأكل وفتح ودحل وصرع... إلخ، وكلّها أفعال مفتوحة العين لأنّ الفتحة تدلّ على العمل الصّادر عن الفاعل بإرادة منه حقيقة أو مجازا- ثمّ حركة الكسر أي التّأثّر الذي يحصل للفاعل من طرف العالم الخارجيّ، فالكسر والخسر والقصر والخزل كلّها بمعنى حصول الشّيء للفاعل المغلوب المقهور. فالفعل المكسور العين يدلّ على كلّ ما يحصل للفاعل بدون إرادة منه حقيقة أو مجازا مثل مرض وحزن

[1] - ينظر: الموازنة بين اللهجات العربيّة الفصيحة دراسة لسانية في المدوّنة والتّركيب: عبد الجليل مرتاض، دار هومة، الجزائر، دط، دت، ص: 68.
[2]- المصدر نفسه، ج: 04، ص: 101.
[3]- المصدر نفسه.
[4]- ينظر: مفهوم الإعراب في كتاب سيبويه دراسة في تحليل الكلام وارتباطه بالمعنى: ليث قابل عبيد الوائلي وسلام موجد خلخال الزّبيدي، مجلّة الكلّية الإسلامية، النّجف الأشرف، العدد 41، المجلّد:1، سنة 2016، ص: 263.
[5]- الفتحة في سورة البقرة دراسة إحصائية تحليلية: ياسر بن حمدو بن محمد الدّرويش، ص: 275.

وعطش وعلم وفرح وسقم وغرق وعور وحدب وجزع ... إلخ، ثمّ الضّمّ (والطّمّ والتّمّ وكلّها تدلّ على التّجمّع والكثرة والدّوام والثّبات): حسن وخشن وكبر وصغر وقرب وعرج وعور ودخن وشرف وكلّها بمعنى حصول الشّيء للفاعل لا حصولا طارئا أو مؤقّتا كما هو في فعل بل بكثرة ودوام وثبات ونهاية[1]، وفي حديثه عن المشتقّات ميّز "سيبويه" من اسم الآلة «كلّ شيء يعالج به فهو مكسور الأوّل».[2]

ويرى "ابن قيّم الجوزيّة" أنّ «الفتح ينبئ عن الكثرة، ويشار به إلى السّعة، والضّمّ الذي هو ضدّه ينبئ عن القلّة والحقارة، كما تجد المقلّل للشّيء يشير إليه بضمّ فم أو يد، كما فعل رسول الله -صلى الله عليه وسلّم- حين ذكر ساعة الجمعة، وأشار بيده يقلّلها، فإنّه جمع أصابعه وضمّها ولم يفتحها»[3]، وهذا أقرب ما يكون لتعليل العلامات الإعرابيّة، لأنّ المرفوعات أقلّ من المنصوبات.

ومن المحدثين من لجأ في هذا الباب إلى الجانب النّفسيّ لعلاج المسألة فقالوا: «إذا قال القدماء بخفّة الفتحة وثقل الضّمّة والكسرة باعتمادهم على ظاهرة الجمال الصّوتي فذلك له أساس في أعماق الإنسان ألا وهو الكلام المفتوح يروق لما يوحي به من حركة ونشاط وحيويّة وإرادة بالنّسبة إلى الكلام المكسور الذي يشير إلى الانهزام والخضوع والرضوخ وبالنّسبة إلى الضّمّ الذي يدلّ على التّراكم والتّفاقم والسّكون والرّكود».[4]

وإذا كان هذا من أمر الصّوائت القصيرة، فقد اهتمّ "عبّاس حسن" بما توحي إليه الحروف، فجعل مهمّة ألف المدّ أو الألف اللّيّنة مانحة لصفة الإطالة فقال: «يقتصر تأثيرها في معانيها على إضفاء خاصية الامتداد عليها في المكان أو الزمان . كما في (باب- سماء- كافة- إلى - على....)»[5]، وإن كنّا نرى أنّ خاصّية الامتداد تلك في أصوات المدّ عموما والألف على وجه مخصوص لا تقتصر على المكان والزمان؛ إنّما تسقط على أيّ موقف أو شعور يتمّ التعبير عنه. بينما نقل في معنى الياء قول

[1]- فلسفة الحركات في اللغة العربيّة: أحمد الأخضر غزال، مجلّة اللسان العربي، العدد: 10، سنة: 1973، ص: 70.
[2]- الكتاب: سيبويه، ج: 04، ص: 94.
[3]- بدائع الفوائد: ابن قيّم الجوزيّة، ص: 64.
[4]- فلسفة الحركات في اللغة العربيّة: أحمد الأخضر غزال، ص: 70.
[5]- خصائص الحروف العربيّة ومعانيها، عباس حسن، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، سوريا، ط: 1998م، ص: 95.

"العلاييلي":« إنها (للانفعال المؤثر في البواطن)»[1]. في حين يوحي صوت الواو بلانفعال المؤثر في الظّواهر.[2]

أمّا النّون فلها تلوّنات عديدة مكّنتها من قبول الإيحاءات المتناقضة فهي إذا لُفظ مخفَّفاً مرقَّقاً أوحى بالأناقة والرقة والاستكانة، وإذا لفظ مشدداً بعض الشيء. أوحى بالانبثاق والخروج من الأشياء، تعبيراً عن البطون والصميمية[3]، أما إذا لفظ بشيء من الشدة والتوتر، فلابد لموحياته الصوتية أن تتجاوز ظاهرة الانبثاق العفوية، إلى النفاذ القسري والدخول في الأشياء، وإذا لفظ بشيء من الخنخنة (إخراج الصوت من الأنف). أوحى بالنتانة والخِسّة.[4]

ثانيا: الوظيفة الصرفية:

يمكن تتبّع الوظائف الصّرفيّة للأصوات بالاعتماد على الميزان الصّرفي، و«أصوات الميزان الصّرفي منقسمة إلى مجموعتين: مجموعة الصّوامت (ف ع ل)، وهي مادّة الوزن، ومجموعة الحركات، ويؤتى بها من الموزون كيفما كانت. ووزن الكلمة باعتبار أصواتها ينتقي منتهى الدّقّة في محاذاة الأصول بالأصول، والزّوائد بالزّوائد، ...وأمّا اعتبار الإيقاع فهو مرتبط بنوع المقطع وتوزيعه داخل الصّيغة الموزونة، ولذلك لا ينظر فيه إلى المحاذاة اللازمة في الوزن الصّوتي، بل إلى محاذاة أخرى، هي مقابلة المقطع القصير بقصير مثله، والطّويل المقفل بمثيله، والمفتوح بنظيره في الميزان دون نظر إلى عناصر المقطع الواحد، من الأصول أو من الزّوائد»[5].

وهذا ضرب من التّصريف يجعل الكلمة على صيغ مختلفة، لضروب من المعاني، نحو: ضرب، وضرّب، وتضرّب، وتضارب، واضطرب. فالكلمة التي هي مركّبة من ضاد وراء وباء، نحو "ضرْب"، قد بنيت منها هذه الأبنية المختلفة، لمعان مختلفة. ومن هذا النّحو اختلاف صيغ الاسم، للمعاني التي تعتوره من التّصغير والتّكسير، نحو: زُييد، وزيود، وأكثر هذا النّحو من التّصريف مبنيّ على معرفة الزّائد

[1]- المصدر نفسه، ص:97.
[2]- ينظر: المصدر نفسه، ص:76.
[3]- ينظر: المصدر نفسه، ص: 158.
[4]- ينظر: المصدر السّابق.
[5]- المنهج الصّوتي للبنية العربيّة: عبد الصّبور شاهين، ص: 49.

من الأصلي[1]، وأشار أندري ما رتيني في العصر الحديث إلى هذا بالتّمفصل المزدوج، وأطلقت المدرسة الوظيفية اسم "المونيم" على أصغر وحدة دالّة دنيا ممكنة، مميّزة بين ضربين من المونيمات: المونيمات المعجميّة (ذات الجذر الأصل غير المزيد)، والمونيمات النّحويّة أو المورفيمية[2].

والحروف الزّائدة عن الأصل (ف ع ل) مجموعة في قولك: سألتمونيها، تتبّعها الصّرفيون في الأبنية وموازينها، وبيّنوا دلالة كلّ صيغة في كتبهم على نحو ما فعل "أبو حيّان الأندلسي" من القدامى في كتابه "ارتشاف الضّرب" و"محيي الدّين عبد الحميد" من المحدثين في كتابه "دروس في التّصريف"، وأكثرها استعمالا في هذا الباب الألف والواو والياء؛ يقول "سيبويه" «فأمّا الأحرف الثّلاثة فإنّهنّ يكثرن في كلّ موضع، ولا يخلو منهنّ حرف أو من بعضهنّ، إلا أنّ الواو لا تلحق أوّلا ولا الياء أوّلا فيما ذكرت لك. ثمّ ليس شيء من الزّوائد يعدل كثرتهنّ في الكلام، هنّ لكلّ مد، ومنهنّ كلّ حركة، وهنّ في كلّ جميع، وبالياء الإضافة والتّصغير، وبالألف التّأنيث. وكثرتهنّ في الكلام وتمكّنهنّ فيه زوائد أفشى من أن يحصى ويدرك، فلمّا كنّ أخوات وتقاربن هذا التّقارب أجرين مجرى واحدا».[3]

وتخرج ألف الوصل في أوّل الكلم لأنّها أضيفت ليُتمكّن من النّطق بالسّاكن في بداية الكلمة؛ يقول "الخليل": «والألف التي في اسحنكك واقشعرّ واسحنفر واسبكرّ ليست من أصل البناء، وإنّما أدخلت هذه الألفات في الأفعال وأمثالها من الكلام، لتكون الألف عمادا وسلّما للسان إلى حرف البناء، لأنّ اللسان لا ينطق بالسّاكن من الحروف فيحتاج إلى ألف الوصل».[4]

ولا تقتصر الزّيادة على التّصريف والاشتقاق، إنّما تزاد الحروف إلى البنى بصفتها مورفيمات تؤدّي معنى إضافيّا للكلمة. وتعرّف حروف الزّيادة في هذه الحالة على أنّها: «اللواصق التي تكسب البنية دلالة إضافية مع المعنى الأصلي».[5]

---

[1]- ينظر: الممتع: ابن عصفور، ص: 37. والكتاب: سيبويه، ج: 4، ص: 318.
[2] - ينظر: علم اللسان الحديث في القرآن: عبد الجليل مرتاض، دار هومة، الجزائر، 2013م، ص: 127.
[3]- الكتاب: سيبويه، ج: 4، ص: 318.
[4]- العين: الخليل، ج: 01، ص: 49.
[5]- ظاهرة الإعلال والإبدال في العربيّة بين القدماء والمحدثين: محمد حماسة عبد اللطيف، ص: 165.

وشرح "ابن عصفور" هذا النّوع من الزّيادة بقوله: «وأمّا كون الزّيادة لمعنى فنحو حروف المضارعة، وياء التّصغير، وأمثال ذلك، فإنّه بمجرّد وجود الحرف، يعطي معنى، ينبغي أن يجعل زائدا، لأنّه لم يوجد قطّ حرف أصليّ في الكلمة يعطي معنى. على أنّ هذا الدّليل قد يمكن أن يستغنى عنه بالاشتقاق والتّصريف؛ إذ ما من كلمة فيها حرف معنى إلا ولها اشتقاق أو تصريف، يعلم به حروفها الأصول من غيرها، لكن مع ذلك قد يعلم كون الحرف زائدا، بكونه لمعنى، من غير نظر إلى اشتقاقه وتصريفه».[1]

أمّا الحروف محلّ الدراسة (الألف والواو والياء والنّون)؛ فلها معان كثيرة نجملها فيما يلي:

- **الألف:** عدّد "الخليل" اثنتان وعشرون ألفا: ألف وصل، وألف قطع، وألف سنخ، وألف استفهام، وألف استخبار، وألف التّثنية في حال الرّفع، وألف الضّمير، وألف الخروج والتّرنّم، وألف النّفس، وألف التّأنيث، وألف التّعريف، وألف الجيئة، وألف العطيّة، وألف التّوبيخ، وألف تكون مع اللام، وألف الإقحام، وألف الالحاق، وألف التّعجّب، وألف التّقرير، وألف التّحقيق والإيجاب، وألف التّنبيه[2]، وزاد "ابن جنّي" ألف التّذكّر، وألف النّدبة.[3]
- **الواو:** وهي: واو سنخ، وواو استئناف، وواو عطف، وواو في معنى ربّ، وواو قسم، وواو النّداء، وواو إقحام، وواو إعراب، وواو ضمير، وواو تتحوّل أو ،وواو في موضع بل.[4]
- **الياء:** ياء الإضافة، والياء الأصليّة، والياء الملحِقة، وياء الإطلاق، والياء المنقلبة، وياء التّأنيث، وياء التّثنية والجمع، وياء الخروج[5]، وياء التّحقير[6]، وياء المضارعة، والياء بمعنى الاسم، وياء النّسب.[7]

---

[1]- الممتع: ابن عصفور، ص: 53.
[2]- ينظر: الجمل في النّحو: الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: فخر الدين قباوة، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط: 01، 1405ه/1985م، ص: 225-226.
[3]- ينظر: سرّ صناعة الإعراب: ابن جنّي، ج: 02، ص: 719-728.
[4]- ينظر: الجمل في النّحو: الخليل بن أحمد، ص: 284.
[5]- ينظر المصدر نفسه، ص: 316.
[6]- ينظر: الخصائص: ابن جنّي، ج: 01، ص: 342.
[7]- ينظر: سرّ صناعة الإعراب: ابن جنّي، ج: 02، ص: 769، 778، 779

- **النّون:** نون سنخيّة، ونون إضمار جمع المؤنّث، ونون الإعراب، ونون الكناية، ونون زائدة في أوّل الفعل، ونون الاثنين، ونون الجمع، ونون زائدة في الاسم، ونون التّأكيد، ونون الصّرف.[1]

[1]- ينظر: الجمل في النّحو: الخليل بن أحمد، ص: 313.

ثالثا: الوظيفة النّحوية:

يعرب الاسم المتمكّن الأمكن والفعل المضارع ما لم يتّصل به شيء بالحركات الأصليّة؛ أي: الضّمّة حال الرّفع؛ نحو: الاسم (العلمُ) من قولك: "العلمُ نورٌ" والفعل (يقرأ) من قولك: "عليّ يقرأ الجريدة"، والفتحة حال النّصب؛ نحو: الاسم (الجريدة) في المثال السّابق، والفعل في قولك: "لن أيأسَ"، والكسرة حال الجرّ؛ نحو (الحركةِ) في قولك: "في الحركة بركة"، والسّكون حال الجزم؛ نحو قولك: "لم أسمع".

وَ «خصّ بالجرّ الاسم لأنّ عامله لا يستقلّ، فيحمل غيره عليه، بخلاف الرّفع والنّصب، وخصّ الفعل بالجزم لكونه فيه كالعوض من الجرّ»[1]؛ وذلك أنّه «لمّا كان الاسم في الإعراب أصلا للفعل، كانت عوامله أصلا لعوامله، فقبل رافع الاسم وناصبه أن يفرّع عليهما، لاستقلالهما بالعمل وعدم تعلّقهما بعامل آخر، بخلاف عامل الجرّ فإنّه غير مستقلّ، لافتقاره إلى ما يتعلّق به من فعل أو ما يقوم مقامه، فموضع المجرور نصب بما يتعلّق به الجار، ولذلك إذا حذف الجار نصب معموله، وإذا عطف على المجرور جاز نصب المعطوف...وجعل جزم الفعل عوضا ممّا فاته من المشاركة في الجرّ فانفرد به. ليكون لكلّ واحد من صنفي المعرب ثلاثة أوجه من الإعراب بتعادل، وذلك أنّ الجزم راجح باستغناء عامله عن تعلّق بغيره، والجرّ راجح بكونه ثبوتا، بخلاف الجزم فإنّه يحذف حركة أو حرفا فتعادلا بذلك».[2]

وتنوب عن الحركات الأصليّة حركات فرعيّة في بابي الجمع بألف وتاء والممنوع من الصّرف؛ فينصب الأوّل بكسرة نائبة عن الفتحة، ويجرّ الثّاني بفتحة نائبة عن الكسرة، وهذا أحد جوانب التّكافؤ في اللّغة.

1-الفتحة النّائبة عن الكسرة:

تنوب الفتحة عن الكسرة في باب الممنوع من الصّرف؛ إذ لا يدخله كسر ولا تنوين؛ «وإنّما نقص ذلك لأنّ كلّ ما لا ينصرف مشبّه للفعل، والفعل لا يكون فيه جرّ ولا تنوين وإنّما أشبه الفعل لأنّه قد اجتمع فيه علّتان فرعيتان، وإنّما وجب أن يكون مشبّها للفعل باجتماع علّتين فرعيتين فيه، من قبل أنّ الفعل نفسه فرع على الاسم...».[3]

---

[1]- شرح التّسهيل: ابن مالك، ج: 01، ص: 120.
[2]- المصدر نفسه، ج: 01، ص: 120-121.
[3]- شرح المقدّمة النّحويّة: ابن بابشاذ، تح: محمد أبو الفتوح شريف، رسالة مقدّمة لنيل شهادة الدّكتوراه، تخصّص: النّحو والصّرف والعروض، جامعة القاهرة، 1978م، مصر، ج: 02، ص: 43.

2-الكسرة النّائبة عن الفتحة:

ناقش "ابن" جنّي" أمر كسر هذه التّاء فقال: «ألا ترى أنّ تاء الهندات في موضع النّصب ليس له قوّة كسرها في موضع الجرّ، وإنّما هي حركة أقيمت موضع حركة، أولا ترى أنّ أبا الحسن وأبا العبّاس ومن قال بقولهما قد ذهبا إلى أنّ كسرة تاء التّأنيث في وضع النّصب إنّما هي حركة بناء لا حركة إعراب، ولم يقولوا في كسرتها في موضع الجرّ إنّها حركة بناء، بل قالا بما قال به سيبويه والجماعة من أنّها حركة إعراب. ولا شيء حملهما على أن قالا إنّ كسرة تاء ضربتُ الهنداتِ حركة بناء إلا ضعفها وقلّة تمكّنها في هذا الموضع من حيث كانت محمولة على غيرها».[1]

وعلّل "ابن بابشاذ" نيابة الكسرة عن الفتحة في هذا الباب فقال: «منصوب هذا محمول على مجروره ومجرور ما لا ينصرف محمول على منصوبه، وإنّما حُمل المنصوب على المجرور في باب الزّينبات لأنّ جمع المؤنّث السّالم فرع على جمع المذكّر السّالم، فكما أنّه قد حمل منصوب الجمع المذكّر على مجروره في مثل: مررت بالمسلمين، ورأيت المسلمين، كذلك حمل المنصوب المؤنّث على مجروره في مثل: مررت بالمسلمات، ورأيت المسلمات فاعرفه».[2]

أُستوفيت الحركات ولكونها أبعاض الحروف أجريت الحروف مجراها في الإعراب بها في الأبواب المعروفة من الأسماء السّتّة، والتّثنية، والجمع على حدّها، والأفعال الخمسة[3]:

- **الألف:** تنوب الألف عن الفتحة في نصب الأسماء السّتّة على لغة اللإتمام؛ وهي أسماء أعربت بالحروف «لأنّها أسماء حذفت لاماتها وضمنت معنى الإضافة فجعل إعرابها بالحروف كالعوض من حذف لاماتها، وقيل جعل إعرابها بالحروف توطئة لإعراب التّثنية والجمع بالحروف حتّى لا يستوحش من الإعراب بالحروف لأنّ أصل الإعراب أن يكون بالحركات لا بالحروف، وقيل: إعرابها بالحروف عن طريق الشّذوذ لأنّه لا يقاس على هذه السّتّة غيرها من نحو: يد ودم ونحوه من المحذوف اللام».[4]

---

[1]- سرّ صناعة الإعراب: ابن جنّي، ج: 01، ص: 473.
[2]- شرح المقدّمة النّحويّة: ابن بابشاذ، ج: 02، ص: 46-47.
[3]- ينظر: الأشباه والنّظائر: جلال الدّين السّيوطيّ، ج: 02، ص: 30.
[4]- شرح المقدّمة النّحويّة: ابن بابشاذ، ج: 02، ص: 56.

والألف التي تنصب بها الأسماء السّتّة ناشئة عن إشباع فتحة النّصب[1]؛ ويدلّك على ذلك قصر العلامة إذا اختلّت شروط الإعراب بالحروف؛ نحو قولك: إنّ أباك، ولو أدخلت "ال" التّعريف لقلت: إنّ الأب فقصرت الألف.

وتنوب الألف عن الضّمّة في باب المثنّى من الأسماء، و «العلّة في إعراب التّثنية بالحروف أنّ المثنّى أكثر من الواحد فجعل إعرابه بشيء أكثر من إعراب الواحد ولا أكثر من الحركة إلا الحرف، والعلّة في اختصاص المرفوع بالألف دون الواو التي هي علامة الرّفع أنّهم لو أعربوا المثنّى في الرّفع بالواو لالتبس بالجمع، ولو بقّوا الفتحة قبل الواو في التّثنية كما بقّوا الضّمّة قبل الواو في الجمع لالتبس بجمع المقصور لأنّ جمع المقصور يكون ما قبل الواو فيه مفتوحا إذا قلت: المصطفَوْن والمجتبون فإن قيل فأيّ لبس يكون في هذا ونون التّثنية مكسورة ونون الجمع مفتوحة؟ قيل النّون عارضة تزول في الإضافة فيبقى الالتباس فلذلك عدل عن إعراب رفع التّثنية بالواو إلى الألف فقيل جاءني الرّجلان والمرأتان...».[2]

- **الواو:** تختصّ الواو في هذا الباب بالدّلالة على الرّفع، وتتبّع علماء اللغة كلام العرب فوجدوا أنّ الذي يرفع بالواو لا يعدو شيئين[3]: الأسماء السّتّة إشباعا لضمّة الرّفع، وجمع المذكّر السّالم «وإنّما كان رفعه بالواو لأنّه أقوى من التّثنية فجعل إعرابه في الرّفع بحرف أقوى وأثقل وهو الواو المضموم ما قبلها، وفي الواو ستّ علامات: الجمع، والتّذكير، والسّلامة، والقلّة، علامة الرّفع، وحرف الإعراب».[4]
- **الياء:** تنوب الياء عن الكسرة في باب الأسماء السّتّة، وتنوب عن الفتحة والكسرة في المثنّى وجمع المذكّر السّالم؛ وذهب "ابن جنّي" إلى أنّ الياء في كلّ ما سبق منقلبة إمّا عن ألف كما في التّثنية أو واو كما في الأسماء السّتّة والجمع، يقول: «من حروف الإعراب التي قلبت قولهم: هذا أبوك وأخوك وحموك وهنوك وفوك وذو مال، ومررت بأخيك وأبيك وحميك وهنيك وفيك وذي مال، فكما أنّ هذه كلّها حروف إعراب، وقد تراها منقلبة، فكذلك لا يستنكر في حروف التّثنية أن ينقلب وإن كان حرف إعراب. قال أبو

[1]- ينظر: شرح الآجروميّة: محمّد بن صالح العثيمين، مكتبة الرّشد، السّعوديّة، ط: 01، 2005م، ص: 82.
[2]- شرح المقدّمة النّحويّة: ابن بابشاذ، ج: 02، ص: 66.
[3]- ينظر: شرح الآجروميّة: محمّد بن صالح العثيمين، ص: 60.
[4]- شرح المقدّمة النّحويّة: ابن بابشاذ، ج: 02، ص: 71.

علي: فلو لم تكن الواو في "ذو" حرف إعراب لبقي الاسم المتمكّن على حرف واحد، وهو الذّال».[1]

وكما جاز للألف في الأسماء السّتّة أن تقلب ياء وهي حرف إعراب، فكذلك يجوز لألف التّثنية أن تقلب ياء وإن كانت حرف إعراب[2]، ذلك أنّه «لمّا كان الاسم المثنّى معربا متمكّنا، وكرهوا أن يعتقدوا في حرف إعرابه تقدير حركة إعرابه لئلا يبقى في الأحوال الثّلاث على صورة واحدة، كما تبقى جميع الأسماء المقصورة فيها كذلك، عوّضوه من الإعراب الذي منعوه حرف إعرابه نونا، وأبدلوا من ألفه في الرّفع ياء في الجرّ والنّصب؛ ليدلّوا بذلك على تمكّنه وأنّه معرب غير مبنيّ كـ "متى" و"إذا" و"أنّى" فكان ذلك أحوط وأحزم»[3]، والقول في الجمع هنا مثل التّثنية.[4]

- **النّون:** تنوب النّون نائبة عن الضّمّة في رفع الأفعال الخمسة؛ ويدلّ على ذلك عدم وجود حرف إعراب في الأفعال الخمسة فلو كان في «"ليقومان" حرف إعراب لم يخل من أن يكون الميم أو الألف أو النون، فمحال أن تكون الميم لأنّ الألف بعدها قد صيغت معها وحصلت الميم لذلك حشوا لا طرفا، ومحال أن يكون حرف الإعراب وسطا، ولا يجوز أن يكون إلا آخرا طرفا، ولا يجوز أن تكون الألف في يقومان حرف إعراب، قال سيبويه: "لأنّك لم ترد أن تثني هذا البناء فتضمّ إليه فعلا آخر" أي: لم ترد أن تضمّ هذا المثال إلى مثال آخر، وإنّما أردت أن تُعلم أنّ الفاعل اثنان، فجئت بالألف التي هي علم الضّمير والتّثنية، ولو أردت أن تضمّ نفس الفعل إلى فعل آخر من لفظه لكانت الألف في يقومان حرف إعراب، كما كانت الألف في "الزّيدان" حرف إعراب، لمّا أردت أن تضمّ إلى زيدٍ زيدا آخر. فقد بطُل إذن أن تكون الألف حرف إعراب. وحال أيضا أن تكون النّون حرف إعراب في "يقومان" لأمرين: أحدهما أنّها متحرّكة محذوفة في الجزم، وليس في الدّنيا حرف متحرّك يحذف في الجزم. والآخر: أنّه لو كانت النّون حرف إعراب لوجب أن تجري عليها حركات الإعراب»[5].

---

[1]- سرّ صناعة الإعراب: ابن جنّي، ج: 02، ص: 700.
[2]- ينظر: المصدر نفسه، ج: 02، ص: 701.
[3]- المصدر نفسه ج: 02، ص: 707-708.
[4]- ينظر: المصدر نفسه، ج: 02، ص: 709-710.
[5]- المصدر السّابق، ج: 02، ص: 711-712.

وإذا علمت عدم وجود حرف إعراب في الأفعال الخمسة، دلّ ذلك علة أنّ النّون علامة الإعراب غير أنّ «الإعراب فيها ليس له تمكّن الإعراب الأصلي الذي هو الحركة، وإذا كان ذلك كذلك علمت بأنّ النّون في "يقومان" تقوم مقام الضّمّة في يقومُ وأنّها ليس لها تمكّن الحركة، وإنّما هي دالة عليها ونائبة عنها».[1]

- **الحذف:** نظريا الحذف ليس حرفا ولا صوتا ولكنّه ذا وظيفة نحويّة في الجزم إذ يقوم مقام السّكون في باب الأفعال النّاقصة؛ يقول :سيبويه": «واعلم أنّ الآخر إذا كان يسكن في الرّفع حذف في الجزم، لئلا يكون الجزم بمنزلة الرّفع، فحذفوا كما حذفوا الحركة ونون الاثنين والجميع. وذلك قولك لم يرمِ ولم يغزُ ولم يخشَ. وهو في الرّفع ساكن الآخر، تقول: هو يرمي ويغزو ويخشى».[2]

وتحذف النّون في الأفعال الخمسة حالتي النّصب والجزم؛ «أثبتوها في الرّفع وحذفوها في الجزم كما حذفوا الحركة في الواحد. ووافق النّصب الجزم في الحذف كما وافق النّصب الجرّ في الأسماء؛ لأنّ الجزم في الأفعال نظير الجرّ في الأسماء، والأسماء ليس لها في الجزم نصيب كما أنّه ليس للفعل في الجرّ نصيب».[3]

وتكون الحركات الإعرابيّة ظاهرة في الأصل وتقدّر إذا اعتلّ آخر الكلمة، أو اشتغل محلّها بالحركة المناسبة أو التقى ساكنان أو النّونات.

- **الحركات المقدّرة:** تقدّر الحركات في الاسم المقصور والاسم المنقوص والفعل النّاقص؛ فالاسم المقصور تقدّر على آخره كلّ الحركات لأنّه مختوم بألف لازمة، والألف ضعيفة عن تحمّل الحركة[4]؛ نحو: "مصطفى"، والاسم المنقوص منته بياء ساكنة مسبوقة بكسرة؛ فيقبل الفتحة دون أختيها لذا يعرب بفتحة ظاهرة وضمّة أو كسرة مقدّرتين؛ وذلك لخفّة الفتحة وثقل الكسرة والضّمّة[5]؛ نحو: "القاضي".

---

[1]- المصدر نفسه، ج: 02، ص: 712.
[2]- الكتاب: سيبويه، ج: 01، ص: 23. وينظر: المقتضب: المبرّد، ج: 01، ص: 272.
[3]- الكتاب: سيبويه، ج: 01، ص: 19.
[4]- ينظر: سرّ صناعة الإعراب، ج: 02، ص: 728.
[5]- ينظر: الكتاب: سيبويه، ج: 03، ص: 590، ج: 04، ص: 92.

أمّا الفعل النّاقص فألفه إمّا أن تكون منقلبة عن واو أو عن ياء، فإذا عادت إلى أصلها في المضارع قدّرت حركة الرّفع على آخره واوا كان أم ياء، «وأمّا النّصب فإنّه يدخل عليها ؛ لأنّ الألف والفتحة معها أخفّ كما كانتا كذلك في الواو. وذلك قولك: هذا راميك، وهو يرميك، ورأيت راميَك ويريد أن يرميَك»[1]؛ وعلّل "سيبويه" قبول الفتحة بقوله: «إذا قلت: أريد أن أعطيه حقّه فنصبت الياء فليس إلا البيان والإثبات، لأنّها لمّا تحرّكت خرجت من أن تكون حرف لين، وصارت مثل غير المعتلّ نحو باء ضربه، وبعد شبهها من الألف، لأنّ الألف لا تكون أبدا إلا ساكنة»[2]، ومثلها غزا يغزو، أمّا باب رضي يرضى فيعرب بالحركات المقدّرة، ويعامل معاملة الاسم المقصور.

- **قلب الحركة لاشتغال المحلّ:** إذا اتّصل الاسم بياء الملكيّة أُعرب بحركة مقدّرة على ما قبل الياء منع من ظهورها اشتغال المحلّ بالحركة المناسبة وهي الكسرة، وذلك نحو: أخي وكتابي.
- **تحريك السّاكن لالتقاء السّاكنين:** والمقصود بالسّاكن الثّاني ما يبتدأ بهمزة وصل إذ لا تنطق في الوصل، في هذه الحال يُحرّك سكون الفعل المجزوم إذا كان صحيح الآخر؛ نحو: ل"م أسمعِ الخبر"، ويحذف حرف العلّة إذا كانت الكلمة معتلّة الآخر؛ نحو: "لا تنسى البسملة" و"المصطفى الأمين".
- **توالي الأمثال من النّونات:** وذلك في الفعل المضارع المؤكّد بنون التّوكيد؛ نحو: تكتُبِنّ وتكتُبُنّ، والأصل تكتبينّ وتكتبونّ حذفت نون رفع الفعل لتوالي الأمثال ثمّ التقى ساكنان وهما واو الجماعة أو ياء المخاطبة في المثالين السّابقين والنّون السّاكنة من النّون الثّقيلة فحذفت الأولى لالتقاء السّاكنين.

وينبغي الإشارة في ختاما إلى أنّه ونظرا لخفّة الفتحة لجأ إليها العربيّ في التّعبير عن بعض المعاني؛ فنصب للتّفسير، والتّعجّب، والإغراء، والتّحذير، والأمر، والمدح، والذّمّ، والتّرحّم، والاستغناء، والدّعاء، والاستفهام...وغيرها، وجزموا للأمر والنّهي والمجازات والدّعاء.

رابعا: الوظيفة الإيقاعيّة:

[1]- المصدر نفسه، ج: 04، ص: 383.
[2]- المصدر نفسه، ج: 04، ص: 193.

يهتمّ علم الإيقاع بالنّصّ من حيث هو عبارة عن متتالية من الحركات والسّكنات مشكّلة مقاطع ذات أشكال وأطوال متعدّدة، و«المقطع هو أساس الموسيقى، إذ كلّ الأصوات تتألّف من اجتماع الحركة والسّكون، بأشكال ومقادير مختلفة. والباحثون في الموسيقى، وموسيقى الكتابة؛ شعرا ونثرا، يتحرّكون من المقطع وعليه بنوا ويبنون بحوثهم، مهما اختلفت تشكيلاتهم ووجهات نظرهم؛ ومن الأشكال التي وصلوا إليها، فيما يتعلّق بالشّعر: الأسباب والأوتاد، والفواصل، والتّفاعيل، والأبحر»[1]؛ أي كلّ ما يتعلّق بالإيقاع الخارجي للنّصّ.

والمقاطع العروضية أنواع هي:

1. **السّبب الخفيف:** وهو كلّ حرف متحرّك أتبع بحرف ساكن؛ صامت + حركة + صامت (لَمْ)، ويعتبر ذلك أبسط صورة مقطعيّة يمكن أن تتركّب منها الكلمة، التي تشّل الوحدة الأكبر في دراسته الإيقاعيّة.
2. **السّبب الثّقيل:** وهو كلّ حرف متحرّك أتبع بحرف متحرّك؛ صامت + حركة + صامت + حركة (أَرَ).
3. **الوتد المجموع:** السّبب الثّقيل متى أتبع بحرف ساكن، سمّوه "الوتد المجموع" لاجتماع المتحرّكين فيه؛ صامت + حركة + صامت + مدّ (صوت طويل) على.
4. **الوتد المفروق:** السّبب الخفيف متى أتبع بحرف متحرّك، سمّوه "الوتد المفروق"، لافتراق المتحرّكين فيه بالسّاكن المتوسّط؛ صامت + حركة + صامت + حركة (ظَهْر).
5. **الفاصلة الصّغرى:** السبب الثقيل متى أتبع بسبب خفيف، سمّي الفاصلة الصّغرى؛ صامت + حركة + صامت + حركة + صامت + حركة + صامت (جَبَلِنْ).

[1]- المنظومة في العروض والقوافي والمصطلحات الموسومة: رضوان محمد حسين النّجّار، مطبعة برصالي، تلمسان، ط: 01، 1427ه/2007م، ص: 68.

6. **الفاصلة الكبرى:** السبب الثقيل متى أتبع بوتد مجموع، سمّي الفاصلة الكبرى؛ صامت + حركة + صامت + حركة + صامت + حركة + صامت + مدّ (صوت طويل) (سَمَكَتَنْ)[1].

وأضاف "الفارابي":

7. **الوتد المفرد:** السّبب الخفيف متى أتبع بحرف ساكن، سمّي "الوتد المفرد"، لانفراد المتحرّك فيه؛ صامت + حركة + صامت + صامت.
8. **السّبب المتوالي:** السّبب الثّقيل متى أتبع بمتحرّك، فلنسمّه نحن "السّبب المتوالي" لتوالي المتحرّكات الثّلاثة فيه؛ صامت + حركة + صامت + حركة+ صامت + حركة.[2]

وذهب إلى أنّ «كلّ مقطع طويل، فإنّ قوّته قوّة السّبب الخفيف، فلذلك يعدّ في الأسباب الخفيفة، وكلّ ما لحق الأسباب الخفيفة لحق المقاطع الطّويلة. وسائر ما يركّب تركيبا أزيد ممّا عدّدناها، فإنّ جميعها مركّبة إمّا عن أسباب وإمّا عن أوتاد وإمّا عنهما جميعا»[3]، والمقصود بما زاد عن التّركيب التّفعيلات.

اتّخذ "الخليل" من أنواع المقاطع التي اكتشفها (الأسباب والأوتاد والفواصل) منطلقا في بناء الوحدات الأكبر [التّفعيلات]، وهي:

1. فعولن: مركّب من وتد مجموع (فعو) وسبب خفيف (لن).
2. مفاعيلن: مركّب من وتد مجموع (مفا) وسببين خفيفين (عي) و(لن).
3. مفاعلتن: مركّب من وتد مجموع (مفا) وسبب ثقيل (على) وسبب خفيف (تن).
4. فاع لاتن: مركّب من وتد مفروق (فاع) وسببين خفيفين (لا) و(تن).
5. فاعلن: مركّب من سبب خفيف (فا) ووتد مجموع (علن).
6. فاعلاتن: مركّب من سبب خفيف (فا) ووتد مجموع (علا) وسبب خفيف (تن).
7. مستفعلن: مركّب من سببين خفيفين (مس) و(تف) ووتد مجموع (علن).

---

[1]- ينظر: كتاب الإيقاع في الشّعر العربيّ: عبد الرحمن آلوجي، دار الحصاد، دمشق، ط: 01، 1989م، ص: 56.

[2]- ينظر: موسيقى الشّعر: الفارابي، ص: 1076-1078.

[3]- موسيقى الشّعر: الفارابي، ص: 1078-1079.

8. متفاعلن: مركّب من سبب ثقيل (مت) وسبب خفيف (فا) ووتد مجموع (علن).
9. مفعولات: مركّب من سببين خفيفين (مف) و(عو) ووتد مفروق (لات).
10. مستفع لن: مركّب من سبب خفيف (مس) ووتد مفروق (تفع) وسبب خفيف (لن)، وقد فصلت العين من اللام التي بعدها للدّلالة على انّها آخر الوتد المفروق، وللفرق بين هذا الجزء والجزء السّابع ذي الوتد المجموع[1].

وتطرأ على التّفعيلات زواحف وعلل فصّلها العروضيون، ويرى "رضوان محمد حسين النّجّار" أنّ «معظم الزّحافات تدخل تحت هاتين الإباحتين:

- أباحوا حذف الثّاني السّاكن من السّبب الخفيف، بحيث يصبح المقطع الطّويل (تَمْ)، مقطعا قصيرا: تَ.
- كما أباحوا تسكين الثّاني المتحرّك من السّبب الثّقيل، بحيث يصبح المقطعان القصيران: تَ، تَ، مقطعا طويلا تَمْ.

وقد ترجع العلّة في هذا التّسامح إلى كون الموسيقى تبنى على المقطع، والمقطع المتحرّك يكاد يكون مساويا للمقطع المكوّن من متحرّك وساكن. فالمقطع: تَ، مثلا يتضمّن حرفين: التّاء والفتحة، التي هي ألف صغيرة...وعندئذ يساوي المقطع: تَمْ، لأنّ الميم السّاكنة استدعت خطف الألف الصّغيرة المقدّرت بين التّاء والميم، لأنّ تلك الألف حرف مدّ ساكن، والميم حرف ساكن، ولا يجوز التقاء ساكنين».[2]

أمّا البحر فهو الوزن الخاصّ الذي على مثاله يجري النّاظم، و«الوزن أبعاد زمنيّة محدّدة في إيطار التّفعيلات، التي بنيت بدورها من الأسباب والأوتاد والفواصل (المقاطع)».[3]

وتختلف الأوزان لتشكّل ستّة عشر بحرا، وضع "الخليل" أصول خمسة عشر منها وزاد "الأخفش الأوسط" بحرا آخر سمّاه المتدارك، وهي ثلاثة أقسام:

1- الممتزجة: تختلط فيها تفعيلات خماسية كفعولن أو فاعلن بأخرى سباعيّة كمستفعلن أو متفاعلن، وهي:

---

[1]- ينظر: ميزان الذّهب: السّيّد أحمد الهاشميّ، ص: 10-11.
[2]- المنظومة في العروض والقوافي والمصطلحات الموسومة: رضوان محمد حسين النّجّار، ص: 70.
[3]- كتاب الإيقاع في الشّعر العربيّ: عبد الرحمن آلوجي، ص: 60.

أ-الطّويل:

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن

ب-المديد:

فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلاتن فاعلن فاعلاتن

ج-البسيط:

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن

2-السّباعيّة: تتكوّن من تفعيلات سباعيّة في أصل وضعها، وهي:

أ-الوافر:

مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن

ب-الكامل:

متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن

ج-الهزج:

مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن

د-الرّجز:

مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن

ه-الرّمل:

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن.

و-السّريع:

مستفعلن مستفعلن مفعولات مستفعلن مستفعلن مفعولات.

ز-المنسرح:

مستفعلن مفعولات مستفعلن مستفعلن مفعولات مستفعلن.

ح-الخفيف:

فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن.

ط-المضارع:

مفاعيلن فاع لاتن مفاعيلن فاع لاتن.

ي-المقتضب:

مفعولات مفتعلن مفعولات مفتعلن

ك-المجتثّ:

مستفعلن فاع لاتن مستفعلن فاع لاتن

3-خماسيين: وهما:

أ-المتقارب:

فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن

ب-المتدارك:

فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن [1].

وتتكرّر في نهاية الأبيات متتالية صوتيّة تسمّى القافية*؛ اختلفوا في تعريفها لأنّ عدد أصواتها يزيد وينقص؛ ولكنّ أشهر حدّ لها ما ذهب إليه "الخليل" من أنّها: «من آخر ساكن من البيت إلى أقرب ساكن يليه مع المتحرّك الذي قبله». [2]

[1]- ينظر: ميزان الذّهب: السّيّد أحمد الهاشميّ، هامش ص: 29.

*- الأصل أنّ القافية تكون نهاية البيت، وقد يصرّع الشّاعر مطلع قصيدته فيكرّر القافية في الشّطر الأوّل كنوع من التّفنّن والتّنميق، ولكنّ الشّعراء وعلى سبيل التّجديد في الشّعر لجأوا إلى تعدّد القوافي؛ فظهرت أنواع مختلفة من القوافي تبعا لعددها، فكان الشّعر المزدوج، والمشطّر، والمربّع، والمخمّس، والمسمّط والموشّح، واثتصر هذا النّوع من الشّعر على أغراض خاصّة بهم، فيها ينفّسون عن مشاعرهم وأحاسيسهم التي كانوا يرونها ملكا لهم دون غيرهم. ولذا نرى أنّ هذا النّوع من الأشعار يمثّل الشّعر الغنائي في أوضح صورة. ينظر: موسيقى الشّعر: إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط: 02، 1952م، ص: 278.

[2]- ميزان الذّهب: السّيّد أحمد الهاشميّ، ص: 108.

وانطلاقا من تعريف "الخليل"؛ تتنوّعت القوافي وتعدّدت أسماؤها تبعا لعدد الحركات بين السّاكنين؛ فكانت على النّحو الآتي:

1-المتكاوس: وهو أن يتوالى أربع متحرّكات بين ساكني القافية، كقول الشّاعر:

قَدْ جَبَرَ الدِّينَ الإِلَهُ فَجُبِرَ...

2-المتراكب: هو أن يتوالى ثلاثة متحرّكات بين ساكنيها كقول بعضهم:

إِذَا تَضَايَقَ أَمْرٌ فَانْتَظِرْ فَرَجاً فَأَضْيَقُ الأَمْرِ أَدْنَاهُ إِلى الفَرَجْ

3-المتدارك: هو أن يتوالى حرفان متحرّكان بين ساكنيها كقول بعضهم:

مِحَنُ الفَتَى يُخْبِرْنَ عَنْ فَضْلِ الفَتَى وَالنَّارُ مُخْبِرَةٌ بِفَضْلِ العَنْبَرِ

4-المتواتر: هو أن يقع متحرّك واحد بين ساكني القافية كالدّال في جود من قول الشّاعر:

يَجُودُ بِالنَّفْسِ إِنْ ظَنَّ الجَوَادُ بِهَا وَالجُودُ بِالنَّفْسِ أَقْصَى غَايَةِ الجُودِ

5-المترادف: هو أن يجتمع ساكنان في القافية. وهو خاصّ بالقوافي المقيّدة، كالألف والدّال من "جواد" في قول ابن النّبيه:

النَّاسُ لِلْمَوْتِ كَخَيْلِ الطِّرَاد فَالسَّابِقُ السَّابِقُ مِنْهَا الجَوَاد[1].

وأيّا كانت القافية، يشترط أن يتكرّر آخر صوت صامت منها في كلّ قوافي القصيدة، ويسمّى الرّوي، ويمثّل أهمّ حروف القافية الستّ؛ وهي:

1-الرّوي: الرّويّ هو «أقلّ ما يمكن أن يراعى تكرّره، وما يجب أن يشترك في كلّ قوافي القصيدة ذلك الصّوت الذي تبنى عليه الأبيات، ويسمّيه أهل العروض بالرّويّ. فلا يكون الشّعر مقفى إلا بأن يشتمل على ذلك الصّوت المكرّر في أواخر الأبيات. وإذا تكرّر وحده ولم يشترك مع غيره من الأصوات عدّت القافية حينئذ أصغر صورة ممكنة للقافية الشّعريّة. وقد بنى شوقي البيتين التّاليين من قصيدته في انتحار الطّلبة على أصغر صورة من صور القافية:

[1]- ينظر: ميزان الذّهب: السّيّد أحمد الهاشميّ، ص: 117-118.

راحِلاً في مِثْلِ أَعْمارِ المُنى ذاهِباً إلى مِثْلِ آجالِ الزَّهْرِ

هارِباَ مِنْ ساحَةِ العَيْشِ وَما شارَفَ الغَمْرَةَ مِنْها وَالغدُر»[1].

ويمكن لجميع الحروف أن تكون رويّا إلا الواو، والياء، والألف اللواتي يكنّ للإطلاق، وهاء التّأنيث، وهاء الإضمار إذا تحرّك ما قبلها، وألف الاثنين، وواو الجمع إذا انضمّ ما قبلها[2].

2-الوصل: بيّن "الأخفش" أنّ الوصل «لا يكون إلا ياء، أو واوا، أو ألفا كلّ واحدة منهنّ ساكنة في الشّعر المطلق. ويكون الوصل أيضا هاء، وذلك هاء التّأنيث التي في "حمزة" ونحوها، وهاء الإضمار للمذكّر والمؤنّث متحرّكة كانت أو ساكنة، نحو هاء "غلامهي" و"غلامها"، والهاء التي تبيّن بها الحركة نحو"عليّه" و"عمّه" و"اقضه" و"ادعه" تريد "عليّ" و"عمّ" و"اقض" و"ادع" فأدخلت الهاء لتبيّن بها حركة هذه الحروف. فكلّ هذه الهاءات لا يكنّ إلا وصلا متحرّكات كنّ أو سواكن، ولا يجوز حركة واحدة منهنّ مع حركة مخالفة لها، ولا تكون واحدة منهنّ رويّا إلا أنّ يسكن ما قبلهنّ فيكنّ رويّا، ولا يكنّ وصلا إلا إذا سكن ما قبلهنّ؛ لأنّ الوصل إنّما يكون للحرف المتحرّك؛ لأنّه ياء تتبع كسرا أو واو تتبع ضمّا، والألف لا تتبع إلا فتحا، ولم يكن لهنّ أصول في الكلام، وهذه الهاء مشبّهة بهن وقد أجريت مجراهنّ».[3]

3-الخروج: وهو ياء، أو واو، أو ألف بعد هاء الإضمار إذا كانت وصلا.[4]

4- الرّدف: وهو عبارة عن ألف ساكنة إلى جنب حرف الرّويّ من قبله. ويكون الرّدف واوا ساكنة أو ياء ساكنة في هذا الموضع يجتمعان في قصيدة إذا انفتح ما قبلها، فإن انكسر ما قبل الياء لم يجز معها ياء مفتوح ما قبلها، وكذلك إذا انضمّ ما قبل الواو لم يجز معها واو مفتوح ما قبلها.[5]

[1] - موسيقى الشّعر: إبراهيم أنيس، ص: 245.
[2]- ينظر: كتاب القوافي: الأخفش، ص: 16-18.
[3]- المصدر السّابق، ص: 18-19.
[4]- ينظر: المصدر نفسه، ص: 20.
[5]- ينظر: المصدر نفسه، ص: 21-22.

5- التّأسيس: وهو عبارة عن «ألف يكون بينها وبين القافية حرف يسمّى الدّخيل يختلف في نفسه ولا يختلف التّأسيس والقافية ولكنّ ذلك الحرف يختلف في نفسه وحركته لازمة لا تتغيّر».[1]

6-الدّخيل: وهو «حرف فاصل بين التّأسيس والرّويّ».[2]

أمّا حركات القافية فست كذلك، وهي:

1-الرّسّ: وهو «اسم الحركة التي قبل التّأسيس».[3]

2-الإشباع: وهو حركة الدّخيل.[4]

3-الحذو: وهو «اسم الحركة التي قبل الرّدف إذا جاءت قبل الواو ضمّة وقبل الياء كسرة أو انفتح ما قبلهما معا».[5]

4-التّوجيه: وهو حركة ما قبل القافية المقيّدة، لأنّه لا يجوز تسكين ما قبلها إلا أن تكون مردفة، وقد يكون في المطلقة وقد لا يكون لأنّه يجوز اسكان ما قبل المطلقة.[6]

5-المجرى: وهو حركة القافية المطلقة.[7]

6-النّفاذ: وهو حركة الهاء التي يتبعها الخروج.[8]

والملاحظ في حركات وسكنات القافية أنّ جلّها صوائت قصيرة أو طويلة عدا الرّويّ والدّخيل. واهتمّ العروضيون بحركة الرّوي فجعلوا القافية نوعين «مسكّنة ومحرّكة فيسمّى الشّعر إذا أسكنت قافيته مقيّدا ويسمّى إذا حرّكت قافيته مطلقا».[9]

---

[1] - تلقيب القوافي وتلقيب حركاتها: أبو الحسن محمد بن أحمد ابن كيسان (ت299ه، تقديم وتحقيق وشرح: محمد إبراهيم البنّا، المكتبة المكّية، مكّة، دار ابن حزم،بيروت لبنان، ط: 01، 2006م/ 1427ه، ص: 23.

[2]- ميزان الذّهب: السّيّد أحمد الهاشمي، ص: 111.

[3]- تلقيب القوافي: ابن كيسان، ص: 31.

[4] - ينظر: ميزان الذّهب: السّيّد أحمد الهاشمي، ص: 113.

[5]- تلقيب القوافي: ابن كيسان، ص: 31.

[6]- ينظر: المصدر نفسه، ص: 32.

[7]- ينظر: المصدر نفسه، ص: 33.

[8]- ينظر: المصدر نفسه، ص: 33.

[9]- المصدر نفسه، ص: 18.

عيوب القافية على نوعين: أحدهما يلاحظ الرّويّ وحركته المجرى. والآخر يلاحظ ما قبل الرّويّ من الحروف والحركات وتسمّى السّناد؛ فأمّا النّوع الأوّل من العيوب فيجيئ على ستّة أضرب:

1-الإكفاء: هو أن يؤتى في البيتين من القصيدة برويّ متجانس في المخرج لا في اللفظ نحو "سارح –شارخ) أو "فارس-وقارص".

2-الإجازة: هو الجمع بين رويّين مختلفين في المخرج نحو "عبيد زعريق" أو "شارب- وقاتل".

3-الإقواء: هو تحريك المجرى بحركتين مختلفتين غير متباعدتين مثل الكسرة والضّمّة في قولك "فوارسٍ- ومدارسُ".

4-الإصراف: هو الجمع بين حركتين مختلفتين متباعدتين كالفتحة والضّمّة في قولك: "قدرُ- وعبرا" والفتحة والكسرة في قولك: "رداءَ- وبناءِ".

وألحق بهذه العيوب اثنان وهما:

5-الإيطاء: هو إعادة اللفظة ذاتها بلفظها ومعناها، وإنّما يجوز بمعنى مختلف نحو "إنسان" للرّجل، ولناظر العين، وأجازوا إعادة اللفظة ذاتها بمعناها بعد سبعة أبيات.

6- التّضمين: هو تعلّق ما في قافية بأخرى. وهو قبيح إن كان ممّا لا يتمّ الكلام بدونه، ومقبول إذا كان فيه بعض المعنى لكنّه يفسّر بما بعده. ومن التّضمين المستهجن قول النّابغة في مديح قوم:

وَهُمْ رَدُّوا الجِفارَ عَلى تَميمٍ وَهُمْ أَصْحابُ يَوْمِ عَكاظ إِنّي

شَهِدْتُ لَهُمْ مَواطِنَ صادِقاتٍ شَهِدْنَ لَهُمْ بِصِدْقِ الودِّ مِنِّي

علّق لفظة "إنّي" بالبيت الثّاني، وهو مردود.[1]

والسّناد هو النّوع الآخر من العيوب الطّارئة على القافية لكنْ قُبَيل رويّها. وأنواعه خمسة؛ اثنان متعلّقان بالحروف وهما: سناد الرّدف وسناد التّأسيس؛ إذ يذكران تارة

[1]- ينظر: ميزان الذّهب: السّيّد أحمد الهاشمي، ص: 119-120.

ويغيبان أخرى. وثلاثة بالحركات وهي: سناد الإشباع وسناد الحذو وسناد التّوجيه؛ حيث تختلف هذه الحركات من بيت لآخر.[1]

نستخلص ممّا سبق أنّ:

- العلامات الإعرابيّة كأيّ صوت من الصّوائت تتأثّر بما يجاورها من أصوات فتتنوّع صورها النّطقيّة إذا كان التّأثّر جزئيّا على ضربين: الأوّل من حيث التّفخيم والتّرقيق والثّاني من حيث المدّة زيادة أو نقصانا.

أمّا إذا كان التّأثّر كلّيا تبدل علامة الإعراب تبعا لقوانين المماثلة والمخالفة، وقد حاول العلماء منذ القدم تقريم تبريرات منطقيّة لهذه التّغيّرات فحصر القدماء حالات الإعلال والإبدال، ولكنّهم بنوا بعليلاتهم على فرضية لا يمكن الاعتداد بها علميّا لغياب الدّليل على صحّتها. وهكذا راح المحدثون يجتهدون في هذا الباب ومنهم من لجأ إلى علم الأصوات علّه يجد ظالته. ولكنّا استخلصنا من تجاربهم أنّ اللغة في هذا الباب خضعت للذّوق البشريّ فحذف العرب وغيّر ما استثقله إلى ما استخفّه، والدّليل اختلاف اللهجات ولغات العرب في كثير ممّا تعلّق بهذا الباب. ولا يمكن بأيّة حال من الأحوال إخضاع الذّوق البشري إلى قاعدة.

- حافظت الدّراسات القرآنية على الصّفات الخاصّة بالأصوات الفرعيّة، ولهذا لم يقدّم الدّرس الحديث أيّ إضافة تذكر لبعد عهدهم بلهجات العرب الفصيحة.
- اقتصر اختلاف القدماء والمحدثين على الجانب النّظري وذلك في ما يخصصّ الحركات الطّوال حيث جعل القدماء الصّوائت حروفا سواكن ما يختلف وطبيعتها المصوّتة حسب المحدثين وهو ما يلغي الكثير من القواعد المبنيّة على هذا الأساس، ثمّ النّون التي اعتبرها القدماء صوتا فرعيّا فيما يرى المحدثون أنّ النون صوت شديد التّأثّر بما يحيط به من أصوات لا غير.
- بنى اللغويّون مختلف فروع اللغة على أسس صوتيّة ولهذا وجدنا للصّوت وظائف أساسيّة في مختلف علوم اللغة، صوتيّا وصرفيّا ونحويّا وعروضيّا وإيقاعيّا.

[1]- ينظر: المصدر نفسه، ص: 121-122.

الفصل الثّالث: الدّراسة الأسلوبيّة للعلامات الإعرابيّة في "إلياذة الجزائر"

- المبحث الأوّل: العنوان.
- المبحث الثّاني: الإيقاع الخارجي.
- المبحث الثّالث: الإيقاع الدّاخلي.

يمثّل المستوى الأسلوبي مستوى متقدّما من الدّراسة الصّوتيّة، يقوم على المقاربة النّصّية انطلاقا من محور الاختيار العمودي ومحور التّأليف الأفقي، ثمّ ينظر في الانزياحات التي تعتري المتغيّرات الصّوتيّة على مستوى المحورين وصفا وتحليلا.

أمّا الأسلوب فهو ذلك الإبراز الذي يفرض على انتباه القارئ بعض عناصر السّلسلة التّعبيريّة، بحيث لا يمكن لهذا القارئ أن يهمل تلك العناصر دون تشويه النّصّ، كما أنّه لا يمكنه أن يكتشفها دون أن يجدها دالّة ومتميّزة[1]، حتّى إذا عُدّت الأسلوبيّة مستوى فرعيّا في اللسانيات كانت دراسة الظّواهر الأسلوبيّة الموجودة في النّظام اللغويّ هي همّها الأوّل ملتزمة في دراستها بالمقولات اللغويّة المحقّقة؛ أي باللغة المنتجة، شأنها في ذلك شأن أي اهتمام لسانيّ آخر، فتصف العناصر اللغوية والقواعد الأساسيّة المعتمدة في بناء المقولات اللغويّة أسلوبيّا، ثمّ تفسّرها.

ونقل "سعد مصلوح" عن "بيير جيرو" (Pierre Giraud) أنّ مباحث الأسلوبيات اللسانية المعاصرة تتوزّع حسب اتّجاهين أو مدرستين متنافستين، هما: مدرسة الأسلوبيات التّقليديّة التي وضع أصولها "شارل بالي" (Charles Bally) ومدرسة الأسلوبيات الحديثة التي اشتقّها "رومان جاكوبسون" (Roman_Jakobson) من الاتّجاه البنيوي لمدرسة براغ. وتتّفق المدرستان على تعريف الأسلوب بأنّه الصّيغة المميّزة للنّصّ. غير أنّ الطّائفة الأولى تبحث عن مصدر تعريفاتها في دراسة الخواص الأسلوبيّة في النّظام "أو الشّفرة" على حين تلتمسه الطّائفة الثّانية في وصف البنى الدّاخليّة للرّسالة.[2]

تهتمّ اللسانيات الأسلوبيّة بثلاثيّة (البنية/ الجمال/ المعنى)؛ فهي (الأسلوبيّة اللسانيّة) بمدارسها المختلفة «هدفها الأوّل هو التّوضيح والتّفسير ودراسة طبيعة المقتضيات التي تتحوّل فيها العناصر اللغويّة إلى محسّنات وأدوات أسلوبيّة، فضلا عن اهتمامها بطبيعة العلاقات التي بين الظّواهر الأسلوبيّة والمؤثّرات الخارجيّة».[3]

---

[1]- ينظر: معايير تحليل الأسلوب: ميكائيل ريفاتير، تر: حميد لحميداني، دراسات سال، دار النّجاح الجديدة، البيضاء، ط: 01، 1993م، ص: 21.

[2]- ينظر: في النّصّ الأدبي: سعد مصلوح، عين للدّراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، مصر، ط: 01، 1993م، ص: 18.

[3]- الأسلوبيّة اللسانيّة: أولريش بيوشِل، تر: خالد محمود جمعة، نوافذ (13)، جمادى الآخرة، 1421ه، سبتمبر، 2000م، ص: 112-113.

ولأنّ اللسانيات تساوي بين الخطابات الأدبيّة وغير الأدبيّة، دعا "ريفاتير" (Michael Riffaterre) إلى إعادة النّظر في مفهوم الوظيفة الشّعريّة التي تحدث عنها "جاكوبسون" (Roman Jakobson) في نموذجه السّداسي المعروف، فهذا المفهوم متّصل، في جانبه الكبير، بالفنون الشّعريّة. وحتّى لا تبقى هذه السّلطة الشّعريّة مهيمنة على باقي الفنون الأدبيّة الأخرى التي اعتُبرت غالبا "تابعة ومدينة للشّعر بالشّيء الكثير"، اقترح استبدال مفهوم الوظيفة الشّعريّة بمفهوم الوظيفة الأسلوبيّة.[1]

واقترح بالي (Bally) الأسلوبيّة الفونولوجية ضمن مجموعة من الأسلوبيات الفرعيّة تحت اسم "الصّوتيّة التّعبيريّة"، واكتشف تروبتسكوي (Troubetzkoy) لاحقا أنّ كلّ فعل كلاميّ عبارة عن سمات تدلّنا على من يتكلّم، وأخرى بأيّ نبرة أو لهجة يتكلّم، وتبيّن لنا أخيرا ما هو موضوع التّبليغ[2].

على المستوى الصّوتي تدرس الأسلوبيّة الأصوات من حيث هي أصغر الوحدات اللغوية المشكّلة للرّسالة ثمّ أسلوب تشكّلها؛ لينتج عن ذلك على المستوى التركيبي رسالة لغوية، وعلى المستوى فوق التّركيبي إيقاع وموسيقى؛ «ما جعل مسائله موزّعة على خمسة علوم كاملة: أربعة منها علوم لغويّة، منها اثنان يختصّان بالشّعر وهما علم العروض وعلم القوافي*، ولذلك كان الدّرس يقتصر فيهما على الموسيقى المقيّدة المشروطة في الإطار الشّعري، نضيف إليهما علم البديع ويدرس فيه عموم الكلام شعره ونثره، ويتّسع الدّرس فيه إلى كلّ ضروب الموسيقى المطلقة غير المشروطة. كما يتّسع فيه الدّرس إلى الحركة حتّى إذا لم تكن مولّدة موسيقى معيّنة. والرّابع علم الأصوات وفيه يدرس كلّ أثر مسموع من أصوات بسيطة أو مركّبة، أو من كلام مفيد أو غير مفيد. والخامس علم الموسيقى، وهو علم غير لغويّ لأنّه في الأصل لا يتركّز على الكلام».[3]

وتقع الأسلوبية الصّوتية ضمن حدود الأسلوبيات اللسانية؛ حيث أنّ «البناء الصّوتي ينهض بأعباء المعنى والإيقاع، وينفذ إلى ما وراء المستويات الواعية للتّفكير والشّعور، ويعبّر من خلال التّنوّع الجمّ الذي يتمتّع به، عن نقط التقاء علاقات متبادلة

[1]- ينظر: معايير تحليل الأسلوب: ميكائيل ريفاتير، ص: 10-11.
[2] - اللسانيات الأسلوبية: عبد الجليل مرتاض، دار هومة، الجزائر، ط: 01، 2013م، ص: 130.
*- مع خلاف حول فصل العلمين.
[3]- خصائص الأسلوب في الشّوقيات: محمد الهادي الطّرابلسي، منشورات الجامعة التونسية، تونس، دط، 1981م، ص: 19-20.

بين عناصر التّعبير. إنّ التّشكيل الصّوتي حركة الإيقاع والمعنى. وتفاعلات الإيقاع والمعاني تتداخل مع تفاعلات هذا التّشكيل. فإذا كان هناك مدلول ما فقد تغيّر حينما تقدّم الشّاعر في عمليّة تكوين الإيقاع أو لنقل في كشف المعنى»[1]، وهذا الكلام لا يخرج عن إطار الثّلاثية (البنية/ الجمال/ المعنى) التي تقوم عليها اللسانيات الأسلوبية.

ويساهم الجانب الصّوتيّ في تحقيق المعنى كغيره من المستويات اللغوية، معتمدا على طبيعة الصّوت:

أ-الأصوات فوق تركيبيّة: يمثّل المقطع والنبر والتّنغيم والفواصل الأصوات فوق تركيبيّة، وتسهم في تشكيل إيقاع وموسيقى الرّسالة، وينبغي الإشارة هنا إلى أنّنا قدّمنا الأصوات فوق التّركيبيّة لأنّ القصيدة حسب بعض النّقّاد «تبدأ عمليّة خلقها داخل العقل كنوع من الإيقاع الذي لا يكاد يستبان مدلوله، وهنا نجد شاعرا مثل الصّيرفيّ يقول عن بداياته: "كنت أترنّم بكلمات أحاول أن أربطها في أنماط موسيقيّة وإن كانت لا ترتبط معانيها ولا أفهم غاية منها ولها، ومن هذا العبث كانت المحاولات الأولى في كتابة الشّعر"».[2]

ب-الأصوات التّركيبيّة: حيث تؤثّر الأصوات التّركيبيّة في المعنى تبعا لخصائصها الصّوتيّة من مخارج وصفات، وقد يوسّع السّياق مدلول الصّوت الأصليّ أو يعدّله وقد يؤدّي إلى تغييره أو يوجّه تصوّرنا له. وبدلا من أن يكون معنى الصّوت متّفقا عليه – كما هي الحال في القول بالصّفات الصّوتيّة- يصبح ذا وجه رمزي معقّد أو يوضع تحت ضوء جديد.[3]

أمّا علاقة الموسيقى والإيقاع بالمعنى فمردّه إلى أنّ « الإيقاع الصوتي يقوم على التأثير في حاسة السمع ثم ينعكس ذلك على الحالة الوجدانية والفكرية عند المتلقي، ويترك أثراً في قواه الذهنية والتخيلية، ومن ثم يتحوّل إلى منحى ابداعي و فني بأشكاله المتنوّعة الراقية»[4]؛ ولذلك ارتبطت الأغراض الشّعريّة بالأوزان والبحور؛ فالأوزان المكوّنة للبحور عبارة عن مجموعة من المقاطع منها القصار ومنها الطّوال.

---

[1]- نظريّة اللغة والجمال في النّقد العربي: تامر سلّوم، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط: 01، 1983م، ص: 62.

[2]- حركة النّحو والدّلالة في النّصّ الشّعريّ: صالح عبد العظيم الشّاعر، الحكمة للطّباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط: 01، 2013م، ص: 05.

[3]- ينظر: نظريّة اللغة والجمال في النّقد العربي: تامر سلّوم، ص: 45.

[4]- مباحث إيقاعية في اللغة العربيّة: عبد الحكيم والي دادة، دار هومة للنّشر والتّوزيع، الجزائر، ط: 01، 2014م، ص: 01.

يناسب استعمال المقاطع الطّوال حال الصّراخ والأنين، والقصار حال الاندفاع والسّرعة في الكلام...، وبهذا يرتبط البحر والموسيقى بصفة عامّة بالحالات الانفعاليّة للمرسل، وهو أمر سنلحظه جليّا في تحليل الإلياذة لاحقا.

وربط بعضهم الجمال بالعمل الأدبيّ؛ فقالوا: «إنّ أسلوب الخطاب الأدبي لا يمكن أن يحقّق قيمته الجمالية إلا بتفاعله مع موضوعه الذي تتفاعل عناصره البنيوية وخصائصه الأسلوبية الشّكلية مع أبعاده الوظيفية ودلالاته المضمونية»[1]، وهو رأي نوافقه فيما يخصّ وجوب تفاعل أبعاد الرّسالة البنيوية والدّلالية والجمالية؛ ولكنّ ربطه بالعمل الأدبي فيه نظر، وقد يكون هذا الربط لوجوب تضمّن العمل الأدبيّ جانبا جماليّا وإبداعا وإلا فقد صفته الأدبيّة، أمّا غيره من الكلام فلا يشترط فيه إبداع ولا جمال بالمفهوم الأدبيّ، ولكن قد نصف كلام أحدهم بالجمال من حيث أنّه لبق ولطيف أو ممتع... وكلام آخر بالقسوة والشّدّة وهكذا.

تعكس الصّوائت جزءا مهما من النسيج الصوتي بدلالاتها وإيقاعاتها ووظائفها التي تتعدّى في كثير من الأحيان إلى وظائف صرفيّة ونحويّة وإيقاعيّة ودلاليّة. وما يهمّنا في هذا البحث العلامات الإعرابيّة بصفتها صوائت، إضافة إلى دلالتها النحويّة؛ فللعلامات الإعرابيّة كغيرها من الأصوات جانب دلاليّ وآخر جماليّ.

دلاليّا، تتأثّر الأصوات بشكل عامّ بمخارجها وصفاتها، ولكنّ هذا لا يعني اختيار طائفة من الخصائص أو الصّفات التي يعطيها الاستعمال اللغويّ أو الوظيفي ولا تعني الإحالة على معنى مقرّر من قبل. ولا يمكن تجاهل القوى المستمرّة في قلب اللغة أو الغضّ من تقاطعاتها المتجدّدة[2]؛ أي أنّ السياق الذي تقع فيه الصّوائت يعتبر جانبا آخر مضافا إلى المخارج والصّفات في المعادلة الدّلاليّة لهذه الأصوات.

فقد يكون للطّبيعة الانطلاقيّة أو المدّ في الصّوائت تأثير على وظيفتها الدّلاليّة حسب السّياق الذي تقع فيه؛ وذلك من خلال إظهار الصّوت الواقع قبلها ومساعدته على مضاعفة ذبذباته واسترساله في الزّمن[3]؛ فيمنح ذلك المتلقّيَ إدراكات أعمق وأكبر، ومن جهة أخرى تعمل صفة المدّ في الصّوائت على إشباع الصّوت الواقع قبلها ممّا يمنح امتدادا لقيمته الدّلاليّة والجماليّة على حدّ سواء، فإذا كان من الأصوات الجميلة العذبة

---

[1]- جماليات حضور الثّورة الجزائريّة في الشّعر العربي: دراسة البنى الأسلوبيّة في قصيدة ربيع الجزائر لبدر شاكر السّيّاب: هدى عمّاري، مجلّة اللغة الوظيفية، العدد السّادس، ص: 366.

[2]- ينظر: نظريّة اللغة والجمال في النّقد العربي: تامر سلّوم، ص: 46.

[3]- ينظر: أصوات الحركات العربيّة: دراسة دلاليّة جمالية: منال محمد هاشم نجار، ص: 158.

اللذيذة الخفيفة على اللسان جعلته الحركة الطّويلة أكثر جمالا وعذوبة. وإذا كان من الأصوات القبيحة الثّقيلة على اللسان جعلته أكثر قبحا[1]. ناهيك على أنّ خاصّية الإسماع في الصّوائت تعمل على شدّ انتباه المتلقّي من جهة، وحمل مشاعر المرسل الممتدّة وأحاسيسه العميقة[2] من جهة أخرى.

أمّا ما يتعلّق بالجانب الجماليّ للصّوائت عامّة فوضّحه "تامر سلّوم" بقوله: «أصوات المدّ واللين عنصر هامّ في جماليات التّشكيل الصّوتي وفي توضيح ما يسمّى التّأليف اللحني للشّعر وإدراك قيمته الموسيقيّة ونشاطه الإيقاعي. وهذه الفاعليّة الجماليّة تتحدّد بأشياء كثيرة منها النّغمة المميّزة لكلّ صوت من هذه الأصوات، وغنى الصّوت بالنّغمات الثّانويّة، والإحساس الحركي المصاحب للنّطق بالصّوت وكثيرا ما تكون هذه الفاعليّة غامضة أو رموزا لجوانب متعدّدة من بنية اللغة أو المعنى نفسه. وهذا هو عنوان أهمّيتها. ومتى قرّرنا هذا المبدأ فهمنا أنّ أصوات المدّ ذات دلالة ذاتيّة في خلق النّشاط الموسيقي أو تكوين المعنى، وأدركنا أنّنا، في كلّ مرّة نواجهها، أمام حقائق صعبة أو رموز مبهمة يصعب تقريرها أو تحديدها»[3]؛ وهو بهذا الكلام يشير إلى نقاط بالغة الأهمّية فيما يتعلّق بالوظيفة الجماليّة للصّوائت:

1. الصّوائت أساس التّكوين اللحني للشّعر من خلال نغماتها المميّزة وغناها بالنّغمات الثّانوية.
2. ربط بين الجمال والبنية اللغوية والمعنى؛ فلا يمكن الحكم على نصّ بالجمال إلا إذا انسجمت بنيته اللغويّة ومعناه وإيقاعاته وتكاملت.
3. أقرّ أنّ تحديد وظيفتها في التّركيب صعب؛ وذلك لارتباطه بالكثير من المعطيات اللغويّة والجماليّة، فاختيار صوت ما في تركيب الرّسالة اللغوية لا يعني الإحالة إلى معنى مقرّر مسبقا.

استنادا إلى ما سبق اخترنا الانطلاق في دراسة العلامات الإعرابيّة في "إلياذة الجزائر" أسلوبيّا، بعد طرق بوّابة النّصّ (العنوان) للتّعرّف على مقاصد المؤلّف، من إيقاع الإلياذة مرورا بالعلامات الإعرابيّة المختارة في تركيب الإلياذة حيث استعنّا

[1]- ينظر: المرجع نفسه.
[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص: 146.
[3]- نظريّة اللغة والجمال في النّقد العربي: تامر سلّوم، ص: 51.

بالأسلوبيّة الإحصائيّة قصد منح الدّراسة بعدا علميّا أدقّ، وصولا إلى المعنى الذي أضافته العلامات الإعرابيّة، وبهذا نكون قد أحطنا بالثّلاثيّة (البنية/المعنى/الجمال).

ولأنّ الأسلوبيّة تدرس النّصّ من حيث اختيار وحداته، وتأليفها، وانزياحها، وجب التّنويه إلى أنّ العلامات الإعرابيّة ثابتة أبدا في أواخر الكلم فالانزياح على محور التّراكيب لا بدّ أن يكون للكلمات المعربة في هذه الحالة وهو يخرج عن الدّراسة الصّوتيّة، ما يعني اقتصار بحثنا على دراسة المتغيّرات الصّوتيّة الأسلوبيّة (العلامات الإعرابيّة) المختارة وانزياحاتها.

المبحث الأوّل: العنوان.

يمثّل العنوان بوّابة الدّخول إلى عالم النّصّ؛ فهو المفتاح الذّهبيّ إلى شفرة التّشكيل، أو هو الإشارة الأولى التي يرسلها الأديب إلى المتلقّي، ليبلغه بقصده من الرّسالة أو النّصّ، وإن كان هذا الإبلاغ بصيغة العموم ولا يمكن بأيّة حال من الأحوال أن يفيد في نقد المقاطع الخاصّة.[1]

أُطلق على ملحمة الجزائر لـ "مفدي زكريا" اسم "إلياذة الجزائر" مجاراة لإلياذة "هوميروس" وهذا واضح في قوله:

وَقَـــــــالُوا انْحَرَفْتَ بِإِلْيَـــــــــــاذَةٍ تَلُـــــومُ الشَّبَـــــابَ وَمِثْلُكَ يَعْلُـــــــــوا

هُـــــومِـــيـرُوسُ أَرَّخَ... لَمْ يَنْتَقِدْ وَشَهْنَـــامَةُ الفُرْسِ بِالْوَصْفِ تَغْلُـــــو

فَقُلْتُ: وَشِعْرُ الخُرَافَاتِ يَفْنَى! وَشِعْرُ البُطُولَاتِ لاَ يَضْمَحِلُّ!![2]

وموازنة بين الإلياذتين ميّز "مولود قاسم نايت بلقاسم" إلياذة الجزائر عن إلياذة "هوميروس" في تقديمه للإلياذة «بالفارق العملاق: فبينما هذه الأخيرة، أي الإلياذة اليونانيّة، لا تروي إلا أساطير، نجد الإلياذة الجزائريّة قد خلّدت أمجادا حقيقية، وسطّرت تاريخ وقائع وأحداث من روائع الدّهر، لا من خلق الجنّ، ولا من اصطناع شاعر، ولكن من صنع الإنسان الجزائريّ في الميدان».[3]

ثمّ عاد المقدم للإلياذة في هامش المقطع الثّامن والتّسعين ليعلّق على الأبيات السّابقة لـ "مفدي زكريا" قائلا إنّها «إشارة واضحة إلى أنّ إلياذة الجزائر تمتاز عن غيرها بكونها وصفا لحقائق، وتسجيلا لوقائع، مع التّحذير من مغبّات وقعت فيها أمم في قمّة التّقدّم ونحن في أولى درجات السّلّم من جديد!»[4]؛ يعني مزج الحقائق بالأساطير في شهنامة الفرس التي سار "مفدي زكريا" على منهجها في جمع التّاريخ من أقدم العهود وترتيبها ترتيبا تاريخيّا.[5]

---

[1]- ينظر: معايير تحليل الأسلوب: ميكائيل ريفاتير، ص: 34.

[2]- إلياذة الجزائر: مفدي زكريا، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط: 02، 1987م، ص: 116.

[3]- المصدر نفسه، ص: 12.

[4]- المصدر نفسه، ص: 116.

[5]- ينظر: الشّاهنامة: أبو القاسم الفردوسي، ترجمها نثرا: الفتح بن عليّ البنداري، وقارنها بالأصل الفارسي، وأكمل ترجمتها في مواضع، وصحّحها وعلّق عليها، وقدّم لها: عبد الوهاب عزّام، مطبعة دار الكتب المصريّة، القاهرة، ط: 01، 1350ه/1932م، ص: 73.

وتعود فكرة الإلياذة إلى الأديب الجزائريّ "مولود قاسم نايت بلقاسم" الذي طلب من شاعر الثّورة "مفدي زكريا" نظمها؛ لأنّه -على حدّ وصفه- مناضل كبير، وشاعر ملهم، شاعر الكفاح الثّوريّ السّياسيّ، وشاعر الكفاح الثّوريّ المسلّح، صاحب الأناشيد الوطنيّة "من جبالنا طلع صوت الأحرار" سنة 1932م، و"فداء الجزائر روحي ومالي" سنة 1936م، و"قسما" سنة 1955م، و"اعصفي يا رياح"، ونشيد جيش التّحرير الوطني، ونشيد العمّال، ونشيد الطّلبة، واللهب المقدّس ... وبعضها وضعها في سجن السّركاجي.[1]

والواضح أنّ اختيار "مفدي زكريا" لنظم الإلياذة كان موضوعيا وينمّ عن معرفة مسبقة باطّلاعه وثقافته الواسعة، ناهيك عن «أنّ مفدي زكريا خلد الثورة الجزائرية بقصائده التي انبثقت عن صدق التجربة الشعرية والشعورية، كونه عايش وتعايش مع الوضع المرير التي عاشته الجزائر إبّان الاستدمار الفرنسي على الجزائر فهو استطاع أن ينزع وبجدارة لقب شاعر الثورة بدون منازع».[2]

طلب "مولود قاسم نايت بلقاسم" من شاعر الثّورة أن يضع نشيدا جديدا يجمع أناشيده كلّها، ويشمل فيه وبه تاريخ الجزائر من أقدم صورها حتّى اليوم مركّزا على مقاومتنا لمختلف الاحتلالات الأجنبيّة، وعلى العهود الحضاريّة الزّاهرة المتعاقبة، وحاضرنا ومستقبلنا في كفاحنا لاستعادة جميع ثرواتنا، ومقوّمات شخصيتنا وحصانتنا، وبناء مجد جديد لأمّتنا[3]، فقدّم لنا ملحمة من أروع ما أنتجه الأدب الجزائريّ؛ فهي إلى جانب دورها في التّاريخ، فإنّها أروع وأجمل ديوان يحتلّ مكانة مرموقة في الأدب الجزائريّ خصوصا والعالميّ عموما.

ويثير وصف إلياذة الجزائر بنشيد الأناشيد الانتباه في تقديم الطّبعة الأولى لها ؛ فقد يكون هذا الوسم دالا فعلا على نشيد يجمع أناشيد مفدي زكريا كلّها، ولكنّ أديبا متمرّسا بمكانة "مولود قاسم نايت بلقاسم" لن يغفل أنّ "نشيد الأناشيد" اسم لسفر من الكتاب المقدّس، ويرجّح أنّ هذا الوسم متعمّد لمنح ملحمة الجزائر وتاريخ الجزائر صفة القداسة من جهة، وتشبيها لها بسفر نشيد الأناشيد؛ حيث أنّ هذا الأخير يصف العلاقة المقدّسة في جميع الدّيانات السّماوية التي تجمع الرّجل والمرأة والمتمثّلة في الزّواج الذي آثر بعض رجال الدّين تأويله على أنّه العلاقة الرّوحية بين الكنيسة والرّبّ. تماما كما تعكس

---

[1]- ينظر: إلياذة الجزائر: مفدي زكريا، ص: 09.

[2]- الإيحاءات الصّوتيّة في التّعابير اللسانيّة في شعر مفدي زكريا: زهرة عدّة، مجلّة الكلم، العدد 06، 2018، ص: 11.

[3]- ينظر: إلياذة الجزائر: مفدي زكريا، ص: 09.

إلياذة الجزائر العلاقة المقدّسة والرّوحيّة التي تجمع الشّعب الجزائريّ بأرضه ووطنه (الجزائر).

المبحث الثّاني: الإيقاع الخارجي:

يُعنى الإيقاع الخارجيّ بدراسة جانبين من موسيقى النّصّ وهما الوزن والقافية*؛ ويهتمّ الوزن بالحروف المتحرّكة والسّاكنة بغضّ النّظر عن حركتها أو وظيفتها (الشّكل أو الإعراب)، بينما تنظر القافية في الحروف والحركات وعددها، ونظرا لاهتمامنا بالعلامات الإعرابيّة، اقتصرت دراسة الإيقاع الخارجي على قوافي الإلياذة إحصاء وتحليلا، دون التّفصيل في بحر المتقارب الذي نظمت الإلياذة على وزنه وأثره في المعنى، ولكن يجدر التنويه إلى أنّ الشّاعر التزم بوحدة الوزن لذا سنتجنّب تكرار البحر مع كلّ بيت نورده في البحث.

وفي ملاحظتنا قوافي الإلياذة اتّضح أنّ الشّاعر التزم وحدة القافية في كلّ مقطع من إلياذته؛ ملتزما قواعد الشّعر القديم وشروطه؛ الأمر الذي يشير إليه في المقطع (98) بقوله:

وَقَالُوا: قَصِـــيدُكَ شِعْـــرٌ قَـــــدِيمٌ يُكَبِّـــــــلُهُ بِالتَفَـــاعِيـــــــلِ غِلُّ
وَمَا حِيلَتِي ... إِنْ يَكُنْ شِعْرُهُمْ دَخِيلًا ... وَشِعْرِي يُزَكِيهِ أَصْلُ؟[1]

أوّلا: أنواع القوافي حسب التّقييد والإطلاق:

1-**القوافي المقيّدة**: القوافي المقيّدة تعني سكون الرّويّ وتطرّفه القافية أخيرا، وجاءت في 20 مقطعا من الإلياذة، وفقا للأشكال الآتية:

ص ح ح ص: جاءت القوافي المقيّدة على هذا الشّكل بنسبة 18%، وهي تضمّ صائتا واحدا طويلا تمثّل في ردف القافية، وتنوّع في الإلياذة على النّحو الآتي:

الواو: جاء الواو ردفا في هذا النّوع من القوافي مرّتين:

الأولى في المقطع الرّابع والثّلاثين (34)؛ حيث الحديث عن المواجهة الجزائر الحملات الصّليبية على المرسى الكبير ووهران بقيادة خمنيس (ximenès)؛ فقد تواطأ على الجزائر كلٌّ من الإسبان والبرتغال والفرنسيين بالتّواطئ مع لصوص أوروبا، وأنشأوا سفن قراصنة، وانهالوا على مهاجري الأندلس والبلدان الجزائريّة المتاخمة

*- لا يعني أنّ النّصّ النثري خلوّ من هذين الجانبين، ولكنّهما في الشّعر أقوى نظرا للطّبيعة الفنّية له.
[1]- إلياذة الجزائر: مفدي زكريا، ص: 116.

للبحر نهبا وسلبا، وبمساعدة الأخوين بربروس استطاعت الجزائر حسم الصّراع لصالحها.

ويوضّح "مولود قاسم" أمر مساعدة الأتراك الجزائر في مواجهة الحروب الصّليبية بقوله: «جاء الإنقاذ والمعجزة على يد بطلين خالدين تركيين: بابا عروّج، وشقيقه خير الدّين، كانا على رأس عمارة بحرية رهيبة من القرصان يعملان متطوعَيْن في سبيل الله لإنقاذ مهاجري الأندلس والاجتياز بهم إلى أرض العرب، اندلع لهيب الحماس في قلوب الجزائريين فدافعوا وانتصروا بإعانة الأتراك، واحتفظوا بديانتهم واستقلالهم، ولم يكن بيد الأتراك سوى الإشراف الروحي والباشوية التي تُسند إليهم بانتخابٍ من الديوان الذي يتكوَّن من أعيان الجزائريين».[1]

وأحسن ما يمكن اختياره حركة لهذه القافية تعبيرا عن قوّة المواجهة بين الطّرفين صوت الواو، وقد دعمه الشّاعر بصوت انفجاريّ اختاره رويّا وهو الدّال.

والثّاني في المقطع التّسعين (90): عالج الشّاعر في هذا المقطع مشكلا اجتماعيا استعصى على الجزائريّين وهو غلاء المهور ما أدّى بالجزائريّين إلى الزّواج بالأجنبيّات، وقد يكون تعليقه على هامش هذا المقطع جوابا كافيا عن علاقة أصوات القافية بمعاني المقطع؛ إذ يقول: «هذا مرض اجتماعيّ خطير من أمراضنا الأشدّ فتكا بالأمّة ولا يقضى عليه إلا بتعاون الجميع!»[2]؛ فخطر وقوّة المشكلة من جهة ودعوته إلى التّعاون والتّكاثف من جهة ثانية، يوافقان قوّة صوت الواو وتضامّ حزمه الصّوتيّة، ودعّم الشّاعر الواو هما بصوت الرّاء التّكراريّ للدّلالة على الكثرة.

الألف: استعمل ردفا اثنا عشر (12) مرّة في هذا النّوع من القوافي، في مقاطع يجمع بينها تمجيد الجزائر أرضا وشعبا وتاريخا؛ كما في المقطعين الأوّل والأخير، والتّغنّي بالثّورات الجزائريّة وثورة نوفمبر والمقاومة السّياسية وجمعيّة العلماء المسلمين، وأبطالها، إضافة إلى كلّ شابّ جزائريّ حافظ على مبادئه الإسلاميّة ولم ينسق وراء المذاهب الدّخيلة، ولم ينس "مفدي زكريا" فضل الحيوان فذكر بعض الحيوانات التي كان يستعان بها في مقاومة الاستعمار في المقطع الثّالث والسّتين (63)،

[1]- إلياذة الجزائر: مفدي زكريا، ص: 52 (الهامش).
[2]- المصدر نفسه، ص: 108 (الهامش).

وكلّ هذه المقاطع تحمل مشاعر إيجابيّة رغم صعوبة تحقيقها بسبب مختلف العراقيل التي سبّبها الاستعمار، والمختلفة باختلاف المواقف.

ويشذّ عن إيجابيّة المقاطع الاثني عشر مقطعان: الأوّل المقطع السّادس والسّتّون (66)؛ وهو تأبين للشهيد «مصطفى الفروخي الذي لقي حتفه في طائرةٍ تحطَّمت وهي تقلع من القاهرة إلى بيكين؛ حيث عُيِّن بها سفيرًا للجزائر، وقد نُقل جثمانه الشريف إلى تونس، ودُفن بمقبرة الجلاز في حفلٍ خاشع حضره أعضاء الحكومتين، الجزائرية والتّونسية، والسّلك الدّيبلوماسيّ، وأمواج الشّعب، وقد أبَّنته [يقول مفدي زكريا] بقصيدٍ نُشر بديوان اللهب المقدَّس طالعه:

أَسَفِيرًا نَحْوَ أَمْلَاكِ السَّمَاءِ أَمْ لِبِيكِينَ بُعِثْتُمْ مُصْطَفَى؟»[1].

والثّاني: واضح أنّه يعكس مشاعر غضب واستياء في المقطع الرّابع والتّسعين (94)، حيث عبّر عن غضبه من أناس كرهوا سماع صوت الأذان، مع أنّ صوت الطّبول والمزامير المنتشر بشكل فوضويّ ومزعج أطربهم.

الياء: استعملت الياء ردفا في قافية تكرّرت بأصواتها مرّتين، في مقطعين الثّاني والثّلاثين (32) والثّامن والخمسين (58)، وكلاهما يشيران إلى علاقة الجزائر بالدّول الجارة؛ ففي المقطع الثّاني والثّلاثين (32) عاد الشّاعر إلى سنة 524 هجرية أيّان أسَّس "عبد المؤمن بن علي النّدرومي" دولة الموحدين بعد أن قضى على دولة المرابطين بالمغرب الأقصى، وتقدَّم إلى المشرق فتسلَّم زمام المغربين: الأوسط والأدنى، ووحَّد بين المغرب والجزائر وتونس تحت إمرة "المهدي بن تومرت"، وركز الهلاليين الذين لم تهضمهم الدول السابقة. ثمّ زخرت الجزائر وتونس والمغرب بجموع الأندلسيين المهاجرين اطمئنانًا للأوضاع السائدة آنذاك.[2]

والثّانية في المقطع الثّامن والخمسين (58)؛ وفيه خصّ "واد سوف" بالذّكر؛ فقد كانت سوفَ ملجأ للثائرين من أشقائنا في كلٍّ من تونس وليبيا تحتضنهم وتناصرهم ضد أعدائهم. كما ناصرت ثورات المناطق الجزائريّة لها في مختلف الحروب والثّورات. ناهيك عن أنّها كانت «عاملًا قويًّا لتوحيد زنانة شمالًا والطوارق جنوبًا، وذلك أن تيكسي الملكة العرجاء أم قبائل (الجيتو) الطوارق الحاليين، مات زوجها

[1]- المصدر السّابق، ص: 84.
[2]- ينظر: المصدر السابق، ص: 50.

فتزوجت رجلًا آخر من زنانة، وأنجبت قبائل زنانة، وكان مقرها في قرية «تيكسبت» في وادي سوف، وإلى هذه المصاهرة الوحدوية يشير البيت».[1]

ص ح ح ص ح ص: جاءت القوافي المقيّدة على هذا الشّكل مرّتين، وتضمّ صائتا طويلا وهو التّأسيس، وصائتا قصيرا، وهو الإشباع؛ والملاحظ أنّ القافية نفسها تكرّرت بأصواتها في المقطعين الخامس (05) والثّامن والثّلاثين (38)؛ يقول في مطلع الأوّل:

أَفِي رُؤْيَةِ اللهِ فِكْرُكَ حَائِرُ وَتَذْهَلُ عَنْ وَجْهِهِ فِي الجَزَائِرِ[2]

ومطلع الثّاني:

تَلَقَّفَ رَايَتَكَ ابْنُ الجَزَائِرِ وَعِنْدَ ابْنِ زَيَّانَ تُبْلَى السَّرَائِرُ[3]

والألف والكسرة تناسبان الحالة النّفسيّة للشّاعر وهو يتغنّى بالجزائر ومآثر شعبها. ففي الأوّل؛ أي المقطع الخامس (05)، تغنّى بجمال الجزائر ومعالمها التي تعكس ثقافة عريقة وتاريخا زاهرا. وفي الثّاني؛ أي المقطع الثّامن والثّلاثين (38)، أشاد ببعض الثّورات الشّعبيّة ضدّ الاستعمار الفرنسيّ؛ التي تعكس عزّة الشّعب الجزائريّ، وشهامته، وإصراره، وصموده، وصدقه، وهي صفات تدعو للفخر الذي عكسه صوت الألف، أمّا الكسرة التي تدلّ على التّأثّر الذي يحصل للفاعل من طرف العالم الخارجيّ[4]، كأنّما جمال الحزائر، ثقافتها، تاريخها، شعبها بكلّ صفات النّخوة والعزّة التي يتّصف بها هبة ربّانية.

ص ح ص ص ح ص ح ص: ورد هذا الشّكل من القوافي المقيّدة مرّتين، ويضمّ ثلاث صوائت قصار. اختلقت من بيت لآخر حسب الجدول الآتي:

المقطع	الصّائت الأوّل			الصّائت الثّاني			الصّائت الثّالث		
	الضّمّة	الفتحة	الكسرة	الضّمّة	الفتحة	الكسرة	الضّمّة	الفتحة	الكسرة
15	01	06	03	02	07	01	00	09	01
92	01	05	04	01	07	02	00	09	01

الجدول رقم: (01)

[1]- المصدر نفسه، ص: 76.
[2]- المصدر نفسه، ص: 23.
[3]- المصدر نفسه، ص: 56.
[4]- فلسفة الحركات في اللغة العربيّة: أحمد الأخضر غزال، ص: 70.

يعكس الجدول مشاعر مختلطة في المقطعين، حاول الشّاعر كبحها باستعماله صوائت قصيرة تغلب عليها الفتحة، وإن تخلّلتها بضع صوائت أخرى متنوّعة بين الضّمّ والكسر، تعكسان مكانة مملكة الزّيانيين التي لم يبق إلا آثارها كنوع من البكاء على الأطلال وذكر مآثر ما يبكى عليه، في المقطع الخامس عشر (15)، والتّحمّس للملتقى السّادس للتّعرّف على الفكر الإسلامي وألم الذّكريات المزاحم الذي أراد كبته كما يوضّح في قوله:

وَتَفْتَحُ حَنَايَاكَ جُرْحاً قَدِيماً وَمَا نَامَ جُرْحُ الهَوَى بِالقِدَم

فَلَا تُفْشِ يَا قَلْبُ أَسْرَارَهَا فَإِنَّ شَهِيدَ الهَوَى مَنْ كَتَمْ[1]

وانتهت قافية المقطعين إلى فتح تتخلّله كسرة واحدة، فأمّا الفتحة قبل الرّويّ السّاكن فلتضعيف الصّوت تمهيدا للسّكوت، وأمّا الكسرة فتعبّر عن تأثّر لم يستطع الشّاعر منعه.

2-القوافي المطلقة: وردت القوافي المطلقة في الإلياذة بنسبة 80%، وهي حسب مجاريها ثلاثة أقسام:

أ-مجرى الضّمّة: جاءت بهذا المجرى مرّة واحدة في المقطع الثّامن والتّسعين (98) وفق الشّكل الآتي: ص ح ص ص ح ح، ومع رويّ اللام.

تتضمّن هذه القافية صائتا قصيرا قبل السّاكن الثّاني* وصائتا طويلا وهو الوصل في القافية.

اختلف الصّائت القصير من بيت لآخر في هذا المقطع؛ وفقا لما يمثّله اجدول الآتي:

الصّائت	الضّمّة	الفتحة	الكسرة
عدده	03	06	01

[1]- إلياذة الجزائر: مفدي زكريا، ص: 110.

*- هذا الكلام على مذهب القدماء من اللغويّين والعروضيّين الذين عدّوا العلل من السّواكن ويخالفهم المحدثون اليوم معتبرين إيّاها حركات طوالا.

الجدول رقم: (02).

طغت الفتحة على الضّمّة والياء؛ ما يدلّ أنّ الشّاعر كان يحاول ضبط انفعالاته والرّدّ على من تطاول عليه بالحجّة والبرهان وإن كان غاضبا فيما يبدو من هذا الاعتداء عليه؛ ما انعكس على استعماله الضّمّ، ومتأثّرا به الأمر الذي دلّت عليه الكسرة.

أمّا الوصل وهو الصّائت الطّويل في هذه القافية فكان الواو؛ تماشيا مع مجرى القصيدة، ودفاعه عن شعره؛ نظرا لقوّته مقارنة بأختيه؛ الألف والياء.

ب-مجرى الفتحة: الفتحة أكثر المجاري في الإلياذة بنسبة: 56% من مجموع قوافي القصيدة وجاءت وفقا للأشكال الآتية:

ص ح ح **ص** ح ح: وهو أكثر أشكال القافية ورودا في الإلياذة كلّها؛ بنسبة 19%، ويضمّ صائتين طويلين؛ ردف ووصل.
تنوّع ردف هذه القافية؛ كما يلي:

الألف: استعملت الألف ردفا في أحد عشر (11) مقطعا دلّت في مجملها على التّغنّي بمحطات تاريخية من تاريخ الجزائر؛ وهي على التّرتيب:

المقطع: الحادي والعشرين (21)؛ وموضوعه: الحضارة الأمازيغيّة؛ التي أسّسها "ماسينيسا" بعد انتصاره على روما و"سيفاكس" الموالي لها.

المقطع: الثّالث والثّلاثون (33)، وموضوعه: الدّولة الزّيانية؛ تلمسان حديثا، وأسّسها "يغمراسن بن زيّان" بعد إعلان الانفصال عن دولة الموحّدين التي أفل نجمها، وسار في تسييرها على مذهب بني عبد الواد فازدهرت.

المقطع: الأربعون (40)، وموضوعه: الثّورات الشّعبيّة؛ حيث ذكر الشّاعر ثورات شهيرة من مختلف أنحاء الجزائر؛ وهي: ثورة ولاد سيد الشّيخ، وثورة ابن شهرة وبو شوشة، وثورة المقراني والشّيخ الحدّاد وبومرزاق.

المقطع: التّاسع والخمسون (59)، وموضوعه: إضراب السّبعة أيّام، كان ذلك سنة 1957م؛ حيث أضرب الشّعب الجزائريّ لسبعة أيّام احتجاجا على الاضطهاد الذي كان

يعيشه؛ فجنّت فرنسا وارتبكت، وقامت بأعمال تخريبيّة، تحدّاها الشّعب، لينتهي الإضراب بنتائج لصالح الشّعب الجزائريّ.

المقطع: الثّاني والسّتون (26)، وموضوعه: دور الجالية الجزائريّة في فرنسا أثناء الكفاح المسلّح؛ وذلك أنّ أبناء الجزائر في فرنسا صمدوا في وجه محاولات التّنصير، وحافظوا على قيمهم وإسلامهم، ثمّ عملوا على نقل الحرب إلى داخل فرنسا نفسها، مجبرين إيّاها على الإصغاء لمطالب الشّعب الجزائريّ.

المقطع: السّبعون (70)، وموضوعه: الثّورة الزّراعيّة، وهي سياسة انتهجتها الدّولة الجزائريّة تقوم على توزيع الأراضي المسترجعة من المعمّرين على من يخدمها من الجزائريّين، اعتبرها "مفدي زكريا" امتداد لثورة نوفمبر، وأشاد بها.

وشذّ عن المعنى الإيجابيّ للألف مقطعان يلفت فيهما الانتباه إلى مكر فرنسا وخداعها، وسياستها؛ في نقطتين رئيستين، هما:

- جحود فرنسا الجائعة لفضل الجزائر عليها، واتّخاذها من حادثة المروحة ذريعة لاحتلال الجزائر، وذلك في المقطع الخامس والثّلاثين (35).
- عمل الاستعمار على تحطيم مقوّمات المجتمع الجزائري؛ دينيا، وأخلاقيا، وثقافيا بعد استقلال الجزائر سياسيّا، ولفت الشّاعر الانتباه في المقطع التّاسع والسّبعين (79) إلى الانحلال الخلقي الذي بدأ يشيع في أوساط الشّباب الجزائريّ في تلك الفترة، مؤكّدا أنّ الجزائريّين لن يستطيعوا حماية الجزائر والدّفع بها نحو عجلة التّقدّم ما لم يحافظوا على أخلاقهم ودينهم.

واصل الشّاعر في المقطع الثّمانين (80) الموضوع ذاته واصفا أكثر مظاهر الانحلال والميوعة انتشارا في المجتمع الجزائريّ، منوّها بخطورة الاستعمار الثّقافي الذي تتعرّض له الجزائر، حتّى أضحى الانحلال تقدّما في عرف البعض.

وأشار في المقطع الحادي والثّمانين (81) إلى أخطر وسيلة يستعملها هذا الاستعمار وهي المدرسة، ودعا إلى الاهتمام بما يتعلّمه الشّباب في المدارس، محذّرا من بعض المذاهب الدّخيلة التي يغرسها فيهم بعض الأساتذة المنسلخون عن قيم المجتمع الإسلاميّ، مصرّا على أنّ الاستقلال الذي نالته الجزائر استقلال سياسيّ، ولكنّها لا تزال تتعرّض لاستعمار في المجال الثّقافيّ.

وفي المقطع الرّابع والثّمانين (84)؛ آخر المقاطع التي استعملت فيها هذه القافية، أعاد الشّاعر فتح النّقاش الذي دار أثناء الملتقى السّادس للتّعرّف على الفكر الإسلامي عن دور المستشرقين، وكان ذلك بحضور كثير منهم[1]، فأكبر منهم من أنصفوا القضيّة الجزائريّة، ونبذ من طمس الحقد أبصاره.

وفي الاستعمالين ناسبت الألف بصوتها المرتفع وانفتاح الفم أثناء النّطق بها، انفعالات الشّاعر افتخارا وتنبيها.

الياء: استعملت الياء ردفا في أربعة مقاطع تحدّث اثنان منها عن ثورة الأمير عبد القادر، وثورة نوفمبر؛ وخصّ الشّاعر هاتين الثّورتين بالياء ردفا دلالة على مدى تأثّره بهما، ومكانتهما بين كلّ الثّورات؛ فبينما دلّت الألف هنا على طول مدّة هاتين الثّورتين، دلّت الكسرة على قوّة تأثيرهما.

بينما تحدّث الباقيان عن الكفاح السّياسيّ، وما عرفه من مشاكل؛ من اختلاف آراء وقمع متظاهرين كأحداث 11 ديسمبر 1960م، وسجن الأبرئاء، وفي الحالتين خلص الشّاعر إلى أنّ السّبيل الوحيد لغسل العار هو الرّصاص والنّار.

أمّا الواو فجاءت متناوبة والياء ردفا في أربعة مقاطع، على النّحو الآتي:

المقطع	11	22	24	25
الياء	07	01	02	07
الواو	03	09	08	02

الجدول رقم: (03)

يوضّح الجدول أنّ الشّاعر استعمل في المقطعين الحادي عشر (11) والخامس والعشرين (25) الياء ردفا سبع (07) مرّات من أصل عشرة أبيات في كلّ مقطع، للدّلالة على اختيار حمّام ملوان طريقه الجديد في البيت الحادي عشر (11)، والجزائر الدّين الإسلاميّ في البيت الخامس والعشرين (25)، بعد الاستفاقة طوعا. بينما دلّت الواوات المستعملة على قوّة حمّام ملوان في ملاقاة المنون، وقيام عقبة بن نافع ببناء الحصون؛ في إشارة إلى قوّة المغرب الإسلاميّ عموما والجزائر على وجه الخصوص.

[1]- ينظر: المصدر السّابق، ص: 102.

أمّا الياء فأخذت حصّة الأسد من ردف المقطعين الثّاني والعشرين (22) والرّابع والعشرين (24)؛ وكلاهما يعكس القوّة التي يريد الشّاعر التّعبير عنها؛ قوّة الأمازيغ في مواجهة الرّومان في المقطع الثّاني والعشرين (22) ، ثمّ قوّة الدّين الإسلامي في القضاء على الظّلم والبغي وخبث النّفوس في المقطع الرّابع والعشرين (24)، وبالمقابل عبّر الشّاعر عن مدى تأثير القس "أوغستين" في الأمازيغ بفلسفته وعلمه؛ وانعكس ذلك على أصوات المدّ فكانت الياء أفضل دليل على التّأثّر، الياء التي دلّ استعمالها للتّعبير عن حسن العلاقة بين الدّينين الإسلاميّ والمسيحيّ في البيتين الأوّل والأخير من المقطع الرّابع والعشرين (24)؛ لما فيها من إيحاء بالرّقّة واللين، يقول:

أولَئِكَ آباؤُنا مُنْذُ عيسى وَكانَ مَحَمَّدُ صِهْراً لِعيسى

إذا عَرَّبَ الدّينُ أَصْلابَنا فَمازالَ أَحْمَدُ صِهْراً لِعيسى[1]

ص ح ص ص ح ح: استعمل الشّاعر هذه القافية في سبعة مقاطع أي بنسبة 07% من مجموع مقاطع القصيدة؛ وتضمّ القافية إضافة إلى الوصل، صائتا قصيرا؛ تميّز باختلافه من بيت إلى آخر في كلّ المقاطع التي استعملت فيها هذه القافية؛ وفقا لما يبيّنه الجدول الآتي:

[1]- المصدر السّابق، ص: 42.

الصّوائت	المقاطع						
	07	08	16	26	45	53	64
الضّمّة	01	05	02	03	04	03	00
الفتحة	07	00	07	04	04	07	08
الكسرة	02	05	01	03	02	00	02

الجدول رقم: (04)

طغت الفتحة على جلّ المقاطع عدا المقطع الثّامن (08) الذي انعدمت به كلّيّا، وتساوت والفتحة في المقطع الخامس والأربعين (45) وحلّت الضّمّة ثانيا بعد الفتحة في مقطعين السّادس عشر (16) والثّالث والخمسون (53) الذي انعدمت فيه الكسرة، بينما حلّت الكسرة ثانية في مقطعين: السّابع (07) والرّابع والسّتون (64) لتتساوى الضّمّة والكسرة في المقطع السّادس والعشرين (26) وهو الواقع في المقطع الثّامن ولكن في غياب تامّ للفتحة، والملاحظ أنّ الشّاعر في هذه المقاطع تائه بين جمال الجزائر طبيعة وتاريخا وحضارة يتغزّل تارة بغاباتها وجبالها (باينام) وتارة أخرى بمدنها (باب الواد تيارت تلمسان)، يعبّر عن مشاعر الغضب والثّورة في وجه الاستعمار، ويبارك مؤتمر صومام وإيمانه بالكفاح المسلّح، ويضحك ويفرح لبكاء فرنسا، كانت هذه المقاطع تحمل التّناقضات، ولذا ترى التّنوّع الحاصل في الصّوائت.

ص ح ح ص ح ص ح ح: استعملت هذه القافية مرّتين؛ الأولى في المقطع الثّالث والسّبعين (73)، والثّانية في المقطع الثّالث والتّسعين (93)، وتكرّرت بالأصوات ذاتها بما فيها الرّويّ والمتمثّل في صوت النّون، جامعة بين ألفين يتوسّطهما كسر؛ وهذه التّشكيلة من الأصوات تعكس انفعالا صادقا من الشّاعر لتسامي مصادر الإشعاع -على حدّ تعبيره- مسجد كتشاوة المستعاد، وملتقى الفكر الإسلاميّ المقام بالجزائر، الذي ميّزه بجعل المقطع الذي يتحدّث عنه بأحد عشر (11) بيتا، معتبرا البيت الحادي عشر بمثابة سجدة السّهو للحفاظ على قداسة الملتقى.[1]

[1]- ينظر: المصدر السّابق، ص: 111 (الهامش).

ص ح ص ص ح **ص** ح ح: استعملت هذه القافية في 09% من مقاطع القصيدة؛ وتضمّ صائتين قصيرين مضافين إلى الوصل المتمثّل في صوت الألف في هذه القافية؛ وتنوّع الصّائتان في المقاطع التّسع وفقا لما يبيّنه الجدول الآتي:

المقطع	الصّائت					
	الصّائت الأوّل			الصّائت الثّاني		
	الضّمّة	الفتحة	الكسرة	الضّمّة	الفتحة	الكسرة
04	02	03	05	02	05	03
06	01	08	01	03	05	03
14	03	05	02	02	08	00
29	04	06	00	00	05	05
31	01	06	03	01	05	04
36	03	04	03	02	04	04
60	02	07	01	02	05	03
74	04	01	05	01	08	01
87	04	05	01	01	05	04

الجدول رقم: (05)

قافية أخرى تحمل من المشاعر المتناقضة ما تحمل ولكنّ المميّز فيها مقارنة بالقافية "ص ح ص ص ح ح"ليس الصّوائت، إنّما عدد المقاطع، وطول القافية الذي يعكس الفترات الزّمنيّة الطّويلة التي يعالج موضوعها كلّ مقطع، ولو تأمّلنا تلك المقاطع لأدركنا أنّ الحقل الدّلالي "الزّمن" حاضر في كلّ تلك المقاطع، من قبيل قوله في المقطع الرّابع (04):

وَأَلْهَمْتِ إِنْسَانَ هَذَا الزَّمَانِ فَكَانَ بِأَخْلَاقِنَا مُؤْمِنَا[1]

وقوله في المقطع السّادس (06):

هُوَ الأَطْلَسُ الأَزَلِيُّ الَّذِي قَضَى الْعُمْرَ يَصْنَعُ أُسْدَ الشَّرَى[1]

[1]- المصدر السّابق، ص: 22.

وقوله في المقطع الرّابع عشر (14):

وَفِي جَبَلِ الْوَحْشِ تَاهَتْ بِلَادِي شُمُوخاً، فَأَحْنَى الزَّمَانُ لَهَا[2]

وقوله في المقطع الحادي والثّلاثون (31):

يُجِيبُكَ ابْنُ حمديسَ فِي الخَالِدِ ينَ، وَيَصْنَعُ قَوَافِيهِ مِنْ وَحْيِنَا[3]

وقوله في المقطع السّادس والثّلاثين (36):

بَلَوْنَا السِّنِينَ الطِّوَالَ جِهَاداً تُبَارِكُنَا مُعْجِزَاتُ السَّمَا

مَضَتْ مَائَةٌ وَثَلَاثُونَ عَاماًنَذُودُ، وَنَأْنَفُ أَنْ نُهْزَمَا[4]

وقوله في المقطع السّتّين (60):

وَيَجْثُ الزَّمَانُ عَلَى قَدَمَيْـــــــــــــــــــــــــــــــهِ خُشُوعاً، وَيَرْكَعْ لَهُ مُذْعِنا[5]

وقوله في المقطع الرّابع والسّبعين (74):

وَوِحْدَةِ مَغْرِبِنَا الْيَوْمَ تَخْطُو إِلَى وِحْدَةِ المُسْلِمِينَ غَدا[6]

وقوله في المقطع السّابع والثّمانين (87):

وَثُقَّاحَةً، أَخْرَجَتْ آدَماً مْنَ الخُلْدِ، مُذْ لَعَنَتْهُ السَّمَا[7]

وإلى جانب القوافي المطلقة المفتوحة الموصولة ألفا، استعمل الشّاعر قواف مطلقة مفتوحة وُصلت هاء في 18% من مقاطع القصيدة؛ تنوّعت وفقا للأشكال الآتية:

---

[1]- المصدر نفسه، ص: 24.
[2]- المصدر نفسه، ص: 32.
[3]- المصدر نفسه، ص: 49.
[4]- المصدر نفسه، ص: 54.
[5]- المصدر السّابق، ص: 78.
[6]- المصدر نفسه، ص: 92.
[7]- المصدر نفسه، ص: 105.

ص ح ح ص ح ص: شكّلت هذه القافية 09% من قوافي القصيدة؛ وتضمّ صائتا طويلا إلى جانب المجرى المفتوح:

الألف: استعمل الألف صائتا طويلا (ردفا) في هذه القافية ثلاث مرات، أي في 03% من مقاطع الإلياذة، وتميّزت هذه المقاطع بعمقها وجدّيتها، كأنّما أراد إعلام المتلقيّ بتجذّر هذه المواضيع (الدّين، العلم والحضارة، والشّرف) في الجزائر والجزائريّين؛ ولهذا استعمل الألف والفتحة، وعزّزهما بوصل صامت (الهاء) يعكس جدّيته في الموضوع وعرضه لهذه المقوّمات دون انفعال.

الياء: استعملت الياء لوحدها صائتا طويلا (ردفا) في هذه القافية أربع مرات، أي في 05% من مقاطع الإلياذة؛ وجاءت لتفضح انفعال الشّاعر الذي حاول إخفاءه مستعينا بالهاء وصلا، تواضعا منه تارة وتعبيرا عن جدّيته في الموضوع المطروح تارة أخرى، متفاديا صفة الإطلاق في الصّوائت الطّوال الموحية بالانسياق وراء المشاعر والانفعالات؛ فتراه يهيم بحب الطّبيعة وجبال الشّريعة، ولكنه يتواضع أمام جبال الأرز بلبنان مراعيا حرمة ما بين الدّولتين، يفاخر العالم بعظماء الجزائر وعلماءها، ويشيد بأبطالهم الثّائرين، يفتخر بهزيمة الحملات التّبشيريّة، ويعلي مكانة الإسلام لدى الجزائريّين.

وبدت الجدّية واضحة عليه في المقطعين العاشر (10) والثّامن والثّمانين (88)، وهو يتأسّف لحال بعض الجزائرّيين الذين باعوا ضمائرهم وساندوا الغلاة من الاستعمار في أحداث 13 ماي، وبعض الجزائريّات اللائي سلكن بعد الاستقلال غير الطّريق السّوي؛ فكسر أسفا، وفتح جدّيّة، وأغلق المقطع بصوت الهاء كمن يتأوّه محاولا إخفاء ألمه.

واشتركت الياء والواو في مقطعين اثنين وفقا للجدول الآتي:

المقطع	الواو	الياء
30	02	08
72	01	09

الجدول رقم: (06)

والظّاهر أنّ الياء غلبت على هذين المقطعين ما أبقاهما في حدود معاني ما كان من هذه القافية بياء خالصة؛ إذ عرّف في المقطع الثّلاثين (30) بمكانة الشّريعة عبر التّاريخ منوّها بأهمّ المحطّات التّاريخية؛ وهو سبب اختيار الهاء وصلا ولكنّ الياء كانت حاضرة لتفضح عاطفة الشّاعر وتأثّره نظرا لشدّة جمالها وقوّة تأثيرها؛ يقول "العبدريّ" في رحلته عن مليانة: «لو رشّ بمائها المصروع لأفاق، كأنّ حصباءها جمان، والماء من رقّته دموع»[1]؛ فانعكست شدّة الجمال في استعمال صوت الواو للتّعبير عنها.

أمّا في المقطع الثّاني والسّبعين (72) فعبّرت الياء عن استياء الشّاعر ممّا آلت إليه حال بعض الشّباب الطّائش المتشبّه بالنّساء والخاضع لتأثير مختلف الآفات من خمر وحشيش وغيرها، وكان الاستعمال الوحيد للواو في قوله:

وَأَرْضُ الجَزائِرِ أَرْضُ الفُحولِ! فَأَيْنَ الشَّهَامَةُ؟؟ أَيْنَ الرُّجولَة؟؟[2]

تعظيما للرّجولة وتقريرا لها في أرض الجزائر.

ص ح ص ص ح ص: استعملت هذه القافية في أربع قواف؛ أي بنسبة 04% من مجموع المقاطع؛ واستحوذت الكسرة عليها فجاءت خالصة في ثلاثة من القوافي الأربعة، فيما امتزجت وشقيقتيها الفتحة والضّمّة في مقطع واحد.

عالجت المقاطع الثّلاثة الجانب الفكريّ للجزائر قبل الإسلام، وبعده، ثمّ بعد الاستقلال؛ فانتصر للحضارة الأمازيغيّة وعلمائها، وعرّف بمفكّريّ الأعصر الذّهبيّة وشعرائها، وانتهى ينعى القيم الجزائريّة عند فئة نحروا غيرتهم وتزوّجوا بالأجنبيّة؛ ولأنّ غرضه كان التّعريف بمفكّري الجزائر في مختلف العصور قصر استعماله على الياء تفاديا للانفعال ووصل قافيته هاء.

وأفرد المقطع السّابع والسّبعين (77) للتّرحّم في على قطب الأئمّة الشّيخ "طفيش محمد بن يوسف" والتّعريف به وبجهوده في نشر العلم، ومواقفه المشرّفة في الثّورة التي لم تثنه عنها ظلمات السّجون، كنموذج للعالم الجزائريّ إبّان الاستعمار؛ وهو ما انعكس صوتيّا على وجود الضّمّة الموحية بالقوّة في هذا المقطع؛ إضافة إلى الياء الدّالة على الانفعال والعاطفة، والفتحة الموحية هنا بالرّصانة والهدوء والهاء المخفاة.

[1]- المصدر السّابق، ص: 48.
[2]- المصدر السابق، ص: 90.

والملاحظ أنّ الشّاعر في هذه المقاطع أراد الإشارة إلى الجانب العلمي والفكري والثّقافي للجزائر عبر العصور المختلفة قبل الإسلام وبعده، أثناء الاستعمار وبعده، ولكنّ علماء الجزائر أثناء الاستعمار كانوا أكثر من معلّمين؛ إذ كافحوا الاستعمار إضافة إلى كفاحهم الجهل وهو الفرق بين المقطع السّابع والسّبعين (77) وباقي مقاطع هذه القافية.

ص ح ح ص ح ص ح ص: من بين كلّ الاختيارات الصّوتيّة التي تتيحها هذه القافية؛ اكتفى الشّاعر بمتتالية صائتيّة واحدة تمثّلت في: (الألف + الكسرة + الفتحة)، واستعمل هذه المتتالية في 05% من مجموع مقاطع القصيدة أرّخ فيها لبطولات الجزائر عبر التّاريخ وعلاقاتها داخليّا (في المقطعين التّاسع 09 والخامس والسّتّين 65)،وخارجيّا مع مصر (في المقطع الثّامن والعشرين 28) وليبيا وتونس والمغرب الأقصى (في المقطع السّابع والسّتّين 67) ولئن دلّ طول القافية على التّاريخ الطّويل، فإنّ وصلها هاء دلّ على محاولة الشّاعر كبح انفعالاته؛ لجدّية أكبر في التّعريف بتاريخ الجزائر وأمجادها، وإن فضحت الألف فخره والكسرة تأثّره.

ج-مجرى الكسرة: القوافي المطلقة في الإلياذة بهذا المجرى في الإلياذة وردت بنسبة 22%، وفقا للأشكال الآتية:

ص ح ح ص ح ح: استعملت هذه القافية في 10% من إجماليّ مقاطع القصيدة، تنوّع ردفها كالآتي:

الواو: استعملت الواو خالصة ردفا لهذه القافية في مقطع واحد؛ المقطع السّادس والتّسعون (96) الذي اشبعه بمشاعر وعواطف قويّة، حيث استغفر الله وطلب رحمته لما تقدّم له من ذنوب، أشار بالواو لمجموعها، تتلوها الياء الرقيقة عاكسة رحمة الله التي تتبع استغفار المذنب لذنبه ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [سورة الزمر/53].

الألف: كان الألف أكثر ردف اختير لهذه القافية بنسبة 05% من إجمالي القوافي؛ تغنّى فيها وعبّر عن إعجابه بـ:

- حمّام ريغة ذي المناظر الطّبيعية الجميلة، والذي استمدّ المجاهدون منه عزما ففجّروا الثّورة وراعو الدّنا، في المقطع الثّاني عشر (12).

- الصّحراء الجزائريّة بجمال طبيعتها، وأخلاق شعبها، وثراء باطنها، في المقطع الثّامن عشر (18).
- الجزائر التي صرّح بحبّها وتغنّى بها وبتاريخها، في المقطع التّاسع عشر (19).
- الكفاح السّياسي الذي اتّخذه "مفدي زكريّا" وسيلة لمقاومة الاستعمار مستعينا بشعره، في المقطع الثّالث والأربعين (43).
- شعره الذي سافر جاعلا منه وسيلة لتصدير الفكر الجزائري مخلّدا أمجاد الجزائر، كما صدّرت الجزائر فنّ الجهاد، في المقطع التّاسع والتّسعين (99).

وناسبت الألف افتخار الشّاعر وتغنّيه بالجزائر وكفاحها ضدّ المستعمر الغاشم، بينما وصل القافية ياء لتحرير مشاعره بحبّ الجزائر.

الياء: استعملت الياء خالصة ردفا لهذه القافية في مقطع واحد، هو المقطع السّابع والخمسون (57)؛ الذي اجتمعت فيه يائين عكستا تدفّق عواطف الشّاعر، وهو يغازل منطقة الزّاب وعروسها بسكرة؛ جمالا، وطبيعة، وتاريخا.

بينما تنوّع الرّدف بين الواو والياء في 03% من مجموع المقاطع، عبّر فيهم عن اختلاط مشاعر الألم لما اقترفه الاستعمار من مجازر في حقّ الجزائريّين في أحداث 08 ماي 1954م و20 أوت 1955م، وختم القافية بصوت الياء نعيا لضحايا هذه المجازر وترحّما عليهم في المقطعين التّاسع والأربعين (49) والرّابع والخمسين (54). كما تحدّث المقطع السّادس والخمسون (56) عن مقاومة مدينتي بونة (عنّابة حاليا) وتبسّة الاستعمار الإسباني ثمّ الفرسي بكلّ إصرار، وما قدّمتاه من شهداء، خاتما المقطع بالتّرحّم على الشّهيد "محمّد العربي التبسي". وبين الألم والإصرار على الاستقلال تنوّعت قوافي هذه القافية بين الواو والياء، واختتمت ياء ترحّما على أرواح الشّهداء.

ص ح ص ص ح ح: وردت هذه القافية في 07% من المقاطع، وانمازت هذه القافية بعدم اتزام صائت قصير معيّن في كلّ مقاطعها؛ كما يؤكّد الجدول الآتي:

المقطع	03	17	48	51	69	82	97
الضّمّة	02	04	02	01	00	00	01
الفتحة	08	03	06	07	07	08	03

الكسرة	00	03	02	02	03	02	06

الجدول رقم: (07)

مستعينا بالياء الدّالّة على على التّدفّق العاطفيّ، تغنّى الشّاعر بمقدّساته؛ المتمثّلة في: الجزائر (في المقطع الثّالث 03)، واد سوف مسقط رأسه (في المقطع السّابع عشر 17)، أحداث ماي 1954م التي أكّدت للجزائريّين عدم جدوى الكفاح المسلّح وضرورة الاستعانة بلغة الرّصاص والنّار (في المقطع الثّامن والأربعين 48)، انطلاق ثورة نوفمبر (في المقطع الحادي والخمسين 51)، انطلاق الجهاد الأكبر وبناء الجزائر اقتصاديّا وفكريا بعد الاستقلال (في المقطع التّاسع و السّتّين 69)، دفاع الشّاعر عن المذهب الذي انتهجته الجزائر بعد الاستقلال وهو المذهب الاشتراكيّ ضدّ المشكّكين في السّياسة الجزائريّة (في المقطع الثّاني والثّمانين 82)، شعره الذي وقفه دفاعا عن الجزائر وتخليدا لأمجادها مدافعا عنه ضدّ من أنكروه.

وتنوّع الصّائت القصير لهذه القافية من بيت آخر؛ ليعكس اختلاف المحطّات التّاريخيّة بين الألم، والغضب، والأمل، والتّحدّي...

ص ح ح ص ح ص ح: استعملت هذه القافية في مقطعين (02) من الإلياذة، وبنفس الصّوائت، حسب المتتالية: "ألف + كسرة + يا" متشبّهة بصيغة اسم الفاعل لتعكس الواقع من إبداع الخالق في أرض الجزائر، وما يقع من غزو فكريّ للشّباب الجزائريّ، وجعل من الياء وصلا ليعبّر عن تأثّره بجمال الجزائر وتاريخها، وحزنه على ضحايا الغزو الفكريّ والثّقافيّ من شباب الجزائر.

ص ح ص ص ح ص ح ح : وردت هذه القافية في مقطعين من الإلياذة، وتضمّ صائتين قصيرين قبل ياء المدّ (الوصل) الدّالة على تغنّيه وتدفّق عواطفه، وتنوّع صائتاها كالآتي:

المقطع	الصّائت					
	الصّائت الأوّل			الصّائت الثّاني		
	الضّمّة	الفتحة	الكسرة	الضّمّة	الفتحة	الكسرة
27	04	05	01	01	05	04

00	08	02	01	07	02	68

الجدول رقم: (08)

تغنّى الشّاعر في هذين البيتين بوحدة دول المغرب الإسلاميّ في عصر الدّولة الفاطميّة؛ حيث أبدعوا فكرا وأدبا، وهو ما انعكس صوتيّا على استعمال الشّاعر الضّمّة هاهنا لتدلّ على قوّة المغرب الإسلاميّ فكريّا، ووجود الكسرة في هذه القاقية يعكس موقفه من «أنّ المشارقة حين يؤرّخون للأدب العربيّ لا يذكرون مفاخر الجزائر وتونس والمغرب بل يقفزون من المشرق إلى الأندلس مباشرة كأنّما المغرب الكبير لا وجود له في الخريطة ولك بدافع الكبرياء والغرور ومركب الاستعلاء والمغرب الكبير يباهي المشرق في الإشعاع الفكريّ».[1]

ثمّ إبّان الاستعمار الفرنسيّ؛ في المقطع الثّامن والسّتّين (68). ولم تختلف دلالات الصّوائت في هذا المقطع عن سابقه؛ حيث دلّت الضّمّة على قوّة دول المغرب الإسلامي والتحامهم للعصف بالمستعمر الغاشم، فيما عكست الكسرة حزنه على ما أسفك من دماء في سبيل النّصر والاستقلال.

ص ح ح ص ح ص ح ح : مقطع واحد مجراه كسر، وُصِل هاء تلاها ألف (نفاذ)، جاء وفقا للمتتالية الصّائتية: (ألف + كسرة + ألف) هو المقطع الخامس والخمسين (55)؛ فناسبت الألف سرد أسطورة حمّام المسخوطين في القدم التي لا يزال سكّان قالمة سائرين على هديها، فرفضهم الحرمات دفعهم للعصف بالمستعمر الغاشم لينتفضوا ضدّه سنة 1945م، صامدين في وجه المجازر الوحشيّة التي كان يقوم بها الجلادان "آنتياري" و"ليسترد كاربونيل" اللذين شملهما القصاص بعد ذلك على يد الفدائيّين.[2]

[1]- إلياذة الجزائر: مفدي زكريّا، ص: 45 (الهامش).
[2]- ينظر: المصدر السابق، ص: 73 (الهامش).

أمّا الكسرة في هذه القافية فجاءت مناسبة المواجع والآلام التي عاشها سكّان قالمة إن بسبب ما كان يعرفه حمّام المسخوطين ممّا ترويه الأسطورة*، أو ما لاقوه من تنكيل فرنسا وجلّاديها بهم.

ثانيا: استعمال حروف الإعراب رويّا:

من بين حروف الإعراب الأربعة استعمل الشّاعر صوتي الياء والنّون، دون الألف والواو:

1-الياء: استُعمل الياء رويّا في ستة أبيات، بنسبة: 06% من مجموع مقاطع القصيدة، وعرف ثلاث حالات:

الحالة الأولى: سُبق الياء (الرّويّ) فيها بألف مدّ وذلك في قافيتين مطلقتين وصلتا ألف مدّ ثانية في هاتين القافيتين؛ وذلك في مقطعين السّبعين (70) والثّمانين (80)، لفت فيها الانتباه إلى سجايا وطبائع الجزائريّين، قبل الاستقلال وبعده.

الحالة الثّانية: جاء الرّويّ ياء مشدّدة في قواف مطلقة وُصلت هاء؛ وذلك في المقطع الثّالث والعشرين (23)، والمقطع الخامس والسّبعين (75)، والمقطع السّادس والثّمانين (86)؛ أي في 03% من مجموع المقاطع؛ أكّد فيها على الجوانب الفكريّة والمذهبيّة للجزائريين في أزمنة مختلفة.

الحالة الثّالثة: وردت في مقطع واحد هو المقطع السّابع والسّتّون (67)، وفي قافيته لم يسبق الرّويّ (الياء) بصوت مدّ أو صامت ساكن؛ والشّاعر بهذا يخالف شروط استعمال العلل رويّا، ويذهب "إبراهيم أنيس" إلى القول: «يقول أهل العروض إنّ حروف المدّ التي هي أصل من أصول الكلمات، وجزء من بنيتها يصحّ أن تجيء رويّا في الشّعر العربيّ»[1]، وهو الحاصل في هذا المقطع، بل إنّ "مفدي زكريا" قبِل وقوع الياء المورفيم رويّا؛ كما في قوله:

*- ذكر في الإلياذة على هامش هذا المقطع أسطورة «متواترة جيلا عن جيل قصّت نعت الحمّام وإضافته للمسخوطينأنّ قرانا وقع في إحدى القبائل المجاورة للحمّام زُفّت فيه أخت لشقيقها وأُقيم حفل الزّفاف بالحمّام المذكور في جمع حاشد يترأسه القاضى الذي حرّر عقد النّكاح وسط عدوله وأعوانه فسخط الله عليهم ومسخهم أحجارا على أشكال آدميّة، وانطلاقا من الإيمان بهذه الأسطورة جاء سخط سكّان قالمة وضواحيها على كلّ باغ ومنتهك للحرمات...». المصدر نفسه.

[1]- موسيقى الشّعر: إبراهيم أنيس، ص: 254.

وَقـــــــالَتْ جَزائِرُنا الغـــــــــالِيَـــــــــه هُوَ الصِّدْقُ حَقَّقَ آمـــــــــالِيَـــهْ

وَمِنْ دَمي شَعْبـــــــــي وَأَكْبـــــــادِهِ إلى النَّصْرِ قَدَّمْتُ قُرْبانِيَهْ

وَجَنَّدْتُ في الخالِدينَ ابْنِ الوَليـــ دِ وَسَعْدِ بْنِ وَقّاصَ أَبْطالِيَهْ[1]

الياء للملكيّة، والهاء للسّكت؛ ليعكس المقطع فخر الجزائر بأمجادها، خاصّة في وجود كمّية كبيرة من الأنا في هذا المقطع.

ولئن كانت الياء مدّا في الأصل، إنّما تحرّكت لالتقاء السّاكنين فإنّ "إبراهيم أنيس" لا يرى مشكلة في ذلك؛ إذ يرى «أنّه ليس هناك ما يمنع من وقوع حروف المدّ رويّا، لأنّها تقوم مقام الحروف الأخرى وتؤدّي الغرض الموسيقيّ منها، بل ربّما كانت أقوى وأوضح في السّمع. ولكنّ الذي قد يضعّف من اعتبارها رويّا، ويقلّل من موسيقاها في أسماعنا، طبيعة القافية العربيّة، ومجيئها متحرّكة الرّويّ في غالب الأحيان. فآذاننا قد تعوّدت أن تسمع بعد الرّويّ حركة، وحركة الرّويّ قد تكون ضمّة، وقد تكون كسرة، وقد تكون فتحة، وقد اعتبرت هذه الحركة في الوزن الشّعريّ بمثابة حرف مدّ»[2].

2- النّون: وهو أكثر الحروف رويّا في الإلياذة بنسبة 17% تليه الرّاء بنسبة 15% ثمّ الميم بنسبة 13% فاللام بنسبة 12%، فالدّال بنسبة 09%، فالباء والياء بنسبة 06% لكلّ منهما، وذلك راجع إلى أنّ أصوات الرّاء والميم والباء والنّون واللام والدّال تحظى بأكبر نسبة في الاستخدام رويّا، وعند عامّة شعراء العربيّة التي درست أشعارهم. وكلّ من سبقنا في مثل هذه الدّراسة ذاهب إلى أنّ كثرة شيوع الحروف أو قلّتها تعزى إلى نسبة ورودها في أواخر الكلمات؛ وهذه الحقيقة يسهل الاقتناع بها بمجرّد النّظر السّريع في مختلف أبواب لسان العرب لابن منظور، والحظّ الذي ناله منه كلّ حرف من هذه الحروف بالنّسبة إلى بقيّة حروف المعجم[3].

وبحث "محمد الهادي الطّرابلسي" «عن السّرّ الذي من أجله شاعت هذه الحروف أكثر من غيرها في الرّويّ عند العرب شيوعها في أواخر الكلمات العربيّة. وهو أمر نبّه عليه إبراهيم أنيس نفسه لكن لم يستفد منه في دراسة الرّويّ في الشّعر العربيّ، فوجدناه

[1]- إلياذة الجزائر: مفدي زكريّا، ص: 85.
[2]- المصدر نفسه، ص: 254-255.
[3]- ينظر: خصائص الأسلوب في الشّوقيات: محمد الهادي الطّرابلسي، ص: 46.

كامنا في طبيعتها. فإنّ هذه الحروف –اللام والميم والنّون والرّاء على الأقلّ- أكثر الأصوات السّاكنة وضوحا وأقربها إلى طبيعة الحركات؛ ولهذا يميل بعضهم إلى تسميتها أشباه أصوات اللين (=الحركات) ومن الممكن أن تعدّ حلقة وسطى بين الأصوات السّاكنة وأصوات اللين. ففيها من صفات الأولى أنّ مجرى النّفس معها تعترضه بعض الحوائل، وفيها أيضا من صفات أصوات اللين أنّها لا يكاد يسمع لها أيّ نوع من الحفيف، وأنّها أكثر وضوحا في السّمع».[1]

خلص "محمّد الهادي الطّرابلسي" أخيرا إلى أنّه «إذا ثبت أنّ الرّويّ يكون من الحروف التي كالحركات بسبب ضعف السّكون فيها، وعلمنا أنّ أكثر الأصوات التي قد تصحب الرّويّ وتكون القافية إنّما هي من قبيل الحركات، تكشف لنا حقيقة القافية في الشّعر العربيّ المتمثّلة في صبغتها الحركيّة. فالقافية تمثّل قمّة الارتفاع الصّوتي في البيت الشّعريّ، وبهذا هي لا تمثّل خاتمة البيت كما يبدو ذلك في الظّاهر وإنّما تمثّل همزة الوصل بين البيتين»[2]، وهي نتيجة نتّفق معه حولها إلا اعتبار الطّبيعة الحركيّة والارتفاع الصّوتي رابطا بين البيتين المتتابعين؛ لأنّ البيت بمثابة الجملة وجب أخذ فاصلة للاستراحة قبل بداية البيت الموالي ليعلم المتلقّي نهاية الجملة؛ إذ «القافية ترنيمة إيقاعية خارجيّة، تضيف إلى الرّصيد الوزنيّ طاقة جديدة، وتعطيه نبرا، وقوّة جرس، يصبّ فيها الشّاعر دفقه، حتّى إذا استعاد قوّة نفسه بدأ من جديد، كمن يجري إلى شوط محدّد، حتّى إذا بلغه، استراح قليلا لينطلق من جديد...»[3]

أمّا التّدفّق الحركي فيعكس تدفّق المشاعر التي تساور الشّاعر والتي قد لا تكفي الكلمات للتّعبير عنها صراحة؛ أو لا يمكنه الإفصاح عنها لسبب أو لآخر؛ وتساعد الطّبيعة الانطلاقيّة للصّوائت الشّاعر على التّعبير.

ثالثا: الأبيات المصرعة:

يشترط في القافية «أن تكون عذبة الحرف سلسة المخرج وأن تقصد لتصيير مقطع المصراع الأوّل في البيت الأوّل من القصيدة مثل قافيتها فإنّ الفحول والمجيدين من الشّعراء القدماء والمحدثين يتوخّون ذلك ولا يكادون يعدلون عنه وربّما صرّعوا أبيات

[1]- المصدر نفسه، ص: 46.
[2]- المصدر نفسه.
[3]- الإيقاع في الشّعر العربي: عبد الرحمن آلوجي، ص: 71.

أخر من القصيدة بعد البيت الأوّل وذلك يكون من اقتدار الشّاعر وسعة بحره...»[1]، والشّاعر "مفدي زكريّا" في إلياذته صرّع كلّ قوافي المطالع، عدا أربعا، وشيوع القوافي المرصّعة الأوّلى بنسبة 96%؛ يعكس التزام الشّاعر بالنّزعة التّقليديّة في الشّعر العربيّ من جهة، وتمكّنه وإجادته من جهة أخرى «وإنّما يذهب الشّعراء المطبّعون المجيدون إلى ذلك لأنّ بيّنة الشّعر إنّما هي التّسجيع والتّقفية فكلّما كان الشّعر أكثر اشتمالا عليه كان أدخل له في باب الشّعر وأخرج له عن مذهب النّثر»[2].

ورأى "قدامة بن جعفر جواز تأخير التّصريع؛ فقال: «وربّما أغفل بعض الشّعراء التّصريع في البيت الأوّل فأتى به في بعض من القصيدة فيما بعد»[3]؛ وهو الحاصل في المقطعين:

1-المقطع الثّاني والعشرون (22)، ومطلعه:

صُمودُ الأَمازيغِ عَبْرَ الْقُرو نِ غَزا النَّيِّراتِ وَراعَ النُّجوما[4]

تأجّل التّصريع إلى البيت الرّابع:

ثَمانِ سَنَواتٍ يُصارِعُ روما فَدَقَّ المَساميرَ في نَعْشِ روما[5]

2- المقطع السّادس والعشرون (26)، ومطلعه:

وَهالَ ابْنُ رُسْتُمَ أَنْ لا نَسودَ وَنَبْنِيَ كَياناً لَنا مُسْتَقِبلاَّ[6]

وتأخّر فيه التّصريع إلى البيت الخامس:

فَلَمْ يَكُ لِلتَّبِعِيّاتِ ذَيْلاوَلَمْ يَكُ بِالعَصَبِيّاتِ يُبْلى [7]

أمّا المقطعين المتبقّيين فلا ترصيع فيهما؛ وهما:

1- المقطع الثّالث والعشرون (23)، ومطلعه:

---

[1]- نقد الشّعر: قدامة بن جعفر، ص: 14.
[2]- المصدر نفسه، ص: 17.
[3]- المصدر نفسه، ص: 16.
[4]- إلياذة الجزائر: مفدي زكريّا، ص: 40.
[5]- المصدر نفسه.
[6]- المصدر نفسه، ص: 44.
[7]- المصدر نفسه.

أَشَرْشالُ...هَلاّ تَذَكَّرْتِ يوبا؟ وَمَنْ لَقَّبوا عَرْشَكِ القَيْصَرِيَّه؟[1]

2- المقطع الثّاني والثّلاثون (32)، ومطلعها:

وَتُنْجِبُ نَدْرومَةُ الخالِد ينَ، فَتُعْلي الجَزائِرُ مِنّا الجَبين[2]

وهذين المقطعين أرّخ فيهما الشّاعر لمرحلتين تاريخيّتين ذهبيّتين، أغنتاه بجمالهما وعظمتهما عن تنميق الكلام.

[1]- المصدر نفسه، ص: 41.
[2]- المصدر نفسه، ص: 50.

المبحث الثّالث: الإيقاع الدّاخلي:

استعمل النّحاة الصّوائت طوالا وقصارا ثمّ صوت النّون للدّلالة على مجموعة وظائف نحويّة، ومنها ما قلب أو استعمل نيابة عن صوت آخر في بعض الأبواب النّحويّة، ولكن صوتيا الصّوت المستعمل واحد سواء كان أصليّا أم مقلوبا أم نائبا عن صوت آخر.

مجموع العلامات الإعرابيّة في إلياذة الجزائرخمسة آلاف وثمان مائة وستّة وعشرون (5826) علامة.

ومن الطّبيعيّ أن تكون الحركات القصار أكثر الأصوات ورودا؛ حيت استعملت الحركات القصار علامات للإعراب خمسة آلاف وست مائة وثلاثين (5630) مرّة بنسبة 96.64%، ويلاحظ تفاوت نسب ورودها بالنّسبة لعدد الصّوائت القصار كالآتي:

العلامة	الأصول		الفروع		المجموع	
	العدد	النّسبة	العدد	النّسبة	العدد	النّسبة
الضّمّة	1896	%33.20			1896	%33.68
الفتحة	1577	%28.01	131	%02.33	1708	%30.34
الكسرة	1939	%34.44	45	%0.80	1984	%35.24
السّكون	42	%00.75			42	%0.75
المجموع	5454	%96.87	176	%03.13	5630	%100

الجدول رقم: (09)

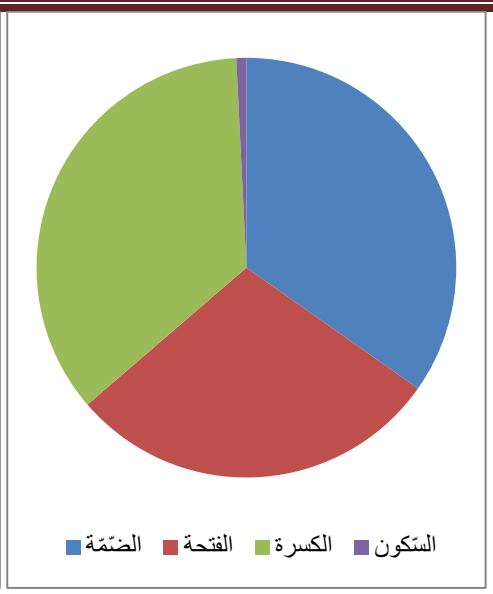

الشّكل رقم (07): نسب العلامات الإعرابية الأصلية.

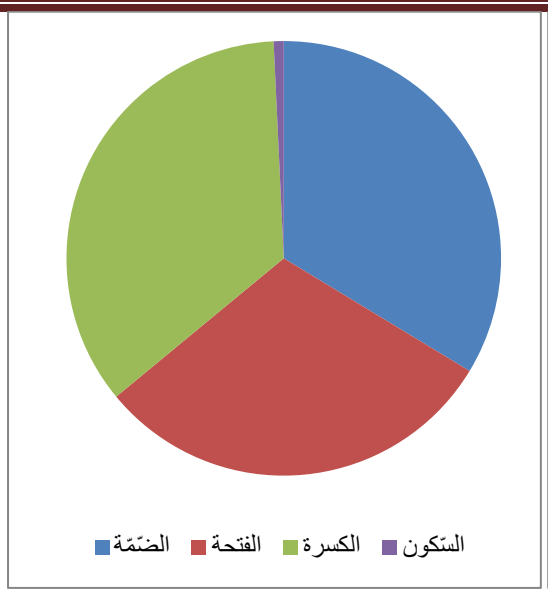

الشّكل رقم (08): نسب وررد الحركات القصيرة علامات الإعراب

يفترض أن تكون المرفوعات في الكلام أكثره لضرورة وجود نواة في كلّ جملة وهو الحاصل في حدود العلامات الإعرابيّة الأصليّة، ولكنّا حين نجمع العلامات الأصليّة والفرعيّة؛ تتفوّق الكسرة لتدلّ على تدفّق عواطفه، ولاسيما مع مرافقها الصّوامت ذات الوضوح السّمعي، التي رأينا أنّها الأكثر استعمالا رويّا؛ وإن كان الشّكل يعكس تقاربا كبيرا في نسب وررد العلامات الإعرابيّة الثّلاث، ما يعكس حرص الشّاعر على الحياد في كتابة تاريخ الجزائر والتّعريف بأهمّ محطّاتها التّاريخية.

وفيما يلي تحليل الحركات الإعرابيّة في إلياذة الجزائر.

أوّلا: الحركات القصار الثّلاث الأصليّة خالصة:

يوضّح الجدول الآتي الحركات تبعا لعدد المقاطع التي غلبت فيها على باقي الحركات:

الحركات	الضّمّة	الفتحة	الكسرة
عدد المقاطع	42	24	29+اللازمة

الجدول رقم: (10)

يلاحظ أنّ الضّمّة سادت أغلب مقاطع الإلياذة وهذا طبيعيّ نظرا لكونها الحركة الأصليّة لكلّ من المسند والمسند إليه نواة كلّ جملة؛ ولكنّها قد تزيد أو تقلّ بشكل يلفت الانتباه؛ فيحمل ذلك أثرا دلاليّا مضافا؛ كما في المقاطع: 09، 12، 14، 16، 23، 31، 32، 34، 35، 39، 43، 56، 65، 76، 79، 80، 94، 98، التي جاءت بعدد يفوق غيرها بفارق ملحوظ وصل إلى 23، ودلّت هذه المقاطع عموما على معنيين:

الأوّل: القوّة وشدّة التأثير؛ حيث تغنّى الشّاعر بسحر الطّبيعة وجمال حمّام ريغة وجبال إيعكّورن ومدينة الورود البليدة، كما تغنّى بالجانب الفكريّ والتّاريخي للجزائر والجزائريّين كتاريخ شرشال ومقاومة لالة فاطمة نسومر وأمجاد بني حمّاد والموحّدين إلى أن يصل في المقطع السّادس والسّبعين (76) إلى مكانة علماء الجزائر عبر التّاريخ الذين نافسوا بكفاحهم في سبيل العلم علماء وعظماء العالم.

وركّز الشّاعر في استعماله الضّمّة في مجال القوّة على التكتّل والاتّحاد وظهر ذلك في ثلاثة مقاطع هي: 09؛ حيث اتّحاد أهل القصبة وتكتّلهم في مواجهة المستدمر الفرنسي مقدّمين أرواحهم ودماؤهم قرابين في سبيل الحرّية، والمقطع 34؛ حيث حديثه عن اتّحاد الأمازيغ والأتراك في مقاومة الحملات الصّليبية الإسبانية على السّواحل الجزائريّة، والمقطع 65 الذي أشار فيه إلى تكاثف المجتمع وهبّه لتلبية نداء الرّصاص بكافّة فئاته.

والثّاني: غضب واستياء؛ وظهر هذا الشّعور خاصّة في المقاطع الأخيرة حيث الحديث عن بداية الانحلال الخلقي وظهور بعض السّلوكات المخالفة لقيم المجتمع الجزائريّ باسم التّحضّر في المقطعين التّاسع والسّبعين (79) والثّمانين (80)، والتي أغضبه الجهر بها في ولائم يخجل إبليس منها، بينما يزعجهم صوت الآذان في المقطع الرّابع والتّسعين (94). ووصل التّميّع للأدب فثارت ثائرة الشّاعر في المقطع الثّامن والتّسعين (98)، وقام يدافع عن شعره المحافظ شكلا ومضمونا.

بينما جاء استعمال الضّمّة أقلّ بشكل ملحوظ من غيرها في مقابل الفتحة الأكثر استعمالا في المقاطع: 29، 37، 61، 84؛ وذلك لأنّه أراد كتابة التّاريخ بموضوعيّة عكستها الفتحة؛ فتحدّث في المقطع التّاسع والعشرين (29) عن تأسيس الجزائر من لدن بولوغين بن زيري، ثمّ تأسيس الدّولة الجزائريّة الحديثة من لذن الأمير عبد القادر في المقطع السّابع والثّلاثين (37)، وكان التّأريخ للاستعمار الفرنسي وبيان أسبابه في

المقطع الحادي والسّتّين (61)، أمّا المقطع الرّابع والثّمانين (84)، فناقش فيه قضيّة المستشرقين ومواقفهم تجاه الجزائر وقضيّتها.

وجاءت الضّمّة في المقاطع: 49، 66، 93، في مقابل الكسرة أكثر العلامات الإعرابيّة استعمالا فيها لرثاء ضحايا حوادث الثّامن من ماي 1945 في المقطع التّاسع والأربعين (49)، و"مصطفى فروّخي" الذي تحطّمت طائرته في الطّريق إلى بيكين التي عيّن سفيرا بها. أمّا المقطع الثّالث والتّسعون (93) فرحّب فيه بالوافدين على ملتقى الفكر الإسلاميّ واستعمال الكسرة أكثر مناسبة لمقام التّرحيب لما فيها من دلالة على اللطف والرّقّة، وأمّا قلّة الضّمّة فتعكس تأذّبه في طلب خدمة التّاريخ وإنارة طريق الطّلاب بصدق ونيّة طاهرة تناسب طهارة الجزائر ودينها الإسلاميّ في ملتقى أعرب عن قداسته بإضافة بيت إلى هذا المقطع ليصبح بـأحد عشر (11) بيتا بدل العشرة (10) ووصف البيت الزّائد بأنّه بمثابة سجدة السّهو للحفاظ على قداسة الملتقى[1].

وردت الكسرة ثانيا من حيث عدد المقاطع التي كانت أكثر استعمالا فيها من غيرها؛ فإضافة إلى اللازمة كانت الكسرة أكثر علامات الإعراب استعمالا في 26 مقطعا؛ وكانت الضّمّة ثانيا في خمسة عشر (15) منها، عكست الكسر بوضوح فيها التّأثّر بقوى خارجيّة، وأبانت الضّمّة في كثير من الأحيان اتّحادا وتكاثفا وشدّة؛ فبينما ترى الشّاعر يسبّح بالجزائر جمالها وتاريخها وفكر شعبها، وأشار إلى تأثّره وشعرَه وفي المقطعين الثّاني (02) والثّالث (03). لينتقل إلى مسقط رأسه "باب الواد" في المقطع السّابع (07)، أين عبّر عن حبّه، وبرّه بوطنه وشعبه، واستعداده للتّضحية في سبيلهما، ووضّح في المقطع السّابع عشر (17) عديد الأسباب المنطقيّة التي جعلته يجود بحياته في سبيل مسقط رأسه خاصّة.

انتقل الشّاعر إلى الحديث عن العلاقات الخارجيّة للجزائر في المقاطع 27، 54، 67، 68، مبيّنا تأثّره باتّحاد الشّعوب المغربيّة، وأعرب عن أسفه في المقطع السّابع والعشرين (27) لتنكّر المشارقة في كتب التّاريخ للمكانة الفكريّة والعلميّة للمغاربة الذين امتزجت دماؤهم في "ساقية سيدي يوسف"، ويوم 20 أوت 1955م تضامنا للجزائريّين مع الشّعب المغربيّ في ذكرى اختطاف الملك الرّاحل "محمد الخامس"، بينما خصّص المقطع الثّامن والسّتّين (68) لشكر وتحيّة الشّعوب المغاربيّة على أمل زوال الحدود السياسية بينها.

[1]- ينظر: إلياذة الجزائر: مفدي زكريا، ص: 111.

أمّا في المقاطع 78، 82، 83، 88، 90، 91، 99، فلم تتغيّر دلالة الكسرات على الخضوع لتأثير خارجيّ ولكنّها تغيّرت من المعنى الإيجابيّ للمعنى السّلبيّ حيث تأثّر المجتمع الجزائريّ ببعض المذهبيّين والحركى، وأشباه المثقّفين والصّحفيّين، إضافة إلى غلاء المهور، ما أدّى لظهور سلوكات لا أخلاقيّة، وتفسّخ بعض الشّباب، ذكورا وإناثا، عن قيم المجتمع الجزائريّ. ويمكن للضّمّة التي حلّت ثانيا في هذه المقاطع الأخيرة أن تدلّ على أحد أمرين أو كلاهما؛ أمّا الأوّل فهو كثرة العوامل الهادمة لمقوّمات المجتمع الجزائريّ، وأمّا الثّاني فغضب الشّاعر ممّا آلت إليه أخلاق الشّباب. تماما كما غضب في المقطع التّاسع والتّسعين (99) وثار في وجه الطّاعنين فيه وفي شعره، مبيّنا أنّه سفير الجزائر النّاشر للأخوّة والمحبّة بين الشّعوب، وأنّ سفره وسيلة لإذكاء شعوره، وتقوية قريحته الشّعريّة التي يصَدِّر باسم الجزائر من خلالها شعرا وفكرا.

ويبدوا أنّ "مفدي زكريا" مع ذكره سلسلة الانكسارات هذه كان يحس برغبة دائمة في التّحرّر واستشراق أفق الحرّيّة والقوّة[1]

بينما حلّت الفتحة ثالثا في المقاطع: 15، 23، 48، 49، 51، 66، 93، 97، فأمّا المقطعان الخامس عشر (15) والثّالث والعشرين (23) فيبدو فيهما حنين الشّاعر إلى أمجاد كلّ من شرشال وتلمسان واضحا كنوع من البكاء على الأطلال، أمّا المقاطع 48 و49 و51 و66، فكانت رثاء لشهداء الجزائر في 08 ماي 1945م، ثمّ الكفاح المسلّح إبّان الثّورة، وأخيرا "مصطفى فرّوخي" الذي لقي حتفه في طائرته المتوجّهة إلى بيكين حيث عيّن سفيرا. وكم كان أمله في ملتقى الفكر في المقطع الثّالث والتّسعين (93) لخدمة تاريخ الجزائر وإعادة بناء أمجادها، فتصبح المحطّات التّاريخيّة المدوّنة في الإلياذة مجرّد ذكرى أليمة تجاوزتها الجزائر وطارت تسابق مطلع الفجر مثلما تجاوز الشّاعر في المقطع السّابع والتّسعين (97) الجاحدين.

ويبدو أنّ الكسرة في هذه المقاطع تردّدت بين الألم والأمل، بينما دلّت الفتحة على رغبة واضحة لدى الشّاعر في عمل تاريخي موضوعيّ خانته مشاعره في هذه المقاطع فطغت الكسرة على الفتحة الموضوعيّة هنا.

[1] - ينظر: العلاقات الدّلالية في شعر مفدي زكريا: عبد النّاصر بوعلي، دار هومة الجزائر، ط: 01، 2014، ص: 87.

وتشاركت الضّمّة والفتحة المركز الثّاني بعد الكسرة في اللازمة، والمقاطع: 41، 57، 69، والملاحظ أنّ الفرق بين هذه المقاطع والمقاطع السّابقة التي حلّت فيها الفتحة ثانيا بعد الكسرة هو الفاعليّة التي أضافتها الضّمّة حيث اتّخذ الشّاعر من شعره وسيلة لتعريف العالم بصدق وعدالة القضيّة الجزائريّة، بينما كان السّلاح لغة الجزائريّين في مختلف المقاومات الشّعبيّة التي تغنّى بها في المقطع الحادي والأربعين (41) تغنّيه بجمال بسكرة في المقطع السّابع والخمسين (57)، وبعزيمة أهلها الثّائرين الذين جادوا بأرواحهم فداء للجزائر إبّان الثّورة الجزائريّة، أمّا المقطع التّاسع والسّبعون (79) فعن جهاد البناء والتعمير تحدّث، باتّخاذ المذهب الاشتراكي نهجا لبناء اقتصاد البلاد.

ويبدو أنّ إضافة الضّمّة لمعاني القوّة والفعالية لم تغيّر المعنى المذكور سابقا للكسرة ولا للفتحة؛ إذ نلمس في هذه المقاطع تردّدا بين أمل الشّاعر في نتائج الجهود المبدولة، وألمه لما دفعته الجزائر من تضحيات، أراد تخليدها في إلياذته والتّأريخ لها وهو ما دلّت عليه الفتحة الموحية بالموضوعيّة، رغم خيانة المشاعر له.

وتشير نتائج الإحصاء إلى زيادة كبيرة في استعمال الكسرة علامة للجرّ في اللازمة التي كانت الكسرة فيها ضعف الحركتين الأخرتين إضافة إلى المقاطع: 02، 17، 20، 21، 22، 54، 57، 68، 69، 78، 93، 99، ما يدلّ على تأثّر الشّاعر ودفق عاطفيّ قويّ، بعكس المقاطع 24، 59، 60، 81، التي قلّ فيها استعمال الكسرة بشكل لافت للنّظر ما عكس جدّية بالغة في طرحه لأصل الجزائريّين ودينهم، ثمّ ثورته في وجه استبداد المستعمر واتّحاد جميع فئات الشّعب للسّير بالجزائر نحو النّصر، وأخيرا الالتفات إلى الشّباب وطلاب الجزائر وبناء منظومة تربوية تقوم على أساس مقوّمات المجتمع الجزائريّ لحماية أبناء الجزائر من الضّياع والخراب.

وأخيرا الفتحة التي كانت أكثر علامة إعرابيّة استعمالا في 23 مقطعا، حلّت الضّمّة ثانيا في 15 منها؛ تحدّث الشّاعر فيها على محطّات تاريخيّة مهمّة من تاريخ الجزائر وشمال إفريقيا، ابتداء من تأسيس الجزائر على يد بولوغين بن زيري، في المقطع العشرين (20)، بمناسبة الذّكرى الألف لتأسيس الجزائر منوّها في المقطعين المواليين ببطولات الأمازيغ وأمجادهم عبر التّاريخ.

انتقل الشّاعر إلى الفتح الإسلامي لبلاد المغرب والأندلس في المقطع الرّابع والعشرين (24)، وما أضافه الدّين الجديد من طهارة النفوس، دون إنكار ديانات

الأجداد منوّها إلى أنّ العرب والأمازيغ أشقّاء، وأنّ محمّد –رسول الله صلّى الله عليه وسلّم- رسول الله بدين الإسلام صهر عيسى بن مريم عليه السّلام، الفرق بين علاقة النّسب الجامعة بين العرب والأمازيغ والمصاهرة بين الرّسولين أنّ النّسب يكون من جهة البنين والمصاهرة تكون من جهة البنات، وجميعنا يعلم كيف تمّت معجزة ميلاد سيّدنا عيسى بن مريم[1]، وهذا يوحي بحرص الشّاعر على العلاقات الطّيّبة للجزائريّن والمغاربة عموما مع بعضهم البعض أوّلا ثمّ مع غيرهم. وبيّن في المقطع الخامس والعشرين (25) الأسس التي قام عليها المغرب الإسلاميّ من دين وعروبة وقيم، مشيرا إلة ترحيب الأمازيغ بالدّين الجديد وما أضافه لهم من عروبة وعلم ومناهج وأساليب عسكريّة صارت تدرّس لاحقا في الأكاديميات الأوروبيّة.

في المقطع السّادس والعشرين (26) انتقل الشّاعر إلى تأسيس الدّولة الرّستميّة واستقلال المغرب عن المشرق الإسلامي، والأسس التي قامت عليها (نظام الشّورى، الدين الإسلامي، الإنتخاب، عدم التّبعية...)، والمكانة التي احتلّتها الدّلة الرّستمية فكريّا وسياسيا.

انتقل الشّاعر في المقطعين السّابع والثّلاثين (37) والثّامن والثّلاثين (38) إلى تأسيس الدّولة الجزائريّة الحديثة على يد الأمير عبد القادر الجزائريّ ومبايعته أميرا، فاتّخذ من السّيف سلاحا لمواجهة الاستعمار الفرنسيّ، والقلم وسيلة لمحاربة الجهل، إلى حين اختطافه أسيرا. ليتحدّث في المقطع الثّامن والثّلاثين (38) عن مواصلة أبطال الجزائر المقاومة على نهج الأمير عبد القادر كمقاومة ابن زيّان بالزّعاطشة، ومقاومة أبي معزة، ومقاومة أبي بغلة، مشيرا إلى أنّ الثّورات الشّعبيّة لم تتوقف ولم تهدأ.

في المقطع السّبع والأربعين (47) عالج الشّاعر منعطفا حاسما في القضيّة الجزائريّة وهم اقتناع الشّعب الجزائريّ بضرورة الكفاح المسلّح بعد فشل الكفاح السّياسي وقرار اندلاع الثّورة.

وقد يبدو إضراب الأسبوع سنة 1957م موضوعا يخالف ما يعالجه الشّاعر في باقي مقاطع هذا الباب حيث الفتحة العلامة الإعرابيّة الأكثر استعمالا، والضّمّة ثانية، ولكنه محطّة مهمّة من محطّات الثّورة الجزائريّة المسلّحة وإن كان يبدوا للوهلة الأولى

[1]- ينظر: الجامع لأحكام القرآن والمبيّن لما تضمّنه من السّنّة وآي الفرقان: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تح: عبد الله بن عبد المحسن التّركي، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط: 01، 1427ه/2006م، ج: 15، ص: 455.

حراكا سياسيّا، لأنّ الهدف من هذا الإضراب إشعار الوفود الدّوليّة في نيويورك بالوضعيّة القائمة في الجزائر، كما أرادت جبهة التّحرير الوطني إسقاط الادّعاءات الاستعماريّة بخصوص عدم وجود علاقة بين الثّوّار والشّعب، ووضع السّلطات الفرنسيّة في الجزائر في موقف تدرك من خلاله وبصورة حاسمة أنّها ثورة شعب ومهما استخدمت من وسائل قمعيّة فهي عاجزة أمام الإرادة الشّعبيّة[1]؛ حيث شارك الشّعب بكلّ أطيافه في الثّورة الجزائرة وسعى لإنجاحها فدعمها ماديّا ومعنويا إن في داخل الوطن كما يبيّن المقطع السّتّون (60)، أو خارجه كما وضّح الشّاعر في المقطع الثّاني والسّتين (62).

انتقل الشّاعر إلى ثورة جديدة في المقطع الحادي والسّبعين (71) وهي الثّورة الثّقافيّة التي تقوم على أسس إسلاميّة؛ مشيدا بفضل الفكر الإسلامي على نجاح الثّورة النّوفمبريّة، ودعا في المقطع الحادي والثّمانين (81) بناة الجزائر للاهتمام بالجانب الفكريّ للشّباب وحمايته من الأفكار القرمزيّة الدّخيلة عليه.

كلّ هذه المقاطع أرّخ فيها الشّاعر لمحطّات تاريخية تتشابه من حيث كونها عبارة عن تأسيس لدولة أو تخطيط أو مقوّمات ارتكز عليها المجتمع الجزائريّ خاصّة، والتّأسيس والبناء يحتاجان إلى حكمة ورويّة عكستها الفتحة، مثلما يحتاجان إلى عمل وجهد وفعاليّة جاءت الضّمّة ثانيا لتدلّ عليها، أمّا الكسرة فكانت أخيرا لأنّ تأسيس الدّولة والتّخطيط لثورة مسلّحة كانت أم سياسيّة أم فكرية لا مجال للعواطف فيه إنّما هو تخطيط واجتهاد.

بينما حلّت الكسرة ثانيا في ستّ (06) مقاطع هي: (11، 29، 53، 58، 61، 89)؛ أرّخ فيها الشّاعر لمحطّات تاريخيّة، خانته عواطفه فيها فوجدت بعض الذّاتية في الطّرح حيث أجلّ حمام ملوان في المقطع الحادي عشر (11) بعض نفضه غبار السّنين، كما أجلّ الجزائر في المقطع التّسع والعشرين (29)، الجزائر التي أسالت لعاب الطّامعين منذ أسّسها بولوغين، وكان المقطع التّاسع والثّمانون (89) إجلال ومدح للمرأة الجزائريّة الأصيلة التي حافظت على قيمها ولم تتأثّر بأشباه المثقّفين، المرأة الجزائريّة التي لبّت نداء الثّورة وحملت السّلاح بجانب أخيها الرّجل.

[1]- ينظر: قراءة في إضراب الثّمانية أيّام (28 جانفي – 04 فيفري 1957): يحياوي عبد الوهّاب، مجلّة تاريخ المغرب العربي، مج: 03، العدد 07، 268.

وتجاوز الشّاعر حدود الإعجاب والإجلال في المقاطع الثّلاثة الأخرى حيث بلغ تأثّره حدّ تكرار ضمّير المتكلّمين "نا" فيها وهي المقاطع: الثّالث والخمسون (53)؛ الذي يؤرّخ لمؤتمر صومام الذي أسّس ونظّم الثّورة الجزائريّة، ثمّ المقطع الثّامن والخمسون (58) الذي أشاد بدور "واد سوف" في الثّورة الجزائريّة خاصّة منوّها بأمجاده عبر التّاريخ، فالمقطع الحادي والسّتين (61) الذي يصف فيه جحود فرنسا فضل الجزائريّين عليها ويدوّن المجازر التي قامت بها في حق الجالية الجزائريّة. وليس غريبا تأثّر الشّاعر بهذه الأحداث، ولا ضمير المتكلّمين المتكرر فيها؛ لأنّ شاعرنا كان أحد الثّوار الجزائريّين الذين عايشوا هذه الأحداث بكلّ جوارهم.

وتشاركت الحركتان المركز الثّاني في المقطعين الرّابع والثّمينين (84)، والمائة (100)؛ لما فيهما من تقابلات وتناقضات حيث أشار الشّاعر في المقطع الرّابع والثّمانين (84) إلى انقسام المستشرقين بين منصف للقضيّة الجزائريّة وحاقد عليها، بينما امتزجت مشاعر حبّ الوطن والغضب من المستعمر الذي راح ينهب ثرواته. وهذا التناقض كفيل بتفسير تساوي عدد الضّمات والكسرات علامتي الإعراب، وإن كانت الفتحة سائدة لأنّ الشّاعر في مقام تدوين للتّاريخ ما يقتضي الموضوعيّة قدر الإمكان.

ويلاحظ أنّ ورود الفتحة علامة للإعراب بشكل أكبر في المقاطع: 21، 24، 25، 25، 37، 61، 62، 84، 89، حيث يحكي الشّاعر عن قوّة الجزائر عبر القرون الطّويلة، لا بالسّلاح ولكن بالعلم والدّين والقيم الثّابتة وهو الحقل الدّلاليّ المتكرّر والرّابط بين هذه المقاطع، ويبدو أنّ استعمال الفتحة الأكثر مناسبة لهذا المعنى لأنّ بناء مجتمع قويّ علميّا ودينيّا يحتاج إلى هدوء ورويّة ووقت، حتّى يسير المجتمع في طريق معبّد بالقيم كما الفتحة التي تخرج دون عائق في طريقها.

بينما وردت الفتحة علامة للإعراب بشكل أقلّ بشكل ملحوظ في المقاطع: 03، 09، 43، 46، 50، 54، 73، 80، 88، 91، 94، 95، 99، وهي مقاطع عبّر فيها الشّاعر عن مختلف المشاعر والأحاسيس التي تمكّنت منه في في مواقف مختلفة (حزن، غضب، فرح، فخر وإعجاب...)

وتشاركت السّيادة المقاطع الباقية بين:

- الضمّة والكسرة: وذلك في المقطع الخامس والتّسعين (95)؛ أين أثنى الشّاعر على جهود وزارة التّعليم الأصلي والشّؤون الدّينية التي كان يشرف عليها آنذاك "مولود قاسم" حيث سعت لنشر العلوم الشّرعيّة وبناء مساجد ومعاهد للتّعليم الأصلي في مختلف ربوع البلاد، وهو ما أسماه الشّاعر "جهاد الوزارة. وجاءت الضّمّة في هذا المقطع لتعكس جهود وزارة التّعليم الأصلي والشّؤون الدّينيّة وقتئذ، وتقابلها الكسرة بنفس القيمة عاكسة مشاعر "مفدي زكريا" من إعجاب وإجلال لجهود الوزارة، كنوع من الفعل وردّ الفعل.
- الضّمّة والفتحة: وذلك في المقطع الثّاني والخمسين (52)؛ حيث أشاد الشّاعر في هذا المقطع بثورة نوفمبر وبطولات الشّعب الجزائريّ وقتها؛ إذ اتّحد وقال كلمته، ثمّ راح للنّصر يسوق السّفينة، وهو ما عكسته الضّمّة بوضوح نظرا لقوّتها، وتساوت عددا والفتحة لأنّ هذه الأخيرة جاءت بغرض تهدئة انفعالات الشّاعر المنساق وراء فخره واعتزازه بالتحام الشّعب وثورة نوفمبر، آملا في أن تسير فلسطين على خطى الجزائر في ثورتها، كما قد تدلّ الفتحة بإيحاءاتها المرتبطة بالموضوعيّة، وهو ما يتناسب وموضوع الإلياذة المؤرّخ للحدث، وإن خانته عواطفه فلم يستطع كبحها في أكثر من مناسبة نظرا لكونه جزءا من الثّورة إن بقلمه ومواقفه السّياسيّة، أو بصفته عضوا في جبها التّحرير الوطني.
- الكسرة والفتحة: وهذا في المقطعين: 01، و77؛ حيث عكست الفتحة حرص الشّاعر على التّصوير الموضوعيّ للجزائر في المقطع الأوّل، والتّعريف بعالمها "طفيش محمد بن يوسف" في المقطع السّابع والسّبعين (77)، بينما جاءت الكسرة لتعكس إعجاب وانبهار الشّاعر بالجزائر وسحرها في المقطع الأوّل، وهو ما صرّح به في قوله:

..... فَهَاجَتْ بِأَعْمَاقِنَا الذِّكْرَيَات[1]

وقوله:

..... فَهِمْنَا بِأَسْرَارِهَا الفَاتِنَات[1]

[1]- إلياذة الجزائر: مفدي زكريا، ص:19.

بينما دلّت الكسرة في المقطع السّابع والسّبعين (77) على حزن الشّاعر وهو في مقاء رثاء قطب الأئمّة، ويؤكّد كذلك قوله:

طُفَيِّشُ سُقْيَاكَ ... قُطْبَ الأَئِمَّة .....[2]

- الحركات الثّلاث في المقطع 30: قارئ هذا المقطع والمتمعّن في حديث الشّاعر عن مدينة مليانة تراوده مشاعر مختلفة، فهو تارة يبدي إعجابه وانبهاره بالمدينة، ثمّ ينتقل بسلاسة إلى أمجادها وحروبها وقوّتها غي المقتصرة على الحرب والسّلاح بل وبالعلم والحضارة؛ فجمالها شكلا، واهتمامها بالعلم، وقوّتها في الحروب، منح المدينة صورة متكاملة انعكست في تكافئ الحركات الإعرابيّة في هذا المقطع.

ثانيا: الحركات القصار الثّلاث أصليتها وفرعيتها:

إذا أضفنا الفتحة النّائبة عن الكسرة، والكسرة النّائبة عن الفتحة؛ أصبحت الحركات تبعا لعدد المقاطع السّائدة فيها كالآتي:

الحركات	الضّمّة	الفتحة	الكسرة
عدد المقاطع	37	31	27+ اللازمة

الجدول رقم: (11)

وتشاركت السّيادة المقاطع الباقية بين:

- الضّمّة والكسرة: وذلك في المقاطع: 95-55-04.
- الضّمّة والفتحة: في المقطعين: 28-13
- الكسرة والفتحة: في المقطع 77.

وحرصا على عدم الوقوع في فخّ التّكرار، سنتتبع المقاطع المتغيّرة التي إذا تأمّلناها وجدناها أحد عشر مقطعا هي على التّرتيب:

- المقطع 01: كانت الكسرة مساوية للفتحة ثمّ ازدادت واحدة لتتفوّق عددا.

[1]- المصدر نفسه.
[2]- المصدر نفسه، ص: 95.

- المقطع 04: كانت الضّمّة الغالبة وازدادت الكسرة واحدة لتعادلها.
- المقطع 08: كانت الضّمّة الغالبة بـ 21 مرّة ثمّ ازدادت الفتحة أربعا لتتفوّق ب24 مرّة.
- المقطع 13: كانت الضّمّة غالبة بـ 18 مرّة ثمّ ازدادت الفتحة واحدة لتعادلها.
- المقطع 23: كانت الكسرة غالبة بـ 19 مرّة ثمّ ازدادت الفتحة أربعة لتتفوّق عددا بـ 21 مرّة.
- المقطع 30: كانت كلّ الحركات متساوية العدد، ثمّ ازدادت الفتحة لتتفوق عددا.
- المقطع 33: كانت الضّمّة العالمة الإعرابيّة الأكثر ورودا ب (22) مرّة. وبجمع الفتحات تفوقت الفتحة عددا فصارت (23) فتحة.
- المقطع 52: عرف هذا المقطع تساويا في حركتي الفتح والضّمّ الأصليتين، وبإضافة الفتحة الفرعيّة، ازدادة الفتحة واحدة لتتفوّق عددا.
- المقطع 66: يلاحظ تفوّق الكسرة بعشرين (20) كسرة بالنّظر للحركات الأصليّة، وباحتساب الحركات الفرعيّة تفوّقت الفتحة عددا لتصبح واحدا وعشرين (21) فتحة.
- المقطع 74: تساوت الضّمّة والفتحة الأصليتين عددا، ولكنّ الفتحة تفوّقت عددا باحتساب الفتحة الفرعيّة؛ لتصبح 19 فتحة.
- المقطع 75: كانت الضّمّة سائدة بواحد وعشرين ضمّة، في مقابل تسع عشرة فتحة (19)، لكنّ هذه الأخيرة ازدادت ستّا كاملات لتتصدّر بخمس وعشرين (25) فتحة.

الواضح أنّ الفتحة طغت على كلّ من الضّمّة والكسرة في المقاطع الأحد عشر (11) المتغيّرة، وقد يقول قائل إنّها «الحركة الخفيفة المستحبّة، التي يحبّ العرب أن يختموا بها كلماتهم ما لم يلفتهم عنها لافت؛ فهي بمنزلة السّكون في لغتنا الدّارجة»[1] على مذهب "إبراهيم مصطفى"، ولكنّ "مفدي زكريا" صاحب لغة فصيحة، ما رأيناه طيلة فترة تعاملنا مع إلياذة الجزائر يجتح ويهرب للفتح في غير المنصوبات وتوابعها، وتؤكّد ذلك المقاطع التي قلّ فيها استعمال الفتحة؛ حتّى إنّ المقطع الحادي والتّسعين (91) وردت فيه الفتحة علامة للإعراب مرّة واحدة لا أكثر. وإنّما أفادت الفتحة حرص

[1]- إحياء النّحو: إبراهيم مصطفى، ص: 15.

الشاعر الشّديد على كبح مشاعره وعواطفه؛ لتقديم عمل تاريخيّ يتّسم بالشّفافيّة والموضوعيّة.

وشذّ من المقاطع الإحدى عشر (11) مقطعان لم تكن الفتحة فيهما العلامة الإعرابيّة الأكثر استعمالا؛ وهما:

- المقطع الأوّل (01): حيث استعمل الشّاعر الكسرة أكثر من غيرها، فعكست انبهاره وافتتانه بجمال الجزائر وجلالها.
- المقطع الرّابع (04): الذي تساوت فيه الكسرة والضّمّة لتعكسا مشاعر "مفدي زكريا" المتردّدة بين افتخاره بأبناء وطنه الذين اتّحدوا وخاضوا حرب الخلاص مخلصين لقضيّتهم، وانكساره لما يقع في فلسطين، واصفا شعبها بالذّبيح؛ ليلخّص معاناتهم في أبشع صورة.

ثالثا: السّكون:

استعمل السّكون 42 مرّة، بنسبة 00.72 % من مجموع الحركات الإعرابيّة، وذلك في مقطعا. ومن الطّبيعيّ أن يكون السّكون أقلّ العلامات الإعرابيّة استعمالا لكونه فرعا عنها، ويرتبط وجوده بالفعل المضارع الصّحيح الآخر المسبوق بأداة نفي، مع استثناء الأفعال الخمسة والمضارع المبني.

ويلاحظ أنّ السّكون في المقطع الحادي والتّسعين (91) أكثر من الفتحة أخفّ الحركات، حيث ورد خمس (05) مرّات فيما استعملت الفتحة علامة للإعراب مرّة واحدة، وهذا انزياح واضح وخروج عن المألوف، تعمّده الشّاعر في مقطع كان حازما فيه مع الشّباب الجزائريّ؛ حيث عدّد ما يجب على الشّباب التّحلّي به حتّى لا تنفلت أخلاقه وتضيع، أو يتيه وسط المذاهب المتناقضة. ودعا الشّاعر إلى اعتماد النّهد الإسلاميّ الصّحيح منهجا يسير عليه، لا أن يعيش تابعا مقلّدا. فالسّكون هنا علامة للجزم نحويا ودلاليّا.

رابعا: حروف الإعراب:

استعملت الحروف علامة للإعراب مائة وثمانية وستّين (168) مرّة، أي بنسبة 02.88% من مجمل العلامات الإعرابيّة إضافة إلى الحذف الحاصل فيها وعدده ثمانية وعشرون (28)حذفا ليصبح المحموع مائة وستّة وتسعون (196) علامة بنسبة

03.36%، وهذا طبيعيّ لكونها تخصّ أنواعا محدودة من الكلم. ولا يمكن القول إنّها تؤثّر دلاليا بورودها مرّة أو مرّتين؛ ولكنّ تكرار استعمالها في المقطع كثيرا سيلفت الانتباه ويحوّلها من مجرّد علامة إعرابيّة إلى عنصر مميّز يحمل دلالة ما.

ويوضّح الجدول الآتي عدد حروف الإعراب ونسب ورودا في الإلياذة:

العلامة	العدد	النّسبة (بالنّسبة للحروف)	النّسبة (بالنسبة للعلامات كلّها)
الواو	27	%13.78	%0.46
الألف	09	%04.59	%0.15
الياء	98	%50	%01.68
النون	34	%17.35	%0.58
الحذف	28	%14.28	%0.48

الجدول رقم: (12)

الشّكل رقم (09): تفاوت نسب استعمال حروف الإعراب .

ولم تستعمل الحروف علامات للإعراب إلا في سبعين (70) مقطعا من المقاطع المائة للإلياذة، وتوزّع استعمالها كالآتي:

العلامات	الواو	الألف	الياء	النّون
عدد المقاطع	22	06	57	19

الجدول رقم: (13)

1. الواو: لا تكون الواو إلا علامة للرّفع.
2. الألف: جاءت الألف علامة للنّصب مرّتين (02)، وعلامة للرّفع سبع (07) مرّات.
3. الياء: جائت علامة للنّصب خمس عشرة مرّة (15)، وعلامة للجرّ ثلاثا وثمانين (83) مرّة.
4. النّون: لا تكون النّون إلا علامة لرفع الأفعال الخمسة.
5. الحذف: الحذف نوعان: حذف النّون، وحذف حرف العلّة. حذف النّون علامة لنصب الأفعال الخمسة، وكان ذلك مرّتين (02)، وعلامة لجزمها كذلك وكان ذلك ثمان (08) مرات. بينما حذف حرف العلّة لا يكون إلا علامة لجزم الفعل النّاقص (معتلّ الآخر)، وكان الجزم في ثمانية عشر (18) مواطنا من الإلياذة فقط.

وأكثر العلامات الإعرابيّة الفرعيّة لفتا للانتباه:

الياء، وذلك في ستّ (06) مقاطع من الإلياذة، عمد إليها الشّاعر في هذه المقاطع التي جمع فيها الشّاعر بين التّغنيّ بالأمجاد والآلام المعاشة؛ حيث نراه يتحدّث في المقطع الثّاني والثّلاثين (32) عن أمجاد ندرومة وعلاقة الجزائر بجيرانها المسلمين، ولكنه يتحسّر على وحدة المغرب العربيّ. بينما نراه يحيّي مناضلي حزب "نجم شمال إفريقيا" في المقطع الخمسين (50)، وإن أُخفتت ثورتهم بلغو الكلام. وها هو يتغنّى بثورة الفاتح من نوفمبر في المقطع الثّاني والخمسين (52)، ويبكي لحال فلسطين آملا أن تقفو خطانا في ثورتنا.

أمّا المقاطع الثّلاث الباقية فمشتركة في موضوعها العام وهو الأمجاد المنبثقة من رحم الآلام؛ ففي المقطع الثّامن والخمسين (58) مجّد درب السّلاح في الأوراس الذي قدّم أبناءه الشّهداء في سبيل الله قربانا للجزائر. وفي المقطع السّتّين (60) بارك الشّاعر وقوف الشّعب الجزائيّ بكلّ فئاته (طلبة، تجّار، فلاحين، كادحين) في وجه خطوب

الجزائر وحروبها التي قُدّمت لأجل الخلاص منها أكباد الجزائريّين. أمّا المقطع السّبعون (70) فيحثّ الشّاعر فيه الجزائريّين على صراع الأراضي مساويا إيّاه بصراع المنايا في إشارة منه إلى الثّورة الزّراعيّة التي انتهجتها الجزائر بعد الاستقلال.

ثمّ **النّون** في المقطعين: الثّمانون (80) والثّالث والثّمانون (83)؛ أين عبّرت النّون عن حزن الشّاعر لما آلت إليه حال الشّباب من الميوعة والانحلال الذي زرعه المستعمر فيهم، وخصّص المقطع الثّالث والثّمانين (83) للمتعلّمين منهم الذين تأثّروا بأفكار يحسبونها تقدّميّة ويسمون ثقافتهم الأصليّية باللاشيء.

وأخيرا **حذف حرف العلّة** الذي تكرّر في المقطع الثّاني والتّسعين (92) ثلاث مرّات، وهو حذف ناسب سكوت الشّاعر عن الإفصاح بما يخصّ منطقة "سانت أوجين" المسمّاة "بولوغين" حاليّا تاركا الأمر للذّكريات.

بعد تتبّع العلامات الإعرابيّة في إلياذة الجزائر لشاعر الثّورة "مفدي زكريّا" خلصنا إلى أنّ:

- كلّ صوت من أصوات القافية يمكن أن يكون علامة إعرابيّة، بل وقد تضمّ القافية أكثر من علامة إعرابيّة واحدة.
- يمكن لطول المقاطع والقوافي وبالتّالي طول الصّوائت وكثرتها أن يحمل دلالة كالبعد والقدم.
- وجود علاقة بين المعنى النّحويّ للعلامة الإعرابيّة ومعناها الصّوتي وحتّى الصّرفيّ حين تكون عينا للفعل -بالنظر إلى دلالاتها في كتب التصريف-؛ فالضّمّة علامة للقوّة والفاعليّة والتّأثير والغضب، والواو علامة للقوّة والعدد، والفتحة علامة للتّواضع والهدوء والموضوعيّة والألف رفع للصّوت بغرض التّنبيه أو الافتخار، والكسرة علامة للانفعال والتّأثّر، والألم، والأمل، واللطف، والرّقّة، ودليل على دفق عاطفيّ تشترك فيه والياء، وهذه الأخيرة لقيمتها الموسيقيّة تحضر في التّغنّي والبكاء، وتجمع بين المشاعر السّعيدة والحزينة.
- عكست العلامات الإعرابيّة بصفتها أصواتا الحالة الانفعاليّة للشّاعر؛ فرغم أنّه حاول كتابة الإلياذة بشكل موضوعيّ لتكون مرجعا تاريخيّا إلا أنّها كشفت الجوانب الذّاتيّة للشّاعر في الإلياذة.

خاتمة

استنادا إلى المعطيات السّابقة نستنتج أنّ:

1. المحدثين معتمدين على الأجهزة الحديثة أقرّوا ما ذهب إليه القدامى بحسّهم المرهف وذوقهم فيما يتعلّق بـإنتاج كلّ الصّوائت من مخارج الأصوات المجانسة لها وخروج الصّوت سلسا دون عائق أو حائل يعترض طريقه لاتّساع مخارجها، وأرجعوا اختلاف الصّوائت إلى تغيّر شكل مجرى الهواء في التّجويفين الحلقي والفمي.
2. لم يكن القدامى على الأغلب عارفين بالأوتار الصّوتيّة لذا لم يتطرّقوا إليها في حديثهم عن إنتاج الصّوائت، وإن كان وصفهم لها بالجهر وإشارتهم لانتهائها إلى الهمز يترجم اهتزاز الأوتار الصّوتيّة.
3. حفظت القراءات القرآنيّة صوت النّون والأصوات الفرعيّة وأهتمّ القرّاء بهذه الأصوات إنتاجا ووصفا، ولهذا لم نرى في الدّرس الحديث أيّ إضافة تذكر لبعد العهد بلهجات العرب الفصيحة.
4. بالنّظر إلى المعايير الثّلاثة التي وضعها "دانيال جونز" واعتمدها المحدثون في وصف الصّوائت يظهر اختلاف القدماء والمحدثين في معيارين من المعايير الثّلاثة؛ فإضافة إلى المعيار الأفقي للأصوات والمتمثّل في ترتيب مخارجها، اختلفت نظرياتهم حول فكرة الاستعلاء في حدّ ذاتها أتخصّ أقصى اللسان فقط على مذهب القدماء أمّ اللسان عموما أيا كان الجزء المرتفع على رأي المحدثين.
5. ردّ المحدثون جعل القدماء الصّوائتَ الطّوال حروفا سواكن ما يختلف وطبيعتها المصوّتة وهو ما يلغي الكثير من القواعد المبنيّة على هذا الأساس، كما اختلفوا حول النّون المخفاة التي اعتبرها القدماء صوتا فرعيّا فيما يرى المحدثون أنّ النون صوت شديد التّأثّر بما يحيط به من أصوات لا غير.
6. استفاد المحدثون من التّطوّر العلمي فأضافوا إلى وصف الصّوائت جانبا فيزيائيّا فوصفوها بالحدّة أو الرّزانة، والتّضام أو الانتشار، واستطاعوا أن يبيّنوا ما ذهب إليه القدماء من أنّ الصّوائت الطّوال لا تختلف عن نظيراتها القصار إلا في صفة الطّول.
7. كتابيّا لم يكن للغة العربيّة رموز دالة على الحركات إلى أن جاء أبو الأسود الدّؤلي فوضع النّقاط علامات للحركات ثمّ طوّرها الخليل بن أحمد الفراهيدي لتصبح على ما هي عليه اليوم. ولم يضع الخليل علامة السّكون

فاختلف النّاس في استعمال رموز دالّة عليه ليستقرّ حديثا استعمال رمز الدّائرة مع رمز الدّال في بعض الخطوط. أمّا الحركات الطّوال فأخذت من البداية شكل شبيهاتها من الصّوامت.

8. العلامات الإعرابيّة كأيّ صوت من الصّوائت تتأثّر بما يجاورها من أصوات فتتنوّع صورها النّطقيّة إذا كان التّأثّر جزئيّا. أمّا إذا كان التّأثّر كلّيا فتبدل علامة الإعراب تبعا لقوانين المماثلة والمخالفة، وقد حاول العلماء منذ القدم تقديم تبريرات منطقيّة لهذه التّغيّرات. ولكنّا استخلصنا من تجاربهم أنّ اللغة في هذا الباب خضعت للذّوق البشريّ ولا يمكن بأيّة حال من الأحوال إخضاع الذّوق البشري إلى قاعدة.
9. بنى اللغويّون مختلف فروع اللغة على أسس صوتيّة ولهذا وجدنا للصّوت وظائف أساسيّة في مختلف علوم اللغة، صوتيّا وصرفيّا ونحويّا وعروضيّا وإيقاعيّا. وهذا يفسّر ما لاحظناه من وجود علاقة بين المعنى النّحويّ للعلامة الإعرابيّة ومعناها الصّوتي وحتّى الصّرفيّ حين تكون عينا للفعل – بالنظر إلى دلالاتها في كتب التصريف-حيث عكست العلامات الإعرابيّة بصفتها أصواتا مختلف الحالات الانفعاليّة للشّاعر؛ فرغم أنّه حاول كتابة الإلياذة بشكل موضوعيّ لتكون مرجعا تاريخيّا إلا أنّها كشفت الجوانب الذّاتيّة للشّاعر في الإلياذة.
10. أثبتت دراسة قوافي القصيدة أنّها قد تضمّ أكثر من علامة إعرابيّة، وأنّ دلالة أصواتها لا تقتصر على نوع الصّوت المكوّن للقصيدة إنّما يمكن لطول المقاطع والقوافي وبالتّالي طول الصّوائت وكثرتها أن يحمل دلالة كالبعد والقدم، وهو أمر لا يستبعد خارج حدود القافية.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أوّلا/ المصادر والمراجع:

1. الأبجديّة: نشأة الكتابة وأشكالها عند الشّعوب: أحمد هبّو، دار الحوار، سوريا، ط: 01، 1984م.
2. الإحكام في أصول الأحكام: أبو محمد عليّ بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، تقديم: إحسان عبّاس، دار الآفاق الجديدة، بيروت، دط، دت.
3. إحياء النّحو: إبراهيم مصطفى، مؤسّسة هنداوي للتّعليم والثّقافة، مصر، دط، دت.
4. الأدب العربيّ وتاريخه في العصرين الأمويّ والعبّاسي: محمد عبد المنعم الخفاجي، دار الجيل، بيروت، 1410ه/1990م.
5. ارتشاف الضّرب من لسان العرب: أبو حيّان الأندلسي، تح: رجب عثمان محمّد، مطبعة المدني، القاهرة، ط: 01، 1418ه/1998م.
6. أسس علم اللغة: ماريو باي، ترجمة: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، مصر، ط: 08، 1998م.
7. الأشباه والنّظائر: جلال الدّين السّيوطي، تح: عبد العال سالم مكرم، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط: 01، 1406ه/1985م.
8. الأصوات العربيّة المتحوّلة وعلاقتها بالمعنى: عبد المعطي نمر موسى، دار مكتبة الكندي للنّشر والتّوزيع، الأردن، ط: 01، 1435ه/2014م.
9. أصوات اللغة: عبد الرّحمن أيوب، مطبعة الكيلاني، مصر، ط:02، 1968م.
10. أصوات اللغة العربيّة: عبد الغفّار حامد هلال، مكتبة وهبة، مصر، ط: 03، 1416ه/1996م.
11. الأصوات اللغويّة: إبراهيم أنيس، مكتبة نهضة مصر، دط، دت.
12. الأصوات اللغويّة رؤية عضويّة ونطقيّة وفيزيائيّه: سمير شريف إيستيتيه، دار وائل للنّشر، عمان، ط: 01، 2003م.
13. الأصوات اللغويّة: عبد القادر عبد الجليل، دار صفاء للنّشر والتوزيع، عمان، ط: 02، 1435ه/2004م.
14. الأصول في النّحو: أبو بكر محمّد بن سهل بن السّراج النّحويّ البغداديّ، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط: 03، 1417ه/1996م.

15. الإضاءة في بيان أصول القراءة: علي محمد الضّباع، ملتزم الطّبع والنشر: عبد الحميد أحمد حنفي، مصر، دط، دت.
16. إلياذة الجزائر: مفدي زكريا، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط: 02، 1987م.
17. الأنموذج في النّحو: محمود بن عمر الزّمخشري، اعتنى به: سامي بن محمد المنصور، مكتبة لسان العرب، ط: 01، 1420ه/1999م.
18. الإيضاح العضدي، أبو عليّ الفارسي، تح: حسن شادلي فرهود، مطبعة دار التأليف، القاهرة، ط: 1، 1389ه/1969م.
19. الإيضاح في علل النّحو، أبو القاسم الزّجّاجي، تح: مازن المبارك، دار النّفائس، بيروت، ط: 03، 1399ه/1979م.
20. بدائع الفوائد: أبو عبد الله محمّد بن أبي بكر بن أيّوب بن قيّم الجوزيّة، تح: علي بن محمّد العمران، إشراف بكر بن عبد الله بوزيد، دار عالم الفوائد، مكّة، دط، دت.
21. البسيط في شرح جمل الزّجّاجي: ابن أبي الرّبيع عبيد الله بن أحمد بن عبيد الله القرشيّ الإشبيلي السّبتي، تح: عيّاد بن عيد الشبيتي، دار الغرب الإسلامي، بيروت،ط: 01، 1407ه/1986م.
22. البيان والتّبيين: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تح: عبد السّلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، دط، دت.
23. تاج العروس من جواهر القاموس: مرتضى الزّبيدي، تح: عبد السّتّار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ط: 1385ه/1965م.
24. تاريخ اللغات السّامية: إسرائيل ولفنسن، مطبعة الاعتماد، مصر، 1348ه/1929م.
25. تاريخ اللغات السّامية: جودة محمود الطحلاوي، مطبعة الطلبة، مصر، 1350ه/1932م.
26. تأويل مشكل القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم أبو قتيبة، شرحه ونشره: السّيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط: 02، 1393ه/1973م.
27. التّبيين عن مذاهب النّحويين البصريين والكوفيين: أبو البقاء العكبري، تح: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:1، 1406ه/1986م.

28. والتّحديد في الإتقال والتّجويد: أبو عمرو عثمان بن سعيد الدّاني الأندلسي، تح: غانم قدّوري الحمد، دار عمار، الأردن، ط: 01، 1421ه/2000م.
29. التّذييل والتّكميل في شرح كتاب التّسهيل: أبو حيّان الأندلسي، تح: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، دط، دت.
30. تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ابن مالك، حقّقه وقدّم له: محمد كامل بركات، دار الكاتب العربي للطّباعة والنّشر، مصر، 1387ه/1967م.
31. التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: 03، 1417ه/1997م.
32. التّطوّر النّحوي للغة العربيّة: محاضرات ألقاها في الجامعة المصريّة بالقاهرة: برجستراسر، أخرجها وعلّق عليها: رمضان عبد التّوّاب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: 02، 1414ه/1994م.
33. التّكملة: أبو عليّ الفارسي، تح: حسن شاذلي فرهود، جامعة الرّياض، 1401ه/1981م.
34. تلقيب القوافي وتلقيب حركاتها: أبو الحسن محمد بن أحمد ابن كيسان (ت299ه، تقديم وتحقيق وشرح: محمد إبراهيم البنّا، المكتبة المكّية، مكّة، دار ابن حزم،بيروت لبنان، ط: 01، 2006م/ 1427ه.
35. التمهيد في علم التّجويد: شمس الدّين أبو الخير محمد بن الجزري، تح: غانم قدّوري حمد، مؤسّسة الرّسالة، لبنان، ط: 01، 1421ه/2001م.
36. تهذيب اللغة: أبو منصور الأزهريّ، تح: محمد عليّ النّجّار، الدّار المصريّة للتّأليف والتّرجمة، مصر، دط، دت.
37. التّوطئة: أبو عليّ الشّلوبين، تح: يوسف أحمد المطوع، مطابع سجل العرب، القاهرة، 1401ه/ 1981م.
38. توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك: المرادي المعروف باين أمّ قاسم، شرح وتحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، مصر، ط: 01، 1422ه/2001م.
39. الجمل في النّحو: الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: فخر الدين قباوة، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط: 01، 1405ه/1985م.
40. الجمل في النّحو: أبو القاسم عبد الرّحمن بن إسحاق الزّجّاجي، تح: علي توفيق الحمد، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، دار الأمل، الأردن، ط: 01، 1404ه/1984م.

41. جهد المقل: محمد بن أبي بكر المرعشيّ الملقّب بساجِقلي زاده، تح: سالم قدّوري الحمد، دار عمار الأردن، ط: 02، 1426ه/2008م.
42. حاشية الصّبّان شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تح: طه عبد الرّؤوف سعد، المكتبة التوفيقيّة، مصر، دط، دت.
43. الحركات في اللغة العربيّة دراسة في التّشكيل الصّوتي: زيد خليل القرالّة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط: 01، 1425ه/2004م.
44. حركة النّحو والدّلالة في النّصّ الشّعريّ: صالح عبد العظيم الشّاعر، الحكمة للطّباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط: 01، 2013م.
45. حياة اللغة العربيّة: حنفي ناصف، مكتبة الثّقافة الدّينية، مصر، ط: 01، 1423ه/2002م.
46. الخصائص : أبو الفتح عثمان بن جنّي، تح: محمد علي النّجّار، المكتبة العلميّة، القاهرة، دط، دت.
47. خصائص الأسلوب في الشّوقيات: محمد الهادي الطّرابلسي، منشورات الجامعة التونسية، تونس، دط، 1981م.
48. خصائص الحروف العربيّة ومعانيها، عباس حسن، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، سوريا، ط: 1998م.
49. الدّراسات الصّوتيّة عند علماء التّجويد: غانم قدّوري الحمد، دار عمار، الأردن، ط: 02، 1428ه/2007م.
50. دراسات في علم اللغة: كمال بشر، دار غريب للطّباعةوالنّشر والتّوزيع، مصر، 1998م.
51. دراسة الصّوت اللغويّ: أحمد مختار عمر،عالم الكتب، القاهرة، 1418ه/1997م.
52. دراسة في علم الأصوات : حازم علي كمال الدّين، مكتبة الآداب، القاهرة، ط: 01، 1420ه/1999م.
53. دروس في علم أصوات العربيّة: جان كانتينو، ترجمة: صالح القرمادي، نشريات مركز الدّراسات والبحوث الاقتصاديّة والاجتماعية، الجامعة التّونسيّة، دط، دت.
54. دليل الحيران على مورد الضّمئان: إبراهيم بن أحمد المارغنّي، مكتبة النجاح، طرابلس، ليبيا، دط، 1980م.

55. رسالة أسباب حدوث الحروف: أبو عليّ الحسين بن عبد الله بن سينا، تح: محمّد حسّان الطيّان ويحيى مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربيّة، دمشق، دط، دت.
56. الرّعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التّلاوة: أبو محمّد مكّي بن أبي طالب القيسي، تح: مكتبة قرطبة، مؤسّسة قرطبة، الجزائر، ط:01، 2005م.
57. السّاميون ولغاتهم: حسن ظاظا، دار القلم، دمشق، الدّار الشّاميّة، بيروت، ط: 02، 1410ه/1990م.
58. سرّ صناعة الإعراب: أبو الفتح عثمان ابن جنّي، تح: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط: 02، 1413ه/1993م.
59. سلم اللسان في النّحو والصّرف والبيان: جرجي شاهين عطيّة، دار ريحاني، بيروت، ط:04، دت.
60. الشّافية في علم التّصريف: جمال الدّين أبو عمرو عثمان الدَّويني النّحويّ المعروف بابن الحاجب، تح: حسن أحمد العثمان، المكتبة المكّية، لبنان، ط: 01، 1415ه/1995م.
61. الشّاهنامة: أبو القاسم الفردوسي، ترجمها نثرا: الفتح بن عليّ البنداري، وقارنها بالأصل الفارسي، وأكمل ترجمتها في مواضع، وصحّحها وعلّق عليها، وقدّم لها: عبد الوهاب عزّام، مطبعة دار الكتب المصريّة، القاهرة، ط: 01، 1350ه/1932م.
62. شذى العرف: أحمد بن محمّد بن أحمد الحملاوي، دار الكيان للنّشر والتّوزيع، السّعودية، ط: 01.
63. شرح الآجروميّة: محمّد بن صالح العثيمين، مكتبة الرّشد، السّعوديّة، ط: 01، 2005م.
64. شرح التّسهيل –تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد-: جمال الدين محمد بن عبد الله ابن مالك الطّائي الأندلسي، تح: محمد عبد القادر عطا وطارق فتحي السّيّد، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط: 01، 1422ه/2001.
65. شرح التّصريح على التّوضيح أو التّصريح بمضمون التّوضيح في النّحو: الشّيخ خالد بن عبد الله الأزهري، تح: محمد باسل عيون السّود، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط: 02، 2006م.

66. شرح جمل الزّجّاجي: أبو الحسن عليّ بن مؤمن بن محمد بن عليّ بن عصفور الإشبيلي، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه: فوّاز الشعّار، إشراف: إيميل يعقوب، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط: 01، 1419ه/1998م.
67. شرح جمل الزّجّاجي: أبو الحسن عليّ بن محمد بن عليّ بن خروف الإشبيلي، تح: سلوى محمد عمر عرب، جامعة أمّ القرى، جدّة، 1419ه.
68. شرح شافية ابن الحاجب: رضيّ الدين محمد بن الحسن الأسترآبادي، تح: محمد نور الحسن ومحمد الزّفزاف ومحمد محيي الدّين عبد الحميد، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1402ه/1982م.
69. شرح كافية ابن الحاجب: رضيّ الدين محمّد بن الحسن الأسترآبادي، تقديم: إيميل بديع يعقوب، دار الكتب العلميّة، بيروت، دط، دت.
70. شرح كتاب الحدود في النّحو: عبد الله بن أحمد الفاكهيّ النّحويّ المكّي، تح: المتولّي رمضان أحمد الدّميري، 1408ه/1988م.
71. شرح كتاب سيبويه: أبو سعيد السّيرافي، تح: أحمد حسن مهدلي وعلي سيد علي، دار الكتب العلميّة، بيروت، دط، دت.
72. شرح المفصّل: ابن يعيش، إدارة الطّباعة المنيرية، القاهرة، دط، دت.
73. شرح المفصّل في صنعة الإعراب الموسوم بالتّخمير: القاسم بن الحسين الخوارزمي، تح: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 1، 1990م.
74. الصّاحبي في فقه اللغة العربيّة ومسائلها وسنن العرب في كلامها: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، علق عليه، أحمد حسن بسج، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط: 01، 1418ه/ 1997م.
75. صبح الأعشى في كتابة الإنشا: أبو العبّاس أحمد القلقشندي، المطبعة الأميريّة، القاهرة، 1333ه/1914م.
76. الصّحاح: إسماعيل بن حمّاد الجوهريّ، تح: أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، بيروت، ط:02، 1399ه/1979م.
77. الضّروريّ في النّحو: أبو الوليد بن رشد، تح: منصور علي عبد السّميع، الصّحوة للنّشر والتّوزيع، مصر، ط: 01، 1431ه/2010م.
78. طبقات الشّعراء: محمد بن سلام الجمحي، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1422ه/2001م.

79. طريقة الإعراب: دراسة منهجية تأصيلية تيسيرية: سعود بن عبد العزيز الخنين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة، المملكة العربيّة السّعوديّة، ط: 01، 1427ه/ 2006م.
80. العلاقات الدّلالية في شعر مفدي زكريا: عبد النّاصر بوعلي، دار هومة، الجزائر، ط: 01، 2014م.
81. العلامة الإعرابيّة في الجملة بين القديم والحديث : محمد حماسة عبد اللطيف، دار الغريب، القاهرة، 2001م.
82. علم الأصوات: برتيل مالبرج، تعريب ودراسة: عبد الصّبور شاهين، مكتبة الشّباب، مصر، 1984م.
83. علم الأصوات: كمال بشر، دار غريب، القاهرة، ط: 2000م.
84. علم الأصوات العام -أصوات اللغة العربيّة-: بسّام بركة، مركز الإنماء القومي، لبنان، دط، دت.
85. علم الأصوات العربيّة: محمد جواد النّوري، منشورات جامعة القدس المفتوحة، الأردن، ط: 01، 1996م.
86. علم الأصوات اللغويّة (ظواهر علم الأصوات في القرآن الكريم): نور الدّين عصام، المكتبة الأزهرية للتّراث، مصر، 2009م.
87. علم اللسان الحديث في القرآن: عبد الجليل مرتاض، دار هومة، الجزائر، 2013م.
88. علم اللغة: مدخل نظري في اللغة العربيّة: محمود عكاشة، دار النّشر للجامعات، القاهرة، ط:01، 2006م.
89. علم اللغة: مقدّمة للقارئ العربي: محمود السّعران، دار النهضة العربيّة، بيروت، دط، دت.
90. العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السّامرّائي، سلسلة المعاجم والفهارس، دط، دت.
91. الفسيح في ميلاد اللسانيات العربيّة: عبد الجليل مرتاض، دار هومة، الجزائر، ط: 02، 2009م.
92. فصول في فقه العربيّة: رمضان عبد التّواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: 06، 1420ه، 1999م.
93. فقه اللغات السّامية: كارل بروكلمان، ترجمة: رمضان عبد التّوّاب، دط، دت.

94. فقه اللغة: عبد الواحد وافي، نهضة مصر، ط: 03، 2004م.
95. فقه اللغة المقارن: إبراهيم السّامرّائي، دار العلم للملايين، بيروت، ط: 03، 1983م.
96. الفهرست: ابن النّديم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، دط، دت.
97. في النّصّ الأدبي: سعد مصلوح، عين للدّراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، مصر، ط: 01، 1993م.
98. في الأصوات اللغويّة دراسة في أصوات المدّ العربيّة: غالب فاضل المطلبي، دار الحرّيّة للطّباعة، بغداد، 1984م.
99. الكافية في علم النّحو والشّافية في علمي التّصريف والخط: جمال الدّين عثمان بن عمر بن أبي بكر ابن الحاجب، تح: صالح عبد العظيم الشّاعر، مكتبة الآداب، القاهرة، دط، دت.
100. كتاب أسرار العربيّة: أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري، تح: محمد بهجة البيطار، مطبوعات المجلس العلمي العربي، دمشق، دط، دت.
101. كتاب الإيقاع في الشّعر العربيّ: عبد الرحمن آلوجي، دار الحصاد، دمشق، ط: 01، 1989م.
102. كتاب القصد النّافع لبغية النّاشئ والبارع على الدّرر اللوامع في مقرئ الإمام نافع، أبو الحسن عليّ بن محمد بن الحسن التّازي، تح: التلميذي محمّد محمود، دار الفنون للطباعة والنشر، جدة،، ط: 01، 1413ه/1993م.
103. الكتاب: كتاب سيبويه: أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر، تح: عبد السّلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: 03، 1408ه/1988م.
104. كتاب الموسيقى الكبير: أبو نصر بن محمد بن طرخان الفارابي، تح: عطاس عبد الملك خشبة، دار الكتاب العربي للطّباعة والنّشر، القاهرة، دط، دت.
105. اللباب في علل البناء والإعراب: أبو البقاء العكبري محبّ الدّين عبد الله بن الحسين البغدادي، تح: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدّينيّة، القاهرة، ط: 01، 1430ه/ 2009م.
106. لسان العرب: أبو الفضل جمال الدّين بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري ، دار صادر، بيروت، دط، دت.

107. اللسانيات الأسلوبية: عبد الجليل مرتاض، دار هومة، الجزائر، ط: 01، 2013م.
108. لسانيات النّصّ مدخل إلى انسجام الخطاب: محمد خطابي، المركز الثّقافي العربي، ط: 01، 1991م.
109. اللغة العربيّة معناها ومبناها: تمام حسان، دار الثّقافة، المغرب، 1994م.
110. مباحث إيقاعية في اللغة العربيّة: عبد الحكيم والي دادة، دار هومة للنّشر والتّوزيع، الجزائر، ط: 01، 2014م.
111. مبادئ اللسانيات: أحمد محمد قدور، دار الفكر، سوريا، ط: 03، 1429ه/2008م.
112. متن الشّاطبيّة المسمّى حرز الأماني ووجه التّهاني في القراءات السّبع: القاسم بن فيرّه بن خلف بن أحمد الشّاطبي الرّعيني الأندلسي، ضبطه وصحّحه وراجعه: محمد تميم الزعبي، دار الهدى، السعودية، ط: 05، 1431ه/2010م.
113. متن شذور الذّهب: ابن هشام الأنصاريّ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الأخيرة، دت.
114. المحصول: ابن إياز، دط، دت.
115. المحكم في نقط المصاحف: أبو عمرو عثمان بن سعيد الدّاني، تح: عزّة حسن، دار الفكر المعاصر، لبنان، دار الفكر، سوريا، ط: 02، 1418ه/1997م.
116. المحيط في أصوات العربيّة ونحوها وصرفها: محمد الأنطاكي، دار الشّرق العربي، بيروت، دط، دت.
117. المختصر في أصوات اللغة العربيّة دراسة نظريّة وتطبيقيّة: محمد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب، القاهرة، ط: 04، 1427ه/2006م.
118. المدخل إلى علم أصوات العربيّة: غانم قدّوري الحمد، دار عمار، الأردن، ط: 01، 1425ه/ 2004م.
119. مدخل إلى علم اللغة: محمود فهمي حجازي، دار قباء، مصر، دط، دت.
120. المزهر في علوم اللغة وأنواعها: جلال الدين السّيوطي، شرحه وضبطه وعلّق عليه: محمد أحمد جاد المولى بك ومحمد أبو الفضل إبراهيم ومحمد علي البجاوي، منشورات الكتب العصريّة، صيدا، بيروت، دط، دت.

121. المسائل المشكلة: أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفّار الفارسي، قرأه وعلّق عليه: يحيى مراد، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط: 01، 1424ه/2003م.
122. المستطاب في التّجويد المسمّى هداية القرّاء: شهاب الدّين أبو العبّاس بن محمد القسطلاني، تح: السّيّد يوسف أحمد، دار الكتب العلميّة، بيروت، 2008م.
123. المسند: الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، شرحه وصنع فهارسه: حمزة أحمد الزّين، دار الحديث، القاهرة، ط: 01، 1416ه/ 1995م.
124. المصطلح النّحويّ وأصل الدّلالة (دراسة ابستمولوجية تأصيلية لتسمية المصطلحات النّحويّة من خلال الزّمخشري): رياض عثمان، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط: 01، 2010م.
125. معايير تحليل الأسلوب: ميكائيل ريفاتير، تر: حميد لحميداني، دراسات سال، دار النّجاح الجديدة، البيضاء، ط: 01، 1993م.
126. معجم علم الأصوات: محمد علي الخولي، مطابع الفرزدق التّجاريّة، السّعوديّة، 1402ه/1982م.
127. معجم المصطلح الصوتي عند علماء التجويد: بلقاسم مـگـريني، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط:01، 1434ه/2013م.
128. معجم المصطلحات النّحويّة والصّرفيّة: محمّد سمير نجيب اللبدي، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، دار الفرقان، عمان، الأردن، ط: 01، 1405ه/1985م.
129. المعجم المفصّل في النّحو العربي: عزيزة فوّال بابتي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط: 01، 1413ه/1992م.
130. معجم الوسيط: مجموعة من الأساتذة، مكتبة الشّروق الدّوليّة، مصر، ط: 4، 1425ه/2004م.
131. المفصّل في العربيّة: أبو القاسم محمود بن عمر الزّمخشري، تح: فخر صالح قدارة، دار عمّار، عمان، ط: 1، 1425ه/ 2004م.
132. مقاييس اللغة: أحمد ابن فارس، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دمشق، دط، دت.
133. المقتضب: أبو العبّاس محمد بن يزيد المبرّد، تح: محمّد عبد الخالق عضيمة، لجنة إحياء التّراث الإسلامي، القاهرة، 1415ه/1994م.

134. المقدّمة الجزولية في النّحو: أبو موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولي، تح: شعبان عبد الوهاب محمد، راجعه: حامد أحمد نيل وفتحي محمد أحمد جمعة، مطبعة أم القرى، مصر، دط، دت.
135. المقرّب: علي بن مؤمن المعروف بابن عصفور، تح: أحمد عبد الستّار الجواري وعبد الله الجبّوري، ط: 01، 1392ه/1972م.
136. من لسانيات اللغة العربية-علم الأصوات: محمد جواد النّوري، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط: 01، 1440ه/2018م.
137. والمنح الفكريّة في شرح المقدّمة الجزريّة: ملا علي القاري، تح: أسامة عطايا، دار الغوثاني للدّراساتن القرآنيّة، سوريا، ط: 02، 1433ه/2012م.
138. المنظومة في العروض والقوافي والمصطلحات الموسومة: رضوان محمد حسين النّجّار، مطبعة برصالي، تلمسان، ط: 01، 1427ه/2007م.
139. المنهج الصّوتي للبنية العربيّة –رؤية جديدة في الصّرف العربي: عبد الصّبور شاهين، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، 1400ه/1980م.
140. الموازنة بين اللهجات العربيّة الفصيحة دراسة لسانية في المدوّنة والتّركيب: عبد الجليل مرتاض، دار هومة، الجزائر، دط، دت.
141. موسوعة علوم اللغة العربيّة: إيميل بديع يعقوب، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط: 01، 1427ه/2006م.
142. موسيقى الشّعر: إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط: 02، 1952م.
143. ميزان الذهب في صناعة شعر العرب: السّيّد أحمد الهاشمي، تح: حسني عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب، القاهرة، ط: 01، 1418ه/1997م.
144. نتائج الفكر في النّحو: أبو القاسم عبد الرّحمن بن عبد الله السّهيلي، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوّض، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط: 01، 1412ه/1992م.
145. النّشر في القراءات العشر: أبو الخير محمد بن محمدد الدّمشقي الشّهير بابن الجزري، تصحيح ومراجعة: عللي محمدد الضّباع، دار الكتب العلميّة، بيروت، دط، دت.
146. نظريّة اللغة والجمال في النّقد العربي: تامر سلّوم، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط: 01، 1983م.

147. نهاية القول المفيد في علم تجويد القرآن المجيد، محمّد مكّي نصر الجريسي، ضبط وتصحيح: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط: 01، 1424ه/2003م.
148. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدّين السّيوطيّ، تح: أحمد شمس الدّين، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط: 01، 1418ه/1998م.

ثانيا/ المجلات والدّوريات:

1. الأسلوبيّة اللسانيّة: أولريش بيوشِل، تر: خالد محمود جمعة، نوافذ (13)، جمادى الآخرة، 1421ه، سبتمبر، 2000م.
2. أصوات الحركات العربيّة: دراسة دلاليّة جماليّة: منال محمد هاشم نجار، المجلّة الأردنيّة في اللغة العربيّة وآدابها، المجلّد: 06، العدد: 03، رجب 1431ه/ تموز 2010م .
3. الإيحاءات الصّوتيّة في التّعابير اللسانيّة في شعر مفدي زكريا: زهرة عدّة، مجلّة الكلم، العدد 06، 2018.
4. التّفاوت في الصّوائت العربيّة: سعيد شواهنة، مجلّة أماراباك، المجلّد: 04، العدد: 08، 2013م.
5. جماليات حضور الثّورة الجزائريّة في الشّعر العربي: دراسة البنى الأسلوبيّة في قصيدة ربيع الجزائر لبدر شاكر السّيّاب: هدى عمّاري، مجلّة اللغة الوظيفية، العدد السّادس.
6. الحركات وأنصاف الحركات وأشباهها دراسة وصفيّة مقارنة: سهير كاظم حسن، مجلّة آداب البصرة، العدد: 55، لسنة 2011م.
7. الحركة الإعرابيّة بين القيم الصّوتيّة والدّلاليّة: محمد سالم الرجوبي، مجلّة الجامعة الأسمريّة، العدد: 20، سنة 1435ه/2014م.
8. حروف العلّة دراسة لغوية: عبد الحميد عليوة مسعد، مجلّة علوم اللغة، المجلّد الخامس، العدد الرّابع، دار غريب للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، 2002م
9. الصّوائت القصيرة العربيّة: عثمان رحمن حميد وعمّار عبد السّتّار محمّد، مجلّة ديالي، العدد الحادي والسّبعون، 2016م.

10. ظاهرة الإعلال في اللغة العربيّة بين القدماء والمحدثين: محمّد حماسة عبد اللطيف، مجلّة مجمع اللغة العربيّة، الجزء الثّامن والأربعون، محرّم 1406/نوفمبر 1981م.
11. الفتحة في سورة البقرة دراسة إحصائية تحليلية: ياسر بن حمدو بن محمد الدّرويش، مجلّة العلامة، العدد 05، ديسمبر 2017م.
12. فلسفة الحركات في اللغة العربيّة: أحمد الأخضر غزال، مجلّة اللسان العربي، العدد: 10، سنة: 1973م.
13. مفهوم الإعراب في كتاب سيبويه دراسة في تحليل الكلام وارتباطه بالمعنى: ليث قابل عبيد الوائلي وسلام موجد خلخال الزّبيدي، مجلّة الكلّية الإسلامية، النّجف الأشرف، العدد 41، المجلّد:1، سنة 2016.

الرّسائل الجامعيّة:

1. الأبّذيُّ ومنهجه في النّحو مع تحقيق السّفر الأوّل من شرحه على الجزولية، أطروحة جامعيّة لنيل شهادة الدّكتوراه، في علوم اللغة، إعداد: سعد حمدان محمد الغامدي، كلّية اللغة العربيّة، سنة: 1405ه/ 1406ه، 1985م/1986م، جامعة أم القرى، المملكة العربيّة السّعوديّة.
2. التّحليل النّطقي والأكوستيكيي للحركات وللانتقال بينها وبين الوقفيات في العربيّة، أطروحة جامعيّة لنيل شهادة الماجيستير في اللغة العربيّة، إعداد: ابتسام حسين جميل، قسم اللغة العربيّة وآدابها، السّنة الجامعية:1413ه/1414ه، 1993م/1994م، جامعة اليرموك.
3. التّنوّعات الدّلالية للصّوائت العربيّة في المستويات اللغوية، أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الدّكتوراه، تخصّص لسانيات/ إعداد: سفيان جحافي، قسم اللغة العربيّة وآدابها، كلّية الآداب والفنون، 1437ه-1438ه/2016م- 2017م، جامعة وهران.
4. الحركات في اللغة العربيّة دراسة في التّشكيل الصّوتي: أطروحة جامعية لنيل شهادة الماجيستير في اللغة العربيّة وآدابها/ إعداد: زيد خليل فلاح القرالة، كلّية الدّراسات العليا في الجامعة الأردنية، 1994م، الأردن.
5. شرح المقدّمة النّحويّة: ابن بابشاذ، تح: محمد أبو الفتوح شريف، رسالة مقدّمة لنيل شهادة الدّكتوراه، تخصّص: النّحو والصّرف والعروض، جامعة القاهرة، 1978م، مصر.

6. ابن فلاح النّحوي: حياته وآراءه ومذهبه مع تحقيق الجزء الأوّل من كتابه الموسوم بـ "المغني"، رسالة مقدّمة لنيل درجة "الدكتوراه" في النّحو والصّرف، من الطّالب: عبد الرزّاق عبد الرّحمن أسعد السّعدي، كلّية اللغة العربيّة، سنة: 1403ه/1404ه، 1993م/1994م، جامعة أمّ القرى، المملكة العربيّة السّعوديّة.
7. حواشي المفصّل من كلام أبي عليّ الشّلوبين –تحقيق ودراسة-رسالة مقدّمة لنيل شهادة الماجيستير في اللغة العربيّة، إعداد حماد بن محمد الثمالي، قسم الدّراسات العليا، فرع اللغة كلّية اللغة العربيّة، 1401ه/1402ه، 1981م/1982م، جامعة أمّ القرى،، المملكة العربيّة السّعوديّة.

فهرس الآيات القرآنية

الرقم	الآيات	السّورة	رقم الآية	الصّفحات
01	فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا٣٦ عُرُبًا أَتْرَابًا٣٧	الواقعة	36-37	16،
02	ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ٦	الفاتحة	06	112
03	ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ٢	البقرة	02	122
04	ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ٣	البقرة	03	127
05	۞إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ٢٦	البقرة	26	122
06	وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ٦٧	البقرة	67	123
07	قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ٧١	البقرة	71	130
08	أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ٢٥٨	البقرة	258	122، 123
09	فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۖ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ٢٥	آل-عمران	25	130
10	۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا٥٨	النساء	58	122، 123
11	﴿ٱلْأَرْنَام﴾	النساء	258	122
12	إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ١٥	طه	15	87
13	لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ	النور	63	154

	كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمۡ لِوَاذٗاۚ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ٦٣			
14	مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ تَأۡخُذُهُمۡ وَهُمۡ يَخِصِّمُونَ٤٩	يس	49	122
15	۞قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ٥٣	الزمر	53	228
16	تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ٢٢	النجم	22	164
17	وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا١٨	الجن	18	122
18	فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ١٣	عبس	13	172
19	لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ١	البينة	01	21

فهرس الأحاديث النّبوية

الرقم	الحديث	الصّفحات
01	أَنَّ رَجُلاً أَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّ ابنَ أَخِي عَرُبَ بَطْنُهُ، أَيْ فَسُدَ. فَقَالَ: اِسْقِهِ عَسَلاً	17
02	«عَرِّبُوا عَلَيْه»	17
03	«فاقدروا له قدر الجارية العربة»	16
04	«والثّيب تعرب عن نفسها»	14، 15

فهرس الأبيات الشّعرية

الرّقم	البيت	الصّفحات
	قافية الباء	
01	وَجدْنا لَكُمْ في آلِ حاميمَ آية تأوّلها منّا تقيّ ومعرب	15
02	لَمَّا أَتَيْتُكَ أَرْجُو فَضْلَ نَائِلِكُمْ نَفَحْتَ لِي نَفْحَةً طَابَتْ لَهَا العَرَبَ	16
	قافية التّاء	
03	..... فَهَاجَتْ بِأَعْمَاقِنَا الذِّكْرَيَات	245
04	..... فَهِمْنَا بِأَسْرَارِهَا الفَاتِنَات	245
	قافية الجيم	
05	إِذَا تَضَايَقَ أَمْرٌ فَانْتَظِرْ فَرَجاً فَأَضْيَقُ الأَمْرِ أَدْنَاهُ إِلى الفَرَجْ	195
	قافية الخاء	
06	وَلَوْ أَنَخْنَا جَمْعَهُمْ تَنَخْنَخُوا	174
07	لِفَحْلِنَا إِنْ سَرَّهُ التَّنَّوخُ	174
	قافية الدّال	
08	آخِرا إِثْرَ أَلِفٍ زيـــــــدَ...	143-142
09	وَقَفْتُ فيها أَصَيْلالاً أسائِلُها عيت جوابا وما بالرّبع من أحد	171
10	يَجُودُ بِالنَّفْسِ إِنْ ظَنَّ الجَوَادُ بِهَا وَالجُودُ بِالنَّفْسِ أَقْصَى غَايَةِ الجُودِ	195
12	النَّاسُ لِلْمَوْتِ كَخَيْلِ الطِّرَاد فَالسَّابِقُ السَّابِقُ مِنْهَا الجَوَاد	196
13	وَوِحْدَةِ مَغْرِبِنَا الْيَوْمَ تَخْطُو إِلَى وِحْدَةِ المُسْلِمِينَ غَدا	223
	قافية الرّاء	
14	..... وَكَحَّلَ العَيْنَيْنِ بِالعَوارِ	144
15	..... فيها عَيائيلُ أسودٌ وَنُمُر	144
16	قَدْ جَبَرَ الدِّينَ الإِلَهُ فَجُبِرَ...	195
17	مِحَنُ الفَتَى يُخْبِرْنَ عَنْ فَضْلِ الفَتَى وَالنَّارُ مُخْبِرَةٌ بِفَضْلِ العَنْبَرِ	195
18	راحِلاً في مِثْلِ أَعْمارِ المُنى ذاهِباً إِلى مِثْلِ	196

	آجالِ الزَّهْرِ	
19	هارِباً مِنْ ساحَةِ العَيْشِ وَما شارَفَ الغَمْرَةَ مِنْها وَالغدُر	196
20	راحِلاً في مِثْلِ أعْمارِ المُنى ذاهِباً إلى مِثْلِ آجالِ الزَّهْر	199
21	هارِباً مِنْ ساحَةِ العَيْشِ وَما شارَفَ الغَمْرَةَ مِنْها وَالغدُر	199
22	أفِي رُؤْيَةِ اللهِ فِكْرُكَ حَائِرُ وَتَذْهَلُ عَنْ وَجْهِهِ فِي الجَزَائِرِ	214
23	تَلَقّفَ رَايَتَكَ ابْنُ الجَزَائِرِ وَعِنْدَ ابْنِ زَيَّانَ تُبْلَى السَّرَائِرُ	214
24	هُوَ الأطْلَسُ الأزَلِيُّ الّذِي قَضَى الْعُمْرَ يَصْنَعُ أُسْدَ الشَّرَى	222
	قافية السّين	
25	أولَئِكَ آباؤُنا مُنْذُ عيسى وَكانَ مَحَمَّدُ صِهْراً لِعيسى	220
26	إذا عَرَّبَ الدّينُ أصْلابَنا فَمازالَ أحْمَدُ صِهْراً لِعيسى	220
	قافية الفاء	
27	أمْلَاكِ السَّمَاءِ أمْ لِبِيكِينَ بُعِثْتُمْ مُصْطَفَى؟	213
	قافية اللام	
28	وَقَالُوا انْحَرَفْتَ بِالْيَاذَةٍ تَلُومُ الشَّبَابَ وَمِثْلُكَ يَعْلُوا	208
29	هُومِيرُوسُ أرَّخَ... لَمْ يَنْتَقِدْ وَشَهْنَامَةُ الفُرْسِ بِالْوَصْفِ تَغْلُو	208
30	فَقُلْتُ: وَشِعْرُ الخُرَافَاتِ يَفْنَى! وَشِعْرُ البُطُولَاتِ لاَ يَضْمَحِلُّ!!	208
31	قَصِيدُكَ شِعْرٌ قَدِيمٌ يُكَبِّلُهُ بِالتَفَاعِيلِ غِلُّ	211
32	وَمَا حِيلَتِي ... إنْ يَكُنْ شِعْرُهُمْ دَخِيلًا ... وَشِعْرِي يُزَكِيهِ أَصْلُ؟	211
33	وَفِي جَبَلِ الْوَحْشِ تَاهَتْ بِلَادِي شُمُوخاً، فَأَحْنَى الزَّمَانُ لَهَا	222
34	وَأرْضُ الجَزائِرِ أرْضُ الفُحولِ! فَأيْنَ الشَّهَامَةُ؟؟ أيْنَ الرُّجولَةُ؟؟	225

35	وَهالَ ابْنُ رُسْتُمَ أَنْ لا نَسودَ وَنَبْنِيَ كَياناً لَنا مُسْتَقِبلاً	234
36	فَلَمْ يَكُ لِلتَّبِعِيّاتِ ذَيْلا وَلَمْ يَكُ بِالعَصَبِيّاتِ يُبْلى	234
	قافية الميم	
37	كَلامُنَا لَفْظٌ مُفيدٌ كَاسْتَقِمْ	109
38	وَتَفْتَحُ حَنَايَاكَ جُرْحاً قَدِيماً وَمَا نَامَ جُرْحُ الهَوَى بِالقِدَم	215
39	فَلَا تُفْشِ يَا قَلْبُ أَسْرَارَهَا فَإِنَّ شَهِيدَ الهَوَى مَنْ كَتَمْ	215
40	بَلَوْنَا السِّنِينَ الطِّوَالَ جِهَاداً تُبَارِكُنَا مُعْجِزَاتُ السَّمَا	222
41	مَضَتْ مَائَةٌ وَثَلَاثُونَ عَاماًنَذُودُ، وَنَأنَفُ أَنْ نُهْزَمَا	222
42	وَتُفَّاحَةً، أَخْرَجَتْ آدَماً مْنَ الخُلْدِ، مُذْ لَعَنَتْهُ السَّمَا	223
43	صُمودُ الأمازيغِ عَبْرَ الْقُرو نِ غَزا النَّيِّراتِ وَراعَ النُّجوما	234
44	ثَمانِ سَنَواتٍ يُصارِعُ روما فَدَقَّ المَساميرَ في نَعْشِ روما	234
45	طُفَيِّشُ سُقْيَاكَ ... قُطْبَ الأئِمَّة	246
	قافية النّون	
46	وَأَلْهَمْتِ إِنْسَانَ هَذَا الزَّمَانِ فَكَانَ بِأَخْلَاقِنَا مُؤْمِنَا	222
47	يُجِيبُكَ ابْنُ حمديسَ فِي الخَالِدِ ينَ، وَيَصْنَعُ قَوَافِيهِ مِنْ وَحْيِنَا	222
48	وَيَجْثُ الزَّمَانُ عَلَى قَدَمَيْـــــــــــــــــــــــــــهِ خُشُوعاً، وَيَرْكَعْ لَهُ مُذْعِنا	223
49	وَتُنْجِبُ نَدْرومَةُ الخالِد ينَ، فَتُعْلي الجَزائِرُ مِنّا الجَبين	234
	قافية الياء	
50	..... فَأَبْدِلِ الهَمْزَةَ مِنْ واوٍ وَيا	142

51	وَهَل عَلِمَتْ عَرْسي مَليكَة أَنَّني أنا اللَيْثُ مَدْعُوّاً عَلى معادِيا	158
52	وَقـــــــالَتْ جَزائِرُنا الغـــــــــالِيَـــــــــه هُوَ الصِدْقُ حَقَّقَ آمـــــــــالِيَـــهْ	231
53	وَمِنْ دَمي شَعْبـــــــــي وَأكْبـــــــــادِهِ إلى النَّصْرِ قَدَّمْتُ قُرْبانِيَهْ	231
54	وَجَنَّدْتُ في الخالِدينَ ابْنِ الوَليـــ دِ وَسَعْدِ بْنِ وَقّاصَ أَبْطالِيَهْ	231
55	أَشَرْشالُ...هَلاّ تَذَكَّرْتِ يوبا؟ وَمَنْ لَقّبوا عَرْشَكِ القَيْصَرِيَّه؟	234

فهرس الأعلام

الرقم	الأعلام	الصّفحات
	محمد صلّى الله عليه سلّم	03، 179، 180، 241
	عيسى بن مريم	241
	إسماعيل بن إبراهيم	02
	نوح	05
01	الآبذي	18
02	آدم	02
03	آنتياري	230
04	إبراهيم أنيس	132، 134، 137، 231، 232
05	إبراهيم بن أحمد المارغنّي	98
06	إبراهيم مصطفى	20، 248
07	ابن الأثير	16
08	أحمد الحمّو	141
09	أحمد مختار عمر	78،112، 170
10	الأخفش	29، 60،
11	أرنست رينان (Ernest Renan)	02، 03، 04
12	الأزهري	15، 17،
13	إستيتيه	66، 92،
14	إسرائيل ولفنسن	05، 06، 07، 08، 12،
16	أبو الأسود الدّؤلي	29، 55، 75، 95، 96، 97، 98، 106
17	أبو الأسود ميمون الأقرن	98،
18	الأمير عبد القادر	219، 242
19	الأنباري	179
20	الأنطاكي	24، 91،
21	أوغستين	219
22	ابن إياز	20، 21،
23	بابا عرّوج	212
24	ابن بابشاذ	185
25	بريجستراسر(Bergstrasser)	07، 08،
26	أبو البركات الأنباري	51، 60،
27	ابن بري	61
28	أبو البقاء العكبري	18، 22،
29	بوشوشة	217

30	بولوغين بن زيري	238، 251
31	بومرزاق	217
32	بيير جيرو (Pierre Giraud)	202
33	تامر سلوم	206
34	ترينكا	175
35	تيكسي	214
36	الجاحظ	109، 110
37	جاكوبسون (Roman **Jakobson**)	203
38	ابن الجزري	47، 62، 82، 84، 87، 117، 121، 123، 125، 131،
39	الجعبري	117
40	ابن جنّي	22، 24، 25، 28، 32، 33، 34، 35، 38، 48، 49، 50، 57، 59، 60، 61، 63، 64، 74، 75، 84، 87، 88، 90، 101، 103، 109، 110، 114، 115، 116، 117، 118، 119، 125، 126، 127، 138، 140، 146، 154، 155، 183، 184، 186،
41	ابن الحاجب	84
42	حازم علي كمال الدّين	71
43	أبو الحسن	185
44	أبو الحسن شريح	60
45	ابن حزم الأندلسي	04
46	حنفي ناصف	130
47	أبو حيّان الأندلسي	18، 19، 20، 59، 60، 61، 62، 63، 68، 98، 181
48	ابن خروف	18، 27،
49	الخليل بن أحمد	04، 28، 29، 30، 47، 48، 50، 58، 60، 61، 62، 63، 83، 95، 96، 97، 98، 101، 106، 107
50	خير الدّين بربروس	212

51	"دانيال جونز" (*Daniel Jones*)	28، 42، 43، 46، 74، 78، 106، 137
52	أبو داود	99
53	ابن رشد	53، 57، 75، 106
54	رضوان محمد حسين النّجّار	193
55	الرّضي الأسترآبادي	121، 122، 128، 129، 144
56	رمضان عبد التّوّاب	04، 11، 111، 112
57	ريفاتير (Michael Riffaterre)	203
58	الزّبيدي	15، 16،
59	الزّمخشري	84
60	ابن زيان	242
61	زيد خليل فلاح قرالة	137
62	ساجقلي زاده	127، 128،
63	السّخاوي	117
64	سعد مصلوح	202
65	سعود بن عبد العزيز خنين	25
66	أبو سعيد السّيرافي	48، 129
67	أبو سلام الجمحي	02، 04،
68	سلمان العاني	66، 93
69	سيبويه	18، 28، 31، 35، 47، 48، 58، 60، 64، 65، 68، 74، 82، 83، 85، 86، 88، 89، 93، 98، 112، 115، 119، 121، 124، 126، 128، 129، 138، 145، 146، 147، 167، 168، 170، 178، 179، 181، 187، 188، 189
70	سيفاكس	217
71	ابن سينا	32، 49، 58، 62، 63
72	السّيوطي	02، 14، 15، 17، 21، 35، 47، 51، 52، 53، 60،
73	الشّاطبي	84، 117
74	شلوتزر"(August Ludwig Schloetze)	02

75	ابن شهرة	217
76	الشيخ الحداد	217
77	الصّبّان	118
78	عبد الصبور شاهين	141، 142، 145، 146، 148، 149، 150، 151، 152، 158، 160، 161، 163، 166
79	الصّيرفي	204
80	طفيش محمد بن يوسف	225، 245
81	أبو العبّاس أحمد بن عمّار المهدوي	59، 62،
82	عباس حسن	180
83	أبو العبّاس ثعلب	185
84	عبد المؤمن بن عليّ الندرومي	213
85	عبد الصّبور شاهين	141، 142، 145، 146، 148، 149، 150، 151، 152، 158، 160، 161، 163، 166
86	عبد الغفّار خامد هلال	130، 133
87	أبو عبد الله محمد بن بصخان	127
88	عبد الملك بن حبيب	02
89	عبد الواحد وافي	09
90	العبدري	224
91	العلاييلي	180
92	العجاج	174
93	ابن عصفور	21، 22، 60، 143، 182
94	أبو علي الشّلوبين	19
95	أبو علي الفارسي	48، 58، 118، 119
96	علي محمد الضّباع	123
97	عمر بن الخطاب	17
98	أبو عمرو الداني	65، 75، 82، 83، 84، 85، 86، 98، 119، 122، 124
99	الفارابي	114، 177، 191
100	ابن فارس	1. 14، 15، 16، 22، 23، 24، 26،
101	ابن فلاح	17
102	أبو القاسم الزّجّاجي	25، 53، 51، 62 ، 74

103	أبو القاسم الزّمخشري	25
104	أبو القاسم السّهيلي	27، 52،
105	ابن القبيصي	25
106	ابن قتيبة	15، 22،
107	القسطلاني	82، 83، 84، 86
108	القلقشندي	96، 97، 99
109	ابن القيم الجوزية	179
110	كارل بروكلمان (Carl Brockelmann)	05، 07، 10،
111	الكبشي	25
112	كمال بشر	36، 37، 47، 51، 55، 69، 71، 72، 91، 92، 93، 95، 99، 100، 101، 104، 131، 137
113	الكمّيت	15
114	كنعان بن حام بن نوح	04، 05
115	ابن كيسان	65
116	لالة فاطمة نسومر	237
117	"لرايت" (w. wright)	104
118	ليستراد كاربونيل	230
119	ماسينيسا	217
120	ابن مالك	19، 84، 109، 126، 142، 156، 157
121	المبرد	31، 35، 51، 52، 61، 62، 64، 82، 84، 89، 51، 52، 61، 62
122	محمد جواد النوري	132، 134، 135، 136
123	محمد حسن جبل	90
124	محمد حماسة عبد اللطيف	140
125	محمد خضر	03، 04
126	محمد عبد المنعم الخفاجي	97
127	محمد العربي التبسي	228
128	محمد مكي نصر الجريسي	33
129	محمد الهادي الطّرابلسي	232

130	محمود السّعران	69
131	محمود عكاشة	03
132	محيي الدّين عبد الحميد	181
133	امرؤ القيس	04
134	المرادي	148
135	المرعشي	128
136	مصطفى الفروخي	213، 238، 240
137	مفدي زكريا	208، 209، 213، 217، 233، 245، 248، 251
138	المقراني	217
139	مكي بن أبي طالب	30، 31، 48، 52، 84
140	ابن منظور	02، 23،
141	المهدوي	63
142	المهدي بن تومرت	213
143	مولود قاسم نايت بلقاسم	208، 209، 212، 244
144	ابن ميادة	16
145	النّابغة الذبياني	171
146	نصر بن عاصم	103
148	ابن هشام الأنصاري	25
149	هوميروس	208
150	الوليد بن بزيد	16
151	يحيى بن يعمر	103
152	يعرب بن قحطان	02
153	ابن يعيش	84، 85، 87، 120، 122، 124، 154، 159، 162، 165، 170
154	يغمراسن بن زيان	217

فهرس الموضوعات

البسملة

إهداء

شكر وتقدير

مقدّمة

أ

مدخل **02**

الفصل الأوّل: الدّراسة الفونيتيكية للعلامات الإعرابيّة:

42

المبحث الأوّل: مخارج العلامات الإعرابيّة وآلية إنتاجها:

48

أوّلا: علامات الإعراب الأصليّة.

48

ثانيا: علامات الإعراب الفرعيّة.

58

المبحث الثّاني: الصفات الصّوتيّة للعلامات الإعرابيّة (الخصائص الصّوتيّة):

75

أوّلا: علامات الإعراب الأصليّة.

75

ثانيا: علامات الإعراب الفرعيّة.

83

المبحث الثّالث: تشكيلها ورسمها:

96

أوّلا: علامات الإعراب الأصليّة.

96

ثانيا: علامات الإعراب الفرعيّة.
101

الفصل الثّاني: الدراسة الفونولوجيّة للعلامات الإعرابيّة:
109

المبحث الأوّل: الصّور النّطقيّة للعلامات الإعرابيّة:
114

أوّلا: عند القدماء: ....

1- الصّور النّطقيّة للصّوائت القصار.
....

2- الصّور النّطقيّة للصّوائت الطّوال.
....

3- النّون الخفيّة.
130

ثانيا: عند المحدثين:
....

1- الصّور النّطقيّة للصّوائت القصار.
....

2- الصّور النّطقيّة للصّوائت الطّوال.
....

3- النّون الخفيّة. ....

المبحث الثّاني: إبدال العلامات الإعرابيّة:
140

أوّلا: الإعلال بالقلب.
142

ثانيا الإعلال بالنّقل.
167
ثالثا الإعلال بالحذف.
170
رابعا: إبدال النّون.
171
المبحث الثّالث: وظائف العلامات الإعرابيّة: **173**
أوّلا الوظيفة الصّوتيّة.
173
ثانيا: الوظيفة الصرفية.
180
ثالثا: الوظيفة النّحوية.
183
رابعا: الوظيفة الإيقاعيّة.
190
الفصل الثّالث: الدّراسة الأسلوبيّة للعلامات الإعرابيّة:
202
المبحث الأوّل: العنوان.
207
المبحث الثّاني: الإيقاع الخارجي:
209
أوّلا: أنواع القوافي حسب التّقييد والإطلاق:
210

1- القوافي المقيّدة.
210
2-القوافي المطلقة:
214
أ-مجرى الضّمّة.
214
ب-مجرى الفتحة.
215
ج-مجرى الكسرة.
224
ثانيا: استعمال حروف الإعراب رويّا:
228
1-الياء .
228
2-النّون.
230
ثالثا: الأبيات المصرعة.
231
المبحث الثّالث: الإيقاع الدّاخلي:
234
أوّلا: الحركات القصار الثّلاث الأصليّة خالصة.
235
ثانيا: الحركات القصار الثّلاث أصليتها وفرعيتها.
244

ثالثا: السّكون.
246

رابعا: حروف الإعراب.
246

خاتمة

251

قائمة المصادر والمراجع

254

أوّلا: فهرس الآيات القرآنية.
270

ثانيا: فهرس الأحاديث النّبوية
274

ثالثا: فهرس الأبيات الشّعرية
276

رابعا: فهرس الأعلام
280

خامسا: فهرس الموضوعات.
289

الملخّص:

العلامات الإعرابيّة أصوات تؤدّي وظيفة نحويّة، ونودّ في هذا البحث الكشف عمّا إذا كانت تحمل دلالات نابعة من طبيعتها الصّوتيّة؛ فرجعنا إلى أصلها الصّوتيّ للتّعرّف على خصائصها، ثمّ رحنا نتأمّلها في إلياذة الجزائر مستعينين بالأسلوبيّة الصّوتيّة؛ وهي فرع من علم الأسلوب تهتمّ بدراسة أصوات الرّسالة اللغويّة من حيث اختيارها وتركيبها وانزياحاتها؛ بهدف الإجابة على الإشكالية المطروحة.

الكلمات المفتاحيّة: الأصوات - العلامات الإعرابيّة - الأسلوبية - الدّلالة الصّوتيّة- إلياذة الجزائر.

Abstract:

The syntactic signs are sounds that perform a grammatical function. We would like in this research to reveal whether they carry connotations stemming from their phonemic nature.

So we went back to its phonological origin to know its characteristics, then we went to contemplate it in the Iliad of Algeria using phonological stylistics, which is a branch of stylistics that is concerned with studying the sounds of the linguistic message in terms of its selection, composition and displacement in order to answer the problem at hand.

key words: Phonemes - The syntactic signs – Stylistic – The phonetic meaning - Iliad, Algeria.

Résumé:

Les signes syntaxiques sont des sons qui remplissent une fonction grammaticale. Nous voudrions dans cette recherche révéler s'ils portent des connotations issues de leur nature phonémique.

Nous sommes donc retournés à son origine phonologique pour connaître ses caractéristiques puis nous l'avons examiné dans l'Iliade d'Algérie par l'utilisant de phonostylistique qui est une branche de la stylistique qui se préoccupe d'étudier les sons du message linguistique en fonction de sa sélection, composition et déplacement pour résoudre au problème poser.

les mots clés: Phonème - Les signes syntaxiques – Stylistique - signification phonémique - Iliad, Algérie.